«التّشريع الإسلامي في الحفاظ على البيئة»

إعداد

الدكتور محمد محمد الشلش
جامعة القدس المفتوحة

١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م



حقوق التأليف والتصميم والطبع والنشر محفوظة لـ:
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
جامعة القدس المفتوحة
رام الله / فلسطين
1434 هـ - 2013 م

قال تعالى:

« وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا »

(الأعراف:٨٥)

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، وبعد:

فقد اهتم الإسلام بالبيئة اهتماماً كبيراً، وكان له السبق في وضع القواعد والتشريعات والأسس التي تضمن سلامتها واستقرارها وجمالها، وتحافظ على مواردها المختلفة من الاستنزاف والإهدار والضياع، وهذا ينسجم مع نظرة الإسلام إلى الكون الذي هو من صنع الله وتدبيره، وأثر من آثار قدرته وعظمته، سخّره وذلّله للناس؛ لينتفعوا بخيراته، لا ليعيثوا فيه فساداً وخراباً ودماراً، فأوجب عليهم تقديره واحترامه، والمحافظة عليه، وعدم نشر الفساد فيه. فهو القائل: "وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا".[1] وكلمة «فساد» أعم وأوسع من كلمة «تلوّث»؛ لأنّ الفساد يشمل التلوّث وَغيره من التدهّور والانحطاط والتخريب والدّمار الاقتصادي والبشري وغير ذلك.[2]

إنّ هذا البحث يتناول رؤية الإسلام ومنهجه في الحفاظ على البيئة،كما يتناول واقع البيئة العربية والعالمية وما تعانيانه من أضرار وخيمة، وأخطار جسيمة، خاصّة الواقع البيئي المتدهور في بعض الدول العربية والإسلامية في ظل الاحتلال الأجنبي الغاصب، وسبل مواجهة التدمير اليومي الممنهج لها على يده.

إنّ البيئة بكل ما فيها من مكوّنات ومقوّمات ومخلوقات، ونعم ظاهرة وباطنة هي الوطن العام البيئي للإنسان، ولقد أوجدها الله بحكمته،وذلّلها بقدرته، فجعل السماء غطاءً وبناءً، والأرض بساطاً وفراشاً، قال تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ».[3] وقال تعالى: «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ، وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ، وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».[4] وهو الذي قدّر فيها الأرزاق والأقوات،كما سخّر الشمس والقمر دائبين، وسخّر الليل والنهار، وسخّر البحار والأنهار، وأرسل الرياح والسحاب، وأنزل من السماء ماءً عذباً طهوراً فيه حياة النبات والإنسان والحيوان، يقول تعالى: «اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ، وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ».[5] فكل هذه النعم وغيرها ممّا لا يعد ولا يحصى ولا يوصف، يجري بانتظام وحكمة دقيقة وفقاً لقوانين الله الثابتة المطرّدة في هذا الكون الفسيح، قال تعالى: «لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».[6]

١- (الأعراف: ٨٥).
٢- كنعان، نواف، قانون حماية البيئة لدولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الجامعة، ط١، ٢٠٠٦، ص ٢٦.
٣- (البقرة: ٢٢).
٤- (الذاريات: ٤٧ - ٤٩).
٥- (إبراهيم: ٣٢- ٣٤).
٦- (يس: ٤٠).

لقد تعرّضت البيئة العالمية خلال النّصف الثاني من القرن العشرين لقدر من التلوّث يفوق ما أصابها عبر تاريخها الطويل، والواقع البيئي العالمي وما آل إليه من تدهور يؤكّد أنّ الإنسان لم يكن حارساً أميناً على هذه البيئة، فهو يلوّث أرضها وسماءها وماءها وغذاءها كل يوم بالملوّثات على اختلاف أنواعها الكيماوية والإشعاعية والكهرومغناطيسية والصناعية والنفطية وغيرها، وهو يلقي بنفاياته وفضلاته الصلبة والسائلة في محيطاتها وبحارها وأنهارها وغدرانها، وهو يتسبّب في القضاء على حيواناتها وطيورها الجميلة، ومزارعها الخضراء، وبساتينها الغنّاء، يُؤْثر مصالحه ورغباته في تحقيق الرفاهية والربح المادي والتقدّم الصناعي على نظافتها ونقائها، وهذا الإجحاف بحقها ينذر بنتائج كارثية على هذه الأرض، وعلى من يقطنها من الأحياء والأشياء.

إنّ بيئتنا اليوم تستغيث بكل عاقل مسئول، فهي في خطر شديد جراء سلوك الإنسان الظالم نحو مواردها وخيراتها ومصادرها التي سخّرها الله تعالى لنا، فقد أصبحت هذه الموارد مهدّدة بالاستنزاف والفناء في حال استمر الاعتداء عليها بهذه الطريقة الجائرة، وتفاقمت المشكلات البيئية وتنوّعت مثل: تلوّث الماء والهواء والتربة، وحرق الغابات، واستنزاف الطاقات، وتدمير التنوّع الحيوي الحيواني والنباتي، فترتّب على تلوّث الهواء مثلاً تدمير طبقة الأوزون[١] بشكل جزئي، وبروز ظاهرة الاحتباس الحراري وهو ارتفاع درجة حرارة الأرض عن معدلها الطبيعي، والتي تهدّد انتظام المناخ على أرضنا، ممّا ينجم عن ذلك آثار كارثية مدمّرة كانصهار الثلوج والهجرات العكسية لكثير من الحيوانات، وانهيار الصخور، وظهور الأعاصير القويّة، ونقص الغذاء وانتشار المجاعة بسبب التقلّبات المناخية.[٢] وكل ذلك جنته يد الإنسان كما قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».[٣] فقد أذاقهم الله بعض ما عملوا، فانتشرت بينهم الأمراض التي لم تعرفها البشرية من قبل كجنون البقر وأنفلونزا الطيور والخنازير، والإيدز وغيرها، فهل سيعود هؤلاء إلى عقولهم؟ وهل سيكفّون أيديهم عن هذه الأرض الجميلة الطيبة التي أذاقوها ويلات الدمار والخراب؟

أهمّية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يعالج قضية أساسية وهامّة وملحّة من قضايا المجتمع الإنساني وهي قضية الحفاظ على البيئة، وسبل مواجهة الهجمة العالمية التي نالت من نقائها وصفائها وجمالها، فلوّثتها بملوّثات عديدة، أثّرت سلباً على الإنسان والحيوان والمكان، والزرع والضرع، ونشرت الأوبئة القاتلة، والعلل الخطيرة، وأصبحت تهدّد حياة الإنسان تهديداً حقيقياً، وهذه الدراسة تتعرّض بالذكر لأسباب هذا التلوّث، وكيفية مواجهة الإسلام له من الناحيتين النظرية والتطبيقية، حيث أنّ ديننا يحتوي على منظومة كاملة يمكن بتطبيقها إنقاذ البشرية من تداعيات التلوّث الخطيرة، وتحقيق الأمان والسعادة للناس في الدنيا والآخرة.

١- الأوزون: غاز يمثّل ما يشبه الغلاف وهو الذي يحمينا من أشعة قاتلة هي جزء من أشعة الشمس الساقطة على الأرض. موسى، أحمد محمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة، المكتبة العصرية، المنصورة، ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٠.

٢- فرد بيرس، ظاهرة الارتفاع الحراري لكوكب الأرض، ترجمة محمد فتحي ص ٤.

٣- (الروم: ٤١).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يأتي:

١. إبراز دور الإسلام ووجهه الحضاري في الحفاظ على البيئة.
٢. إرشاد الناس إلى القواعد والتشريعات التي زخرت بها الشريعة الإسلامية والتي تساهم في الحفاظ على البيئة والكون والحياة، ومدى القدرة على تنفيذ هذه الرؤية الشرعية في البيئة المحيطة بنا.
٣. بيان سبل الوصول إلى بيئة نظيفة وجميلة خالية من التلوّث والفساد والدّمار في العالم.
٤. كشف أساليب القوى الظالمة في تدمير البيئة العربية والإسلامية وسبل المواجهة.
٥. توطيد العلاقة بين الأرض والإنسان كما أراد **الله** تعالى، وإيقاظ عاطفة الشعور بالانتماء للوطن، وإيقاظ حاسّة المحافظة عليه بكل الطرق الممكنة.
٦. التعريف بأسس وقواعد التربية البيئية في الإسلام وكيفية تطبيقها في الواقع.

الدّراسات السابقة:

كتب كثير من الباحثين وأهل العلم في هذا الموضوع الحيوي الهام، وتناولوا قضايا بيئية متنوّعة، كقضايا المياه، والطّاقة، ومنهج الإسلام في رعاية البيئة وحمايتها، والتلوّث: أسبابه وطرق علاجه، كما تناولت بعض الدراسات قضايا التربية البيئية الإسلامية ودورها في تنشئة أجيال صديقة للبيئة، تحمل همّ المحافظة عليها وحمايتها، وهذه الدراسات كثيرة لكنّني سأتحدّث عن ثلاث منها:

الدراسة الأولى: وهي كتاب للعلامة الدكتور يوسف القرضاوي بعنوان: «رعاية البيئة في شريعة الإسلام». فقد بيّن الشيخ في دراسته الرّكائز الإسلاميّة لرعاية البيئة، وحصرها في ثماني ركائز أساسيّة هي:

١. التّشجير والتّخضير، حيث عرض لكثير من النصوص القرآنية والنبوية التي تأمر بالغرس والزّرع لتحقيق عنصرين هامين هما: عنصر المنفعة، وعنصر الجمال.
٢. العمارة والتّثمير، فعرض في هذه الركيزة لأساليب القرآن الكريم في النّهي عن الفساد، وهي أساليب شتّى، منها النّهي عن الإفساد، ومنها التّنفير من النّماذج المفسدة، والتّحذير منها ومن مشابهتها، كما تحدّث عن إحياء الأرض الموات والفوائد التي يحقّقها هذا التشريع.
٣. النّظافة والتّطهير، فعرض في هذه الركيزة للنصوص التي تحث على نظافة الجسد والإنسان، وناقشها بتوسّع.
٤. المحافظة على الموارد حيث تحدّث عن أساليب الإسلام في الحفاظ عليها وخاصّة الثروة الحيوانية والنباتية والبحرية والمائية.

٥. الحفاظ على صحّة الإنسان، حيث عرض لكثير من الأساليب التي من شأنها أن تحقق هذه الصحة وتحافظ عليها.

٦. الإحسان بالبيئة وعناصرها من إنسان ونبات وحيوان وأرض وتربة.

٧. المحافظة على عناصر البيئة من الإتلاف أيّاً كان نوعه وحجمه وهدفه.

٨. أهمية حفظ التّوازن البيئي من الخلل الذي قد يؤدي إلى إفساد الحياة البيئية برمتها.

الدراسة الثانية: وهي كتاب بعنوان: «رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة» للدكتور عبد الله شحاته. وقد جعل المؤلّف دراسته في سبعة أبواب، تحدّث في الباب الأول عن نظرة الإسلام إلى الكون والبيئة، فتناول خلق الكون ونظامه وعلاقة الإنسان به، وكيفية المحافظة على موارده الطبيعية. وتناول في الباب الثاني طرق حماية العناصر الطبيعية في الكون كالماء والتربة والجبال، كما تحدّث عن محاربة الدين للتلوث البيئي. أما الباب الثالث فخصّصه للحديث عن النظافة، فتحدّث عن نظافة البدن ودور العبادات في تحقيقها كالوضوء والاغتسال، وتحدّث عن نظافة البيئة وعناصرها كالمياه والمساكن والشوارع. وجعل الباب الرابع في الحديث عن دور الأخلاق والتربية الإسلامية في حماية البيئة. وتطرّق في الباب الخامس لعنصر من عناصر البيئة وهو الهواء، فتحدّث عن فوائده ومصادر تلوثه. وفي الباب السادس تكلّم عن حماية الإنسان والبيئة من الملوّثات الضارة كالمواد المشعة والسامة والضوضاء. وكان الباب السابع في الحديث عن القواعد الشرعية لحماية البيئة، وواجبات الفرد والمجتمع نحوها.

الدراسة الثالثة: وهي دراسة تأصيلية في ضوء الكتاب والسنة ومقاصد الشريعة وكانت بعنوان: «المحافظة على البيئة من منظور إسلامي» للدكتور قطب الريسوني، وقد تناول في كتابه مقاصد الحفاظ على البيئة وخاصّة التوازن البيئي، وكذلك محاربة الإفساد في الأرض، وساق من الأدلة والنصوص والقواعد الشرعية ما يؤيد ذلك ويدعمه، كما تناول وسائل الإسلام في المحافظة على البيئة وسبل مكافحة التلوّث بأنواعه المختلفة.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا بعنوان: «التشريع الإسلامي في الحفاظ على البيئة» تتناول منهج الإسلام في حماية البيئة، وتتميّز عن الدراسات السابقة بذكر كثير من الأساليب التطبيقية التي يمكن بها مواجهة التلوّث البيئي ومكافحته، كما تتميّز برصدها لانتهاكات القوى الظالمة للبيئة خاصّة في الأماكن التي تحتلها غير عابئة بحياة البشر، وكذا سبل مواجهة هذه الانتهاكات. كما تناول الباحث بشيء من التفصيل رؤية الإسلام في تجميل البيئة مع ذكر الأدلة الشرعية التي تحث على الجمال البيئي والاهتمام به. وتحدّث الباحث عن دور الأمة والمجتمع والدولة والمؤسسات المختلفة في الحفاظ على البيئة ومكافحة التلوّث والحد من مخاطره، أضف إلى ذلك أنها تطرّقت لأهداف وأساليب وخصائص وشروط التربية البيئية في الإسلام بشكل مفصّل يخدم البيئة في كل زمان ومكان.

منهج البحث:

لقد سلكت في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي مستفيداً من المنهج الاستقرائي، وذلك يتمثّل في النقاط الآتية:

١. قمت بتوثيق ما أخذت من معلومات وآراء بتعريف كامل للمصدر الذي أخذت منه إن كان ذكره لأول مرّة، والتعريف الكامل يشمل اسم الكتاب، والمؤلف، ودار النشر ومكانها، ورقم الطبعة، وسنة الطبع إن وجدت، واكتفيت بعدها بذكر اسم الكتاب ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة بهذا الشكل: الأم للشافعي ٢/٥٤. حيث أن رقم (٢) يشير إلى الجزء، ورقم (٥٤) يشير إلى رقم الصفحة، وهكذا دواليك.
٢. عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى السور التي أخذت منها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية السفلية للصفحة التي وردت فيها بين قوسين، وحرصت أن تكون الآيات بالرسم القرآني.
٣. ذكرت وجه دلالة الآيات والأحاديث والآثار من كتب التفسير وشروح الحديث وغيرها من المصنّفات.
٤. أمّا الأحاديث والآثار فقد اعتمدت في تخريجها على كتب الحديث المشهورة، ثمّ بيّنت آراء العلماء في كل حديث، وأشرت عند تخريج الحديث إلى الكتاب والباب ورقم الحديث في المصدر الذي وجد فيه، وقد استدللت في قليل من الأحايين ببعض الأحاديث الضعيفة التي تحث على فضائل الأعمال وخيرها.
٥. قمت ببيان معاني المفردات والمصطلحات الصعبة بالرجوع إلى كتب اللغة العربية ومعاجمها المعتمدة، وقد أشرت إلى المعاني في الحواشي السفلية.
٦. أما الخاتمة فلخصت فيها ما توصّلت إليه من نتائج هامّة وفوائد عامّة.
٧. أنهيت بحثي بذكر مجموعة من التوصيات والنصائح والإرشادات راجياً الاستفادة منها وتطبيقها في الواقع المشهود.
٨. قمت بعمل فهرسة شاملة لموضوعات البحث، وقد جعلت ذلك في نهايته.

خطة البحث:

تتضمّن الدراسة ما يأتي:

الباب الأول- التشريعات الإسلامية في الحفاظ على البيئة ومكافحة التلوّث، وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: معنى البيئة ونظرة الإسلام إلى الكون، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: معنى البيئة.

المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى الكون.

الفصل الثاني: منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الحفاظ على البيئة.

المبحث الثاني: مقاصد الحفاظ على البيئة.

المبحث الثالث: التشريعات الإسلامية في الحفاظ على البيئة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوسائل الوقائية.

المطلب الثاني: الوسائل العملية.

المطلب الثالث: الوسائل الرقابية.

الفصل الثالث: **التلوّث البيئي ومكافحته، وفيه أربعة مباحث**:

المبحث الأول: مفهوم التلوّث.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من تلويث البيئة.

المبحث الثالث: أنواع التلوّث وعلاجه، وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: التلوّث المائي.

المطلب الثاني: التلوّث الهوائي.

المطلب الثالث: التلوّث الغذائي.

المطلب الرابع: التلوّث الصناعي.

المطلب الخامس: التلوّث النّفطي.

المطلب السادس: التلوّث الإشعاعي.

المطلب السابع: التلوّث الضّوضائي أو السّمعي.

المطلب الثامن: التلوّث الكهرومغناطيسي.

المطلب التاسع: تلوّث التربة.

المبحث الرابع: دور الحروب والاحتلال في تلويث البيئة.

الفصل الرابع: **رؤية الإسلام في تجميل البيئة، وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: أهمية الجمال في الإسلام.

المبحث الثاني: التشريعات الإسلامية في تجميل البيئة.

الفصل الخامس: **دور الأمّة في حماية البيئة ومكافحة التلوّث، وفيه سبعة مباحث**:

المبحث الأول: دور المواطن في حماية البيئة.

المبحث الثاني: دور العلم في حماية البيئة.

المبحث الثالث: دور القانون في حماية البيئة.

المبحث الرابع: دور الأسرة في حماية البيئة.

المبحث الخامس: دور الإعلام في حماية البيئة.

المبحث السادس: دور الدولة في حماية البيئة.

الباب الثاني ـ التربية البيئية في الإسلام، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **مفهوم التربية البيئية وأهميتها، وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: مفهوم التربية البيئية.

المبحث الثاني: أهميّة التربية البيئية.

الفصل الثاني: **أهداف التربية البيئية وشروطها، وفيه ثلاثة مباحث**:

المبحث الأول: الأهداف العامّة للتربية البيئية.

المبحث الثاني: أهداف التربية البيئية في الإسلام.

المبحث الثالث: شروط التربية البيئية.

الفصل الثالث: **أشكال وأساليب التربية البيئية، وفيه مبحثان**:

المبحث الأول: أهمية التعليم البيئي.

المبحث الثاني: أشكال وأساليب التربية البيئية.

والله تعالى أسأل أن يكون عملي هذا في سبيل دينه ومنهجه، وسبباً في حبّه ومرضاته، وأن يجعله في ميزان أعمالي يوم الحساب، «يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».[1]

١- (الشعراء: ٨٨ - ٨٩).

الباب الأول

التشريعات الإسلامية

في الحفاظ على البيئة ومكافحة التلوّث

الفصل الأول

معنى البيئة ونظرة الإسلام إلى الكون

المبحث الأول ـ معنى البيئة:

وسأتناول هذا المبحث من زوايا ثلاث:

الأولى: **معنى البيئة لغة.**

الثانية: **معنى البيئة اصطلاحاً.**

الثالثة: **معنى علم البيئة.**

الأولى: **معنى البيئة لغة**: لفظ البيئة اسم مشتق من الفعل الثلاثي (بَوأ)، وهذا الفعل يستخدم لمعانٍ كثيرة أشهرها: النزول والإقامة بمكان معين، يقال: تبوَّأ فلان بيتاً أو داراً، أي: اتخذ منزلاً، ومنه قوله تعالى: «وَبَوَّأَكُمْ في الأَرْض».[١] والأصلُ في الباءة المَنْزل، ثمّ قيل لعَقْد التزويج باءةٌ؛ لأَنَّ مَن تزوَّج امرأَةً بَوَّأَها منزَلاً.[٢] وبَوَّأَهُم مَنْزِلاً: نَزَل بهم إِلى سَنَدِ جَبَل. وأَبَأْتُ بالمَكان: أَقَمْتُ به. وبَوَّأْتُكَ بَيتاً: اتَّخَذْتُ لك بيتاً. وقوله تعالى: «أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً».[٣] أَي: اتَّخذا. وأَباءَه مَنْزِلاً، وبَوَّأَه إِيَّاهُ، وبَوَّأَه له، وبَوَّأَهُ فيه بمعنى: هَيَّأَه له وأَنْزَلَه ومَكَّنَ له فيه. قال الشاعر:

وبُوِّئَتْ في صَمِيمِ مَعْشَرِها ... وتَمَّ في قَوْمِها مُبَوَّؤُها

أَي نَزَلَت من الكَرم في صَمِيمِ النَّسب. والاسم البِيئَةُ.[٤]

الثانية: **معنى البيئة اصطلاحاً**: يعرّف النظام البيئي بأنّه: (تفاعل مجموعة الجماعات الحيّة التي تعيش في منطقة بيئية محدّدة مع بعضها بعضاً ومع العوامل غير الحيّة).[٥] فالبيئة بهذا المفهوم: هي المكان الذي تتوافر فيه العوامل المناسبة لمعيشة كائن حي، أو مجموعة كائنات حيّة، وهذا المعنى من المعاني ذات الصلة بالمعنى اللغوي، وهو النزول والإقامة، وبهذا تتبيّن العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي.

١- (الأعراف: ٧٤).

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى،٣٦/١.

٣- (يونس: ٨٧).

٤- ابن منظور، لسان العرب ٣٦/١.

٥- الديسي، أحمد محمد، علم البيئة والعلاقات الحيوية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،١٩٩٧، ص٧.

وعرّفها المؤتمر الدولي الذي نظمته اليونسكو عام ١٩٨٦م بأنّها: (كل ما هو خارج ذات الإنسان ويحيط به بشكل مباشر أو غير مباشر، وجميع النشاطات والمؤثّرات التي يستجيب لها ويدركها من خلال وسائل الاتصال المختلفة المتوفّرة لديه).[١] ولا أجد بوناً كبيراً بين التعريفين، فالأول تحدّث عن العلاقة التفاعلية بين العوامل الحيّة والعوامل غير الحيّة في منطقة ما، والثاني تحدّث عن العلاقة بين الإنسان ككائن حي وبين ما يحيط به من الأحياء والأشياء، فموضوعهما واحد.

الثالثة: معنى علم البيئة: فقد عرّفه علماء البيئة بقولهم: العلم الذي يبحث أو يدرس العلاقة والتفاعلات المشتركة التي تحدث بين الكائنات الحيّة المختلفة، ومع المحيط الخارجي الذي تعيش فيه.[٢] وقد أصبح هذا العلم من العلوم الهامّة التي تدرّس اليوم في الجامعات والمؤسّسات التعليمية؛ لما له من أهمية كبرى في الحفاظ على البيئة، وتبصير الناس بفوائدها وخطورة الاعتداء عليها.

المبحث الثاني ـ نظرة الإسلام إلى الكون:

تعرّض القرآن الكريم لكثير من مظاهر البيئة، فذكر السماوات وما فيها من كواكب وبروج تتزيّن بها قال تعالى: «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ».[٣]

وذكر الأرض وما فيها من بحار وأنهار وأودية وسيول وسهول وجبال، ففي ذكر السماوات والأرض قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّور».[٤]

وفي ذكر الأنهار قال تعالى: «وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ»[٥]

وفي ذكر الأودية والسيول قال تعالى: «أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا».[٦] وفي ذكر الجبال قال تعالى: «وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا».[٧]

وقال في خلق الأفلاك وتنظيمها[٨]: «فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ».[٩]

وفي أصول الموجودات في الأرض بقوله: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً».[١٠]

١- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص١٥.
٢- الديسي، أحمد محمد، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص٨. علياء بوران، علم البيئة ص٩.
٣- (الملك: ٥).
٤- (الأنعام:١).
٥- (الأنعام: ٦).
٦- (الرعد: ١٧).
٧- (النازعات: ٣٢).
٨- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ٧١/٨.
٩- (الأنعام: ٩٦)
١٠- (البقرة: ٢٩)

المبحث الثالث ـ علاقة الإنسان بالبيئة:

إنّ علاقة الإنسان بالبيئة والكون تبدو من ناحيتين:

الناحية الأولى: أنّه خليفة الله في هذا الكون، وهو مسخّر لخدمته، ومكلّف باستثماره والانتفاع به، قال تعالى:«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً».[١] وهذا يقابله بالضرورة واجب يقتضي المحافظة على ما فيه من موارد وخيرات وموجودات.[٢]

الناحية الثانية: أنّ الكون مجال رحب للتدبّر والتفكّر والتأمّل؛ وذلك للوصول إلى معرفة خالقه ومدبّره، فقد ندب القرآن الكريم إلى الفكر والتفكّر، وحثّ الناس عليه في مواضع كثيرة، كما لفت القرآن نظر الإنسان إلى الكون بما فيه من مخلوقات حيّة وجامدة من إنسان وحيوان وجبال وأنهار وأشجار وأحجار وكواكب وأقمار ونجوم وليل ونهار، واحتوى في ذكره لهذه الموجودات بعضاً من صفاتها وخصائصها.[٣] ومن هذه الآيات الكريمة:

- «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».[٤]
- «أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَت».[٥]والمعنى: أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور؛ ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور؛ ويسمعوا إنذارك؛ ويستعدوا للقائه بالإيمان والطاعة.[٦]

فهذه الآيات السابقة ذكرت كثيراً من مظاهر هذا الكون الفسيح وموجوداته ومخلوقاته من إنسان وحيوان ونبات، فذكرت الإبل، وذكرت الأرض والسماء والجبال، ثمّ دعت الإنسان إلى التفكّر في هذه المخلوقات، وأخذ العبرة منها للتوصّل إلى حقيقة الإيمان بالله تعالى، وهذا يفهم من مفردات وعبارات ذكرتها هذه الآيات وغيرها منها: «لأولي الألباب»، «لأولي النّهى»، «للموقنين»، «أفلا تبصرون»، «ويتفكّرون في خلق السماوات والأرض»، «وزيّناها للناظرين»، «أفلا ينظرون؟».

وقد عنى الإسلام بالبيئة والكون عناية كبيرة، وحثّ على الاهتمام بهما والمحافظة عليهما، وشرع لتحقيق ذلك كماً كبيراً من التشريعات التي تهدف إلى تحقيق التوازن البيئي والاستقرار في

١- (البقرة: ٣٠).
٢- شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٦، ص١٩.
٣- الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨، ص ٢٥.
٤- (آل عمران: ١٩١).
٥- (الغاشية: ١٧ - ٢٠).
٦- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ، ١٥١/٩.

هذا الكون الفسيح. وقد اعتبر الإسلام حماية البيئة ورعايتها مسؤولية جماعية، وهي أمانة في أعناق الأمّة تتحمّل وزر التقصير في أدائها أمام الله تعالى.

وقرّر الإسلام أنّ ما في هذا الكون من مخلوقات حيّة كالحيوانات والنباتات، وغير حيّة كالأرض والسماء والليل والنهار، سخّرت وذلّلت لخدمة الإنسان ونفعه ورعايته وبقائه، فالأرض وما فيها من خيرات تحقّق هذا المقصد الرباني العظيم، والسماء وما ينزل منها من ماء مبارك جزء من هذا الكون، وآية من آيات الله تعالى، ونعمة عظيمة لكل المخلوقات على هذه البسيطة الواسعة، وما فيها من شموس وكواكب وهواء وليل ونهار مسخّرة لخدمته أيضاً، قال تعالى: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».[1]

والحيوانات في هذا الكون نعمة من نعم الله على هذا الإنسان، لها وظائف حيوية وجمالية وتزيينية.[2] ولأهميتها أمر الله نبيه نوحاً عليه السلام أن يحمل معه في السفينة من كل زوجين اثنين حفاظاً عليها من الانقراض، وما ذلك إلا لفوائدها الجمّة على الكون والإنسان والحياة، فإنّ فيها منافع كثيرة مسخّرة لخدمته، فهي مظهر من مظاهر الجمال والزينة قال تعالى: «وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ».[3]

والنباتات من أشجار وأزهار وخضار وفواكه وحبوب وغير ذلك كلّها مسخّرة لإشباع رغبات الإنسان والحفاظ على حياته وصحته. قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».[4]

والبحار والأنهار والمحيطات وما فيهما من نعم حيّة من أسماك وحيتان، وغير حيّة من لؤلؤ ومرجان وغير ذلك، فيها متاع للناس وفوائد جمّة، قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ».[5]

والمعادن من حديد وذهب وفضة ونحاس وغيرها كلّها تحت تصرّف الإنسان وفي خدمته، يصنع منها سلاحه العسكري ومتاعه المدني، قال تعالى: «وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ

١- (البقرة:١٦٤).
٢- حماية البيئة في الإسلام، الاتحاد الدولي لصون الطبيعة، منشورات مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية ص١٢.
٣- (النحل: ٨).
٤- (الأنعام: ٩٩).
٥- (النحل: ١٤).

للنّاس[1] وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ».[2] ويصنع منها متاعه وأدواته من قدور وجفان وغير ذلك. وقال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ، أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».[3] ومعنى سابغات: دروعاً واسعة تامّة.[4] وقال تعالى: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ».[5] عن ابن عباس القطر: النحاس، أسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل الماء، وكانت بأرض اليمن، ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله، وكان لا يذوب، ومن وقته ذاب، وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله تعالى لسليمان.[6]

إنّ هذه النعم الكثيرة وغيرها في هذا الكون لا تعد ولا تحصى، وهي مخلوقة لراحة الإنسان، ومسخرة لخدمته واستمراره؛ ليقوم بمهام الخلافة والأمانة التي حملها على أكمل وجه وأتمّ حال، ويقع عليه واجب الحفاظ عليها وصونها وحمايتها، ويحرم عليه هدرها وإتلافها بغير حق. فالشرع قد نهى عن إتلاف المال، بل عن إتلاف أو إضاعة أدنى كمية منه، كاللقمة تسقط من اليد.[7] جاء في كتاب «حاشية ابن عابدين»: (ولا يجوز إهلاك شيء من المال بلا انتفاع أصلاً كقتل الدابة بلا سبب موجب).[8] ومن أهلك شيئاً بغير حق فعليه ضمانه قال ابن جزي في كتاب «القوانين الفقهية»:(الاستهلاك بإتلاف الشيء كقتل الحيوان، أو تحريق الثوب كلّه، أو تخريقه، وقطع الشجر، وكسر الفخار، وإتلاف الطعام والدنانير والدراهم، وشبه ذلك، ويجري مجراه التسبيب في التّلف، كمن فتح حانوتاً لرجل، فتركه مفتوحاً فسرق، أو فتح قفص طائر فطار، أو حلّ دابّة فهربت، أو أوقد ناراً في يوم ريح فأحرقت شيئاً، أو حفر بئراً بحيث يكون حفره تعدياً، فسقط فيه إنسان أو بهيمة، فمن فعل شيئاً من ذلك فهو ضامن لما استهلكه أو أتلفه، أو تسبب في إتلافه، سواء فعل ذلك كلّه عمداً أو خطأً).[9] كما شرع الإسلام الحجر على من يتلف شيئاً من ماله لغير ضرورة. قال ابن المنذر: الإنسان ممنوع من إتلاف المال في غير حال الضرورة، لأنّ ذلك محرّم، وفاعله عاصٍ، يجب أن يحجر عليه.[10]

١- البأس الشديد: السيوف والسلاح الذي يقاتل الناس بها. وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ: أي يحفرون بها الأرض والجبال وغير ذلك. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠١/١٩٨٨،٢٣.
٢- (الحديد:٢٥).
٣- (سبأ:١٠-١١).
٤- النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. بلا، ١٤٧/٣.
٥- (سبأ: ١٢).
٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ١٩٨٥م، ٢٧٠/١٤.
٧- عويضة، محمود عبد اللطيف، الجامع لأحكـــام الصلاة، ١٣٦/١، دار الوضاح، عمان، الأردن، الطبعة الأخيرة،٢٠٠٤.
٨- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢١هـــ-٢٠٠٠م، ٥٠٢/٤.
٩- ابن جزي، القوانين الفقهية، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، بلا طبعة، ص٢١٨.
١٠- الموسوعة الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ١٣/٩٣.

إنّ الإنسان مكلّف بالعناية ببيئته وما فيها من حيوان ونبات ومياه ومعادن وأغذية وغير ذلك، وهو جزء من مفهوم استخلافه في الأرض واستعماره فيها، قال تعالى: «وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا».[1] فقد نهى الله تعالى الإنسان في هذه الآية عن التخريب والفساد في بيئته المحيطة به؛ لما في ذلك من تهديد لاستقراره وديمومته، ونقض لعقد الخلافة الذي أبرمه مع خالقه العظيم حين تفرّد بحمل الأمانة والرسالة. قال الرازي: مقتضى هذه الآية تحريم المضار مطلقاً.[2]

ويمكن تلخيص علاقة الإنسان بالكون في النقاط الآتية:[3].

١. خلق الله الكون لمنفعة الإنسان وسخّر ما فيه من موارد ومصادر وأنظمة بيئية برية وبحرية وفضائية ونواميس كونية لخدمته.

٢. جعل الله تعالى الموارد والمصادر البيئية في هذا النظام تدور في دورات بديعة لصالح البشر.

٣. نظّم الإسلام علاقة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها.

٤. الإفساد في البيئة جريمة نهى الإسلام عنها وحذّر من عواقبها الوخيمة.

٥. .أمر الله تعالى بالمحافظة على ما سخّره لنا من نعم حتى تدوم ولا تنقطع.

٦. عندما خالف الإنسان تعاليم الله تعالى في تعامله مع الكون ظهرت المشكلات البيئية بأنواعها المختلفة.

٧. إذا أراد الإنسان أن يصلح ما أفسد في بيئته فعليه أن يعود إلى منهج الله ودينه فهو أقصر الطرق وأضمنها لتحقيق هذا الإصلاح ونيل الفوز والصلاح.

١- (الأعراف: ٨٥).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٤١٣/٩.

٣- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٣٥٨ (بتصرّف).

الفصل الثاني

منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة

المبحث الأول ـ أهمية الحفاظ على البيئة:

من المعروف أنّ البيئة الطبيعية هي كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر أو مكوّنات طبيعية حيّة أو غير حيّة من خلق الله تعالى، ممثّلة في مكوّنات سطح الأرض من جبال وهضاب وسهول ووديان وصخور وتربة، وعناصر المناخ المختلفة من حرارة وضغط جوي ورياح وأمطار وأحياء مختلفة، إضافة إلى موارد المياه العذبة والمالحة، وهي بيئة أحكم الله خلقها، وأتقن صنعها كماً ونوعاً ووظيفة وكيفية وصفة. قال تعالى: «وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ».[1] عن ابن عباس في قوله تعالى: «صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أي: أحسن كل شيء خلقه وأتقنه.[2] وعن قتادة قال: أحسن كل شيء.[3]

وقد أوجد الله تعالى هذه البيئات بمعطيات أو مكوّنات ذات مقادير محدّدة وبصفات وخصائص معينة، بحيث تكفل لها هذه المقادير وهذه الخصائص القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للبشر وباقي الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه الحياة على الأرض. يقول الحق –عزّ وجل–: «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً».[4] قال الطبري: «فقدّره تقديرا» أي فسوّى كل ما خلق وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.[5]

إنّ البيئة الطبيعية في حالتها العادية دون تدخل مدمّر أو مخرّب من جانب الإنسان تكون متوازية متوازنة على أساس أنّ كل عنصر من عناصرها قد خلق بصفات محدّدة وبحجم معين بما يكفل للبيئة توازنها. ويؤكّد ذلك كم هائل وحاشد من آيات الله تعالى المنثورة في كتابه العزيز:

– قال تعالى:«إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ».[6] قال ابن عطيّة: تقدير الأشياء هو حدّها بالأمكنة والأزمان والمقادير والمصلحة والإتقان.[7]

١– (النمل: ٨٨).
٢– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر، بيروت،١٩٩٣م، ٣٨٥/٩.
٣– المرجع السابق ٣٨٥/٩.
٤– (الفرقان: ٢).
٥– الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٣٦٣/٩. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م، ٧٢/٦.
٦– (القمر: ٤٩).
٧– الشنقيطي، أضواء البيان ٨/٦.

-«وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ».[1] ومعنى الآية: أي أنبتنا في الأرض ما يوزن من الجواهر والحيوانات والمعادن.[2] وقيل: موزون بميزان الحكمة ومقدّر بقدر الحاجة. وقيل: الموزون: هو المحكوم بحسنه كما يقال: كلام موزون أي حسن[3] فالله تعالى نظّم هذا الكون على أسس وقوانين وسنن غاية في الحكمة والشمولية والدقّة.[4] وبناء على ذلك فإنّ كل ما يقوم به الإنسان من أعمال تضر بالبيئة وتؤثّر عليها يخل بالتأكيد بهذا التوازن الذي أراده الله تعالى لها.

لقد نشأت ثقافة الحفاظ على البيئة في الإسلام من خلال تنمية المعارف والقدرات والقيم والاتجاهات لدى جميع أبناء الأمة تجاه البيئة بكل مكوّناتها ومظاهرها وعناصرها الأساسية من أرض وتربة وسماء وهواء ونبات وغذاء وحيوان وغير ذلك، ومن خلال خلق الوعي والإحساس بالمسؤولية لديهم بوجوب المحافظة عليها وعدم استنزافها، وعدم هدر مواردها وخيراتها وبركاتها أو إساءة التعامل معها.

وقد اهتم الإسلام بكل ما يساعد على ترسيخ هذه المفاهيم وتجذيرها في نفوس الناس، من خلال عنايته بحياة الإنسان وكل ما يحيط به من كائنات ومخلوقات، والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدّث عن البيئة وما فيها من كائنات ومخلوقات وعلاقتها بالإنسان بلغت الآلاف، وهو رقم كبير يدل على مدى اهتمام القرآن العظيم والسنة النبوية وعنايتهما بالبيئة والكون، بل إنّ كثيراً من سور القرآن الكريم سمّيت بأسماء بعض ما تحويه هذه البيئة من عناصر حيّة وعناصر جامدة لا حياة فيها، ومظاهر كونية مختلفة. فمن العناصر الحيّة (الحيوانات) مثلاً: سورة النحل، العاديات، الأنعام، النمل، البقرة، العنكبوت، والفيل. ومن العناصر الحيّة (النباتات): التين. ومن العناصر الطبيعية غير الحيّة: سورة النجم، القمر، الشمس، البروج، الحديد. ومن المظاهر الكونية: سورة الرعد، وسورة التكوير، الانفطار، الفجر، الليل، الضحى، وغير ذلك.

المبحث الثاني ـ مقاصد الحفاظ على البيئة[5]:

إنّ حفظ البيئة وحمايتها غاية عظيمة لكل دولة في زماننا المعاصر، وهي على سلّم الأولويات والخطط والاستراتيجيات بالنسبة لها، وهي تبذل قصارى جهودها، وتنفق الملايين من أموالها؛ لتصل إلى تحقيق هذه الغاية وبلوغها، وذلك لتحقيق الأهداف التالية:

١- (الحجر: ١٩)
٢- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٠.
٣- الشوكاني ، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٨٠/٣.
٤- الموصلي، سامي احمد، الإعجاز العلمي في القرآن، دار النفائس، ط١، ٢٠٠١م، ص٦٨. الشوكاني، فتح القدير ١٨٠/٣.
٥- الريسوني، قطب، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ،ص ٢١٥.

المقصد الأول ـ حفظ التوازن البيئي:

وقد أشارت آيات قرآنية كثيرة إلى هذا التوازن أذكر منها:

أ. قال تعالى: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ».[1] فالله تعالى خلق كلَّ شيء في هذا الكون بحســاب ومقدار ونظام محكم، فلا عبث في هذا الخلق.

ب. قال تعالى: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ».[2] يقول جل ثناؤه: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت، يعني من اختلاف.[3]

جـ. وقال تعالى: «اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ».[4] قوله: «وكل شيء عنده بمقدار» أي: بحد لا يتجاوزه ولا يقتصر عنه.[5]

د. قوله تعالى: «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً».[6] قال الطبري: قوله: (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا): فسوّى كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.[7]

وممّا يدل على ذلك ما ذكره «موريسون» في كتابه (العلم يدعو إلى الإيمان) أنّه ظهر في أمريكا في فترة من الزّمن نبات «شيطاني» نما وتفرّع واتّسع وانتشر، حتى غدا النّاس يقاومونه، ولا يجدون له حيلة، ولا يهتدون سبيلاً، حتى اكتشف بعض العلماء حشرة معيّنة، فسلّطوها على هذا النّبات فأعادت التّوازن.[8]

وقد حُكي أنّ بلدة ما كان فيها بعض السّباع التي أقلقت النّاس، فخطّط أهل القرية للقضاء عليها، وتربّصوا بها يوماً فأعملوا فيها السّلاح حتى أفنوها. وفي اليوم التّالي فوجئ أهل القرية بجيوش من القرود زحفت عليهم من الجبال من حولهم، هددت حياتهم وزرعهم وضرعهم، فقد كان وجود السّباع هو الحائل لها دون اقتحام القرية وغزوها.[9]

فهذه الحوادث وغيرها دليل ساطع على أنّ الكون يسير وفق ناموس إلهي مقدّر ومحكم ومتوازن، وإن أي عبث به أو تدخل غير محسوب من البشر سيؤدي حتماً إلى اختلال هذا التوازن وفساد هذا النظام.

١- (السجدة: ٧).
٢- (الملك: ٣).
٣- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٥٠٦/٢٣.
٤- (الرعد: ٨).
٥- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هــ -٢٠٠١م، ٨٩/٧.
٦- (الفرقان: ٢).
٧- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٢٣٦/١٩.
٨- القرضاوي، يوسف، «البيئة في الإسلام»، ورقة عمل مقدمة في المؤتمر العام الخامس عشر لأكاديمية آل البيت الملكية، ٢٧-٢٩/٩/٢٠١٠، عمان، الأردن، ص ٥٠.
٩- المرجع السابق ص ٥٠.

هـ- قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ».[1] فتحريم الصيد في أماكن خاصّة وأوقات خاصّة من شأنه أن يحمي الحيوانات والطّيور والنّباتات من الانقراض، فيحافظ هذا الإجراء على سلالاتها وأنواعها، ومن المعلوم أنّ كثيراً من الدول تلجأ إلى إقامة المحميات الطبيعية لتحقيق هذا التوازن، ففي بعض الدول العربية أقيمت محميّات طبيعية لحماية بعض الحيوانات المهدّدة بالانقراض كالغزلان والمها العربي.[2]

المقصد الثاني ـ محاربة الإفساد في الأرض:

فالقارئ لكتاب الله تعالى يجد سيلاً من الآيات القرآنية التي تنهى عن الفساد في الأرض بكل أشكاله وألوانه وأنواعه، ولا يشك عاقل ذو لب أنّ تلويثَ البيئة من أكبر الفساد وأخطره؛ لأنّه يمس الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة لحفظها والقيام عليها وهي حفظ النفس، وحفظ الدين، وحفظ النسل، وحفظ العرض، وحفظ المال، وأي إخلال بها يؤدّي إلى اختلال النظام الكوني برمته. ومن هذه الآيات:

- قال تعالى: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ»[3] فإهلاك الحرث حرقه الزرع، وإهلاك النسل قتله الدواب، وعلى القول بالعموم فالمعنى مبالغته في الفساد، وعبر عن ذلك بإهلاك الحرث والنسل؛ لأنهما قوام معيشة ابن آدم، فإنّ الحرث هو الزرع والفواكه وغير ذلك من النبات، والنسل هو الإبل والبقر والغنم وغير ذلك ممّا يتناسل.[4]
- قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».[5] وممّا يذيقهم بسبب الفساد الجدب، والموتان، وكثرة الحرق، والغرق، وإخفاق الغاصة،[6] ومحق البركات وكثرة المضار، أو الضلالة والظلم.[7]
- «فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ».[8] أي تمرّدوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالإفساد والأذية للناس.[9] ومن ذلك في عصرنا ما ينجم عن الحروب والاقتتال من ملوّثات متعدّدة تضرّ بحياة الكائنات الحيّة وغيرها.

١- (المائدة: ٩٥).
٢- الحفيظ، عماد محمد ذياب، البيئة حمايتها تلوثها مخاطرها، دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، ص٣٠.
٣- (البقرة: ٢٠٥).
٤- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، الطبعة الرابعة، ٧٦/١.
٥- (الروم: ٤١).
٦- الغاصة: من الغوص وهو الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ. والغاصة مستخرجوه. ابن منظور، لسان العرب ٦٢/٧.
٧- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار المصحف، القاهرة، مصر، بلا،٦٢/٧.
٨- (الفجر: ١٢).
٩- تفسير ابن كثير ٥٠٩/٤.

المقصد الثالث ـ تحقيق رسالة الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة:

قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً».[١] والاستخلاف يقتضي من المستخلَف أن يلتزم بأوامر المستخلِف – عزّ وجل –، وهذه الأوامر والنواهي تدعو إلى المحافظة على البيئة وحمايتها، وتنهى عن تخريبها وتدميرها. بل إنّ وظيفة الاستخلاف لا يمكن تحقيقها في ظل بيئة تعاني من الدّمار والخراب والإهمال.

المقصد الرابع ـ الانتفاع والاستمتاع بالموارد وتحقيق التنمية:

فقد أحلّ الله لنا كثيراً من الطيبات وحرّم علينا كثيراً من الخبائث، وسخّر لنا من مخلوقاته الحيّة وغير الحيّة ما يمكن أن ننتفع به ونتلذّذ بخيراته، وما يعيننا على تحقيق الخلافة في الأرض، وأداء الأمانة المنوطة بنا، فكل ما في السماوات والأرض مسخّر لخدمتنا؛ لهذا وجب علينا المحافظة عليه؛ لأنّ القاعدة الشرعية تقول: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». فلا تقوم الخلافة دون بيئة صحية وأرض نظيفة وموارد كثيرة. والآيات التي تحث على الاستمتاع والانتفاع بموارد البيئة والأرض كثيرة قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ».[٢]

فهذه الآيات تحثّ المسلم على العمل والاجتهاد في طلب الرزق والاستفادة من خيرات بيئته المحيطة به دون إسراف أو طغيان، ثمّ وجب عليه أن يشكر ربه على هذه النعم والخيرات بعبادته والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

المقصد الخامس ـ التفكّر والإيمان والانقياد لله سبحانه:

قال تعالى: «كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى».[٣] فإنّه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنّه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبّره، ومن هو على كل شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة والشّقاء والسّعادة.[٤] وقال البغوي في تفسير هذه الآية: ليدلهم ذلك على قدرة الله؛ ويعرفوا أنّ لها صانعاً قادراً مدبّراً حكيماً.[٥]

وحكي أنّ سفيان الثوري –رضي الله عنه– صلّى خلف المقام ركعتين، ثمّ رفع رأسه إلى السماء، فلما رأى الكواكب غشي عليه، وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته.[٦]

١– (البقرة: ٣٠).
٢– (البقرة: ١٧٢).
٣– (طه: ٥٤).
٤– الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٣/٥٥٠.
٥– البغوي، أبو محمد الحسين الفراء، تفسير البغوي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك،١/١٥٢.
٦– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٠١.

وروى ابن القاسم عن مالك قال: قيل لأم الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء ؟ قالت:كان أكثر شأنه التّفكّر. قيل له: أفترى التّفكّر عملاً من الأعمال ؟ قال: نعم هو اليقين.[١] قال ابن عوان: (الفكرة تذهب الغفلة، وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات، وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة).[٢] وأنشد الحسين بن عبد الرحمن:

نزهة المؤمن الفكر لذة المؤمن العبر.[٣]

وأنشد آخر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.[٤]

المقصد السادس ـ حفظ المقاصد الخمسة (الحياة):

وهي الدين والنفس والعقل والنسب والمال. فالحفاظ على البيئة حفاظ عليها جميعاً، وفساد البيئة يعني ضياع هذه المقاصد وفسادها، وقد جمعتها سورة الأنعام المكيّة من الآية (١٥١) إلى تمام ثلاث آيات بعدها جمعت الوصايا العشر لهذه المقاصد الخمسة.[٥]

ولا شك أنّ الاعتداءات على البيئة مشعرة باختلال الضرورات الخمس الواجب رعايتها في جميع الأديان التي بحفظها صلاح المعاش والمعاد ونظام أحوال الدارين.[٦] فالتلوّث البيئي سبب في موت الآلاف، وهذا يتناقض مع مقصد الأديان في حفظ النفس، وتشير الإحصائيات إلى أنّ ملوثات الهواء وحدها تتسبب في موت حوالي خمسين ألف شخص سنوياً، حيث تمثّل هذه النسبة حوالي ٢ ٪ من النسبة الإجمالية للمسبِّبات الأخرى للموت.

ومن أكثر العناصر المزعجة في هذا المجال هو الدخان المنبعث من التبغ أو السجائر والذي يقتل حوالي ثلاثة ملايين شخص سنوياً، ومن المتوقّع أن تزيد هذه النسبة إلى عشرة ملايين شخص سنوياً في الأربعة عقود القادمة إذا استمر وجود مثل هذه الظّاهرة.[٧] كما أنّ التدخين سبب في إهدار واستنزاف الأموال والموارد الطّائلة على حساب التعليم والصحة وتوفير آلاف الوظائف للعاطلين عن العمل، وهذا يتناقض مع مقصد الدين في حفظ المال، وعلى سبيل المثال لا الحصر تشير تقارير منظمة الصّحة العالمية ودراسة صحية حديثة أعدتها الجمعية الخيرية للتوعية بأضرار التدخين والمخدرات بمنطقة مكة المكرمة إلى أنّ هناك ثمانية ملايين مدخّن في المملكة العربية السعودية، ومن المتوقّع أن يصل عددهم إلى عشرة ملايين مدخّن عام (٢٠٢٠م)، وأنّ المملكة تمثّل المرتبة الرابعة عالمياً بسبب إنفاق حوالي ٣،٨٤ مليار دولار على الدخان سنوياً،

١- المرجع السابق ٣٠١/٤.
٢- المرجع نفسه ١٥٢/١.
٣- تفسير ابن كثير ٥٨٠/١.
٤- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣٠١/٤.
٥- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م،١٥٣/١.
٦- العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٩٧٩م، ٨٥/٢.
٧- مقالة بعنوان: «التلوّث البيئي ومخاطره على صحة الإنسان». على الموقع الالكتروني: http://www.jeeran.com/3loom/a/node/16697.

وتقدّر خسارتها على التّدخين أكثر من عشرين مليار سنوياً كما جاء في دراسة ميدانية عن عوامل التّدخين وآثاره وأبعاده الإنسانية التي أعدّها الأستاذ سلمان بن محمد العُمري وضمّها في كتاب بعنوان: (ظاهرة التّدخين في المجتمع السعودي).[١]

وتنفق مصر على التّدخين ما قيمته مليار دولار سنوياً، وخسارة الاقتصاد المصري من التّدخين ما يقارب ستة مليارات دولار سنوياً. أمّا الفلسطينيون فينفقون ما يُقارب ٤٥٠ مليون دولار سنوياً على الدخان، وهذا يكفي لتوفير ١٢٠ ألف فرصة عمل لو أنفقت في الاتجاه الصحيح[٢] من هنا ندرك حجم العبء الاقتصادي الذي يشكله التدخين على اقتصاديات الدول العربية وبشكل خاص على اقتصادنا الفلسطيني الهش والضعيف أصلاً، ويجب أن يدفع هذا الخطر باتجاه اعتماد سياسات واستراتيجيات وطنية شاملة للتقليل من الآثار الصحية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية التي تهدّدنا جميعاً.

وفي أحدث تقرير نشرته منظمة الصّحة العالمية لمنطقة شرق المتوسّط خلال احتفالها باليوم العالمي للامتناع عن التّدخين والذي عقد في القاهرة يوم الاثنين ٣١ مايو ٢٠٠٤م كشف الملف الذي رفعته المنظمة عن أوضاع خطيرة حول إنفاق بعض الأسر على التدخين، حيث أشار الملف إلى أنّ هناك عائلات لا تجد ما تنفقه على المأكل والملبس والتعليم، ولا يتورّع رب أسرتها عن توجيه ثلث دخله المتواضع إلى شراء منتجات التبغ!!

كما أشار الملف إلى أنّ هناك ٣,١ مليار مدخن في العالم منهم ٨٤٪ تقع في البلاد ذات الدّخل المنخفض والمتوسط. وتوقّعت تقارير المنظمة أن يرتفع هذا الرقم إلى مليار و(٧٠٠) مليون مدخّن في عام ٢٠٢٥م.[٣]

كما يؤثّر التلوّث على القطاعات الاقتصادية التي لها علاقة بالعالم الخارجي،كقطاع النفط والسياحة والنقل الجوي والبحري بما في ذلك الصادرات، فضلاً عن قطاع الاستثمارات الأجنبية، بسبب الآثار الاقتصادية التي تؤدّي إلى ارتفاع الأسعار بسبب ارتفاع العملات الأجنبية، وتأثّر المنشآت السياحية وغيرها، وهذا يؤدّي إلى تسريح كثير من الموظفين والقوى العاملة؛ مما يزيد نسبة البطالة واتساع رقعة الفقر.[٤] وعلى سبيل المثال تشير الإحصائيات إلى أنّ خسائر المملكة العربية السّعودية في ظل تأثير التلوّث النّفطي الناتج عن حرب الخليج الثانية على مواردها الطبيعية والنّظام الايكولوجي[٥] والصّحة العامّة تقدّر بالمليارات، وأنّ هذه الموارد التي سيعتمد عليها ما يقارب من خمسة ملايين إنسان خلال العقود المقبلة سيزيد ضرر التلوّث عليها، وبالتالي سيتعرّض أمنهم الغذائي للخطر.[٦]

١- مقالة بعنوان: «التّدخين في السّعودية دراسة تكشف أرقاماً مخيفة». صحيفة أبناؤكم الالكترونية، الاثنين/٢١ سبتمبر 2009م.http://www.anbacom.com/news.php?action=show&id=33. مقالة بعنوان:«التبغ وأخطار بالغة على صحة الإنسان». على الموقع: http://samtah.net/vb/showthread.php?t=56318.

٢- مقالة بعنوان:«على حساب التعليم وفرص العمل»، موقع وزارة الصحة الفلسطينية، http://moh.ps/?lang=0&page=4&id=279.

٣- شبكة النبأ المعلوماتية، مقالة بعنوان: «أرقام حول العرب والعالم» على الموقع الالكتروني: http://www.annabaa.org/nbanews/66/058.htm .

٤- صحيفة (٢٦ سبتمبر)، العدد (١٠٥٩)، ص ١٤، الثلاثاء ٤ مارس/ آذار ٢٠٠٣.

٥- الأيكولوجي: دراسة المحيط أو الوسيط الذي نعيش فيه. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ١٧.

٦- ساري الساري، مقالة بعنوان: «تلوّثت شواطئ السعودية بالنفط»، صحيفة عكاظ، الخميس ٤ /نوفمبر /٢٠٠٤م.

وقد أظهرت دراسة لسجلات الأمطار في شرق الصين الصّناعي أنّ تلوّث الهواء سبب انخفاض هطول الأمطار الخفيفة التي تعتبر عصب حياة الزّراعة، ممّا يكلّف الحكومة خسائر بعشرات الملايين من الدولارات، مشيرة إلى أنّ من شأن تخفيض التلوّث أن يخفّف من حدة الجفاف.(١)

وتسبّب الملوّثات الإشعاعية والكيماوية العقم لدى الرجال والنساء، وهذا يتناقض أيضاً مع مقصد الأديان السّماوية في حفظ النسل. فقد كشف استشاري جراحة المسالك البولية والعقم الدكتور عيسى أمين أنّ السّجلات الطبية تسجّل من (٤ – ٥٪) حالات عقم بين الشّباب البحريني شهرياً مرجّحاً بأنّ السبب الرئيس في ذلك التلوّث البيئي والصّناعي اللذان يعتبران سبباً لا يستهان به في عقم الرجال.(٢)

أمّا بالنسبة لتأثير التلوّث على مقصد العقل فقد أظهرت الدراسات أنّ التلوّث البيئي، وإساءة استخدام العقاقير، إلى جانب التّدخين وتناول الكحوليات أثناء الحمل وسوء التّغذية تسبب التخلّف العقلي للجنين.(٣)

المقصد السابع ـ حماية الأمن القومي:

فقد أصبح التلوّث يشكّل خطراً على أمن الدّول واقتصادها ووجودها، ولن تسلم من هذا الخطر دولة قوية أو ضعيفة، فالخطر شامل وحقيقي، فعلى سبيل المثال حذّر مسئولون أمنيون في الولايات المتحدة الأميركية من أنّ التغيرات المناخية ستؤدّي إلى «إنهاك» الجيش الأميركي خلال العقود المقبلة، وتدمير كثير من قواعده العسكرية الضخمة في أنحاء متفرّقة من العالم، كما أنّه من المتوقّع أن يكون لها تأثير قوي على أداء الجيش في حروبه القادمة؛ وهو ما يهدّد الأمن القومي للبلاد.

ونقلت صحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية إنّ من ضمن التأثيرات الخطرة للتغيّرات المناخية أنها ستتسبب في أزمات اقتصادية واجتماعية ستؤدّي لقلب نظم حكم، وتغذّي ما يسمونه "الجماعات الإرهابية"؛ وهو ما سيجلب أعباء ثقيلة على الجيش الذي سيضطر للتدخّل بالجنود والأموال في تلك الدول المضطربة، خاصّة تلك التي تمثّل أهمية حيوية لهم.

كما أنّ هذه الأزمات ستستنزف من إمكانيات الجيش الذي سيضطر كذلك لإرسال طائرات عسكرية تحمل مساعدات عاجلة وجنوداً للمساعدة في إغاثة المتضرّرين في الدول المنكوبة بالفيضانات أو العواصف، كما حدث قبل ذلك في بنجلاديش وعدد آخر من دول جنوب شرق آسيا بحسب الصحيفة.

١– مقالة بعنوان: «التلّوث يحجب المطر شرق الصين»، صحيفة "لوس أنجلوس تايمز" على الموقع الالكتروني:
.آب (أغسطس)/ 2009م/17. http://www.saudionfocus.com/ar/forum/showthread.php?t=89308

٢– مقالة بعنوان: «ظاهرة العقم تنتشر بين الشباب البحريني» على الموقع الالكتروني:
.آب/21/2009. http://www.acaciabahrain.com/showArticle.php?id=303

٣– علياء بوران حاتوغ. أبودية، محمد حمدان، علم البيئة، دار الشروق، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٩٦. ٢٤٢. مقالة بعنوان: «التخلّف العقلي». وهي عبارة عن لقطة شاشة للصفحة كما ظهرت في ٤/آب/٢٠٠٩
http://health.9ll9.com/Disability/MentalDisabilities/MentalRetardation..

وقال الجنرال «أنثوني زيني» المتقاعد في سلاح البحرية ورئيس القيادة المركزية السابق: (يجب أن ندفع باتجاه تقليل الانبعاثات الغازية اليوم وإلاّ فسوف ندفع الثمن في وقت لاحق من قدرات عسكريينا، والذي قد تتهدّد أرواحهم أيضاً).[١]

المبحث الثالث ـ التشريعات الإسلامية في الحفاظ على البيئة:

وضع الإسلام منهجاً متكاملاً للحفاظ على البيئة أرضاً وسماءً وهواءً، ماءً ونباتاً وغذاءً، أحياءً وجماداً؛ حتى تظل مصدر خير وفير واستقرار وسعادة لهذا الإنسان في كل زمان ومكان، وسلك الإسلام في الحفاظ عليها أسلوب الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، الترهيب والتحذير من تلويثها والإفساد فيها وهدر خيراتها، وترتيب العقوبة المناسبة على ذلك. والترغيب بالأجر الكبير وحسن العاقبة لمن حافظ عليها، وعنى بها وعمل على حمايتها من كل تدمير وتخريب، وقد شرع لذلك وسائل وقائية وعملية ورقابية تساهم في تحقيق هذه الأهداف السامية.

المطلب الأول: **الوسائل الوقائية**: شرع الإسلام وسائل وقائية لها أثر كبير في حماية البيئة والمحافظة عليها، ومن هذه الوسائل:

١. الاهتمام بالتربية الإيمانية بحيث ينبعث حب البيئة والمحافظة عليها انبعاثاً ذاتياً من قلب المسلم وضميره، وأن يدفعه وازعه الديني إلى ذلك، وأن يتولّد لديه شعور راسخ قوي بأنّ المحافظة على البيئة علامة من علامات الإيمان، ومظهر من مظاهره، ومقتضى من مقتضياته، بدليل قوله عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا **الله**، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[٢] فقد جعل إماطة الأذى عن الطريق درجة من درجات الإيمان وشعبة من شعبه، ولا شك أنّ الزهو والعُجب والكبر أذى في طريق سعادة المؤمن، ولا يماط هذا الأذى إلاّ بالبذاذة؛ فلذلك جعلها من الإيمان.[٣] وهو أقل درجات الأعمال، ومع ذلك فأعظم بها من صدقة، فقد غفر **الله** لمن جرّ غصن شوك عن الطريق.[٤]

وهذا يجب أن يكون دافعاً قوياً للمسلم بأن يكون عضواً فعّالاً في محيطه البيئي بحيث يعمل على حمايته والمحافظة عليه، وإن لم يفعل ذلك مع القدرة عليه فعليه أن يراجع إيمانه وتقواه، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه **الله** تعالى في الآخرة، والقانون والدولة في الدنيا، فيضيع بين الحسابين. وبهذا التفكير والاعتقاد تكون دوافع المحافظة على البيئة «سجايا روحية موجّهة قبل

١- مقالة بعنوان: «تغيرات المناخ تهدّد الأمن القومي الأميركي»، نيويورك تايمز، التاريخ: ١٤٣٠/٨/١٧هـ الموافق ٠٩-٠٨-٢٠٠٩م .

٢- رواه مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦٣/١، حديث رقم (٣٥).

٣- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، ٢١٧/٣.

٤- المرجع السابق ٢٢٦/٣.

أن تكون ضوابط قانونية أو دستورية معلّمة».[1] وقد يكون ترغيب القيم الدينية والإيمانية أكثر تأثيراً في النفوس من ترهيب القوانين وعقوبات السلاطين.

٢. الاهتمام بالتربية البيئية الإسلامية، وذلك بتنمية المعارف والقيم والاتجاهات الإسلامية لدى أفراد المجتمع وفي مؤسسات الدولة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها تجاه بيئتهم. والمقصد من ذلك صياغة سلوك بيئي رشيد لدى هؤلاء الأفراد ينسجم مع تعاليم الإسلام وتشريعاته وقواعده وأصوله، ويمكن للمناهج التربوية في جميع المراحل التعليمية، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (نظام الحسبة)، ومؤسسات الدعوة والوعظ والإرشاد عبر وسائل الإعلام بأنواعها كافّة أن تعزّز ذلك وتساهم في إيجاد أجيال واعية تحمل على عاتقها أعباء المحافظة على البيئة بشكل عام وفعّال.

المطلب الثاني: **الوسائل العملية**: شرع الإسلام وسائل وطرق عملية لها أثر كبير في حماية البيئة والمحافظة عليها، وتشمل هذه الوسائل الآتي:

الوسيلة الأولى: **المحافظة على الأرض وتجميلها**: فقد دعا الإسلام إلى المحافظة على الأرض وما فيها من مخلوقات حيّة وجامدة، فالأرض نعمة من نعم **الله** على الإنسان، فيها مأكله ومشربه ومسكنه، ومنها لباسه وزينته، وفيها راحته واستقراره، والآيات التي تظهر أهمية الأرض وفوائدها كثيرة، وقد تحدّث الإمام الرّازي صاحب «التّفسير الكبير» عن هذه الفوائد، وذكر منها ما يثلج الصّدر، ويبهج النفس، وينير القلب.[2]

وسائل المحافظة على الأرض: حثّ الإسلام على المحافظة على الأرض بالوسائل الآتية:

١. نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض وتخريبها والتمادي في تلويثها، قال تعالى: «كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ **اللَّهِ** وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ».[3]

ومن صور الإفساد في الأرض الإسراف في استغلال مواردها، وهدر خيراتها واستنزافها، ومن الإفساد فيها تلويث عناصرها الأساسية من ماء وهواء وغذاء بالملوّثات الصناعية والكيماوية والنووية وغيرها. ومن الإفساد المنهي عنه إتلاف عناصرها ونعمها في الحروب والقتال، وهو ما يأباه الإسلام إلاّ للضرورة القصوى التي تقدّر بقدرها. جاء في وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان: «ولا تعقرنّ شاة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة، ولا تحرقنّ نخلاً ولا تغرقنّه».[4]

٢. حثّ الإسلام على تجميل الأرض ونظافة ما فيها من طرق وساحات عامّة وغير ذلك، فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم–: «طهّروا أفنيتكم فإنّ

١– حماية البيئة للكيلاني ص ٢٠٣. نقلاً عن كتاب المحافظة على البيئة للريسوني ص١٩١.
٢– تفسير الرازي ٢/ ٩٦– ٩٧.
٣– (البقرة: ٦٠).
٤– رواه البيهقي،كتاب السير، باب ترك قتل من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ٨٩/٩. حديث رقم (١٧٩٢٧).

اليهود لا تطهّر أفنيتها».[١] وعن صالح بن حسان قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: «إنّ الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظّفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود تجمع الأكْباء[٢] في دورها». قال: فذكرت ذلك لمهاجر بن مسمار فقال: حدثنيه عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن النبي– صلى الله عليه وسلم– مثله إلاّ أنّه قال: «نظّفوا أفنيتكم».[٣] ففي هذا الحديث تنبيه من المصطفى –صلى الله عليه وسلم– على تحرّي الطهارة الظاهرة والباطنة، فإنّ الإسلام نظيف يحب النظافة.[٤] وهذا يقتضي من المسلم المحافظة على بيئته وتنظيفها من كل الملوّثات.

كما أمر الإسلام بالزّراعة؛ حتى تظل الأرض خضراء تسر النفوس وتحيي القلوب. فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل».[٥] وعن أنس–رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة».[٦]

٣. مكافحة التصحّر: والتّصحّر هو تحوّل كثير من الأراضي في العالم إلى مناطق صحراوية، ويهدّد التّصحّر العديد من شعوب العالم في الوقت الحاضر؛ لأنّه يقلّل من إنتاجية الأرض، ويحوّل كثيراً من الأراضي إلى مناطق لا تصلح لحياة الإنسان أو الحيوان.[٧] ويؤثّر التّصحّر على ٨٠٪ من مراعي العالم الطّبيعية حسب تقديرات برنامج الأمم المتّحدة للبيئة.[٨]

وقد واجه الإسلام التصحّر عن طريق الدعوة إلى إحياء الأرض الموات واستصلاحها واستعمارها واستثمارها وزراعتها بما يفيد الأمّة ويزيد الإنتاج، ويحقّق التنمية الاقتصادية. فقد ثبت علمياً أن فقدان الغطاء النباتي يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة في التربة والهواء مما يؤدي إلى التصحّر.[٩]

١– الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، ٢٣١/٤. حديث رقم (٤٠٥٧). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ، ٢٨٦/١.

٢– الأكباء: أي الكُناسات. ابن منظور، لسان العرب ٢١٣/١٥.

٣– أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ١٢٢/٢. حديث رقم (٧٩١). الحديث سنده حسن. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م،٥١٦/٢.

٤– المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٢٨٤/٤.

٥– الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة. ١٩١/٣.تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، حديث رقم (١٣٠٠٤). البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩ هـ– ١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ص١٦٨. قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض،٣٨/١.

٦– رواه البخاري،كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ، ٨١٧/٢. حديث رقم (٢١٩٥).

٧– أبو الفتح، حسن علي، البيئة الصحراوية العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٥٧. الديسي، احمد، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص٤٠٦.

٨– أبو الفتح، البيئة الصحراوية العربية ص ٢٥٧.

٩– سيمور، جون، بعيداً عن الفردوس، ص ١٧٨.

والأرض الموات هي الأرض المنفكة عن الاختصاصات وملك معصوم.[١] وعرّفها الرافعي الشافعي بقوله: هي الأرض التي لا مالك لها، ولا ينتفع بها أحد.[٢] وقال الماوردي: هو الذي لم يكن عامراً ولا حريماً لعامر قرب من العامر أو بعد.[٣]

وإحياء الموات جائز، بل هو مستحب.[٤] والدليل على ذلك:

أ. عن عروة قال: أشهد أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قضى أنّ الأرض أرض **الله**، والعباد عباد **الله**، ومن أحيا مواتاً فهو أحق به، جاءنا بهذا عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– الذين جاءوا بالصلوات عنه.[٥]

ب. وعن هِشَام عن أَبِيه: أَنَّ النَّبِيّ –صلَّى **اللَّهُ** عليه وسلَّمَ– قَالَ: "مَنْ أَحْيَا مَوَاتاً فَهُوَ لَهُ وَلَيْسَ لِعرقِ ظالِم حقٌّ".[٦] معنى قوله: «وليس لعرق ظالم حق»: هو أن يجئ الرجل إلى أرض قد أحياها رجلٌ قبله، فيغرس فيها غرساً غصباً؛ ليستوجب به الأرض.[٧]

جـ. وقال عمر–رضي **الله** عنه–: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له».[٨] ورأى علي–رضي **الله** عنه– إحياء الموات وأنها لمن أحياها.[٩]

وهذه النصوص في مجملها تحثّ على إحياء الأرض الموات، وقيّدته بكونه في غير حق مسلم. وإنما يملك المحيي ما أحياه بشرطين:[١٠]

الشرط الأول: أن يكون المحيي مسلماً ولو غير مكلّف إذا كانت الأرض ببلاد الإسلام أذن فيه الإمام أم لا. واشترط الإمام أبو حنيفة إذن الإمام في ذلك.[١١] وقال الإمام مالك: أمّا ما كان قريباً من العمران وإن لم يكن مملوكاً فلا يحاز ولا يعمّر إلا بإذن الإمام، وأمّا ما كان في فيافي الأرض فلك أن تحييه بغير إذن الإمام.[١٢] وقال الإمام الشافعي والإمام أحمد وأبو يوسف ومحمد من

١- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، الروض المربع شرح زاد المستقنع، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩٠هـ، ٤٢٤/٢. أبو النجا، موسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي، زاد المستقنع، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، تحقيق: علي محمد عبد العزيز الهندي،١٤٠/١.

٢- الشربيني، محمد الخطيب، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، ٣٥٦/٢.

٣- المرجع السابق ٣٥٧/٢.

٤- المرجع نفسه ٣٥/٢.

٥- رواه أبو داود،كتاب الخراج، باب في إحياء الموات. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٥/٢. حديث رقم (٣٠٧٦). قال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد. نفس المرجع والصفحة.

٦- رواه الشافعي،كتاب الجهاد، باب ما جاء في إحياء الموات. الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، مسند الشافعي ترتيب السندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٨٢. حديث رقم (٤٣٧). والحديث ذكره البخاري تعليقاً بغير إسناد. أنظر صحيح البخاري ٨٢٣/٢. وقال الدارقطني في علله: إنه أصح. الأنصاري، عمر بن علي بن الملقن، خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، ٩٩/٢.

٧- مسند الشافعي ترتيب السندي ص٣٨٢.

٨- ذكره البخاري تعليقاً، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، صحيح البخاري ٨٢٣/٢.

٩- ذكره البخاري تعليقاً، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، صحيح البخاري ٨٢٣/٢.

١٠- الإقناع للشربيني ٣٥٧/٢.

١١- ابن نجيم، زين الدين الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٣٩/٨.

١٢- عليش، محمد، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ٧٣/٨. ابن

الحنفية: لا يشترط إذن الإمام لعموم الأدلّة.[1] والذي أميل إليه هو اشتراط إذن الإمام قطعاً لدابر التنازع والتخاصم بين الناس.

الشرط الثاني: أن تكون الأرض التي يراد ملكها بالإحياء حرة وهي التي لم يجر عليها ملك لمسلم ولا لغيره. وقد أجمع العلماء على أن ما عرف ملكاً لمالك غير منقطع أنه لا يجوز إحياؤه وملكه لأحد غير أربابها.[2]

ويعمد الاحتلال الأجنبي في بلاد المسلمين إلى منع المزارعين من التنقّل بين قراهم ومدنهم التي تقدّر بالعشرات، ما يعني عدم تمكنهم من فلاحة الأرض وتركها جرداء ليصيبها التصحّر[3] والرد الحقيقي على سياسة التهجير التي ينتهجها العدو يكون بالتمسك بالأرض والارتباط بها وتعميرها، وعدم تركها بلا استصلاح؛ حتى لا يقترب العدو من مصادرتها وانتزاعها من أصحابها الشرعيين.

٤. تغريم صاحب الدابة ما أفسدته، فعن البراء بن عازب قال: كانت له ناقة ضارية فدخلت حائطاً فأفسدت فيه، فكلّم رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– فيها، فقضى أنّ حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأنّ حفظ الماشية بالليل على أهلها، وأنّ على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل.[4]

قال الإمام الشافعي:[5] إن كان ذلك بالنهار لا ضمان؛ لأنّ لصاحب الماشية تسييب ماشيته بالنهار، وحفظ الزرع بالنهار على صاحبه، وإن كان ليلاً يلزمه الضمان؛ لأنّ حفظها بالليل عليه. وقال الإمام أبو حنيفة:[6] لا ضمان عليه ليلاً كان أو نهاراً إذا لم يكن متعدّياً بالإرسال لقوله –صلى **الله** عليه وسلم–: «جرج العجماء جبار».[7]

الوسيلة الثانية: **الاهتمام بالصّحّة العامّة**: ومن الوسائل العملية في المحافظة على البيئة اهتمام الإسلام بالصحّة العامّة في جميع جوانبها، وذلك بطرق متعدّدة كما يلي:

الطريقة الأولى: أمر بالنّظافة العامّة والطهارة الجسدية ورغّب فيها؛ لأنّ فيها سلامة الإنسان من الأسقام والأمراض الضارّة، وعدم الاهتمام بها يعني انتشار الأوبئة الفتّاكة في العالم كلّه، كما أنّ النّظافة تزيد الإنسان بهاءً وجمالاً. والطّهارة أوّل الأسس في حماية البيئة والنّفس، والتحرّز عن المؤذيات والمضارّ.[8]

عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ، ٢٨٥/٢٢.

١- ابن نجيم، البحر الرائق ٢٣٩/٨. التمهيد لابن عبد البر ٢٨٥/٢٢. الإقناع للشربيني ٣٥٧/٢. ابن قدامة عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ٣٤٧/٥.

٢- التمهيد لابن عبد البر ٢٨٥/٢٢.

٣- إياد القرا، مقالة بعنوان: «أنياب الجدار تمزّق البيئة الفلسطينية».على الموقع الالكتروني: http://www.islamonline.net/servlet/Satellite. السبت/ نوفمبر/ ١٥/ ٢٠٠٣م.

٤- رواه أبو داود، كتاب الإجارة،باب فيمن أفسد شيئاً يغرم مثله، سنن أبي داود٢٩٨/٣،حديث رقم (٣٥٧٠). تحقيق الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ٧٠/٨.

٥- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م،٢٥٩/١٩.

٦- الحصكفي، محمد بن علي بن علي الدمشقي، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ، ١٨١/٧. الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الفكر، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٣٧/١٦.

٧- رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب في الركاز الخمس. صحيح البخاري، ٥٤٥/٢. حديث رقم(١٤٢٨).

٨- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، وسطية الإسلام وسماحته، بلا طبعة، ص١٧.

ومن الأحاديث التي تحث على الطّهارة ما يأتي:

- قوله عليه الصلاة والسلام: «الطّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها».[٩]
- عن ابن عباس أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال:«طهّروا هذه الأجساد طهركم الله، فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلاّ بات معه في شِعاره[١٠] ملك لا ينقلب ساعة من الليل إلاّ قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً».[١١]
- عن عائشة قالت: إنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال:«الإسلام نظيف فتنظّفوا فإنّه لا يدخل الجنّة إلا نظيف».[١٢]
- عن أبي هريرة قال: إنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال:«تنظّفوا بكل ما استطعتم فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النّظافة ولن يدخل الجنّة إلا كل نظيف».[١٣]
- عن جابر قال: إنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «إنّ الله يحب النّاسك النّظيف».[١٤]
- عن عمرو بن حريث قال: إنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: «الطّاهر النّائم كالصائم القائم».[١٥]

وقد كان لكثير من التشريعات الدينية دور فعال في تعويد الناس على الطّهارة والنّظافة وحثّهم على الالتزام بها. ومن ذلك:

١. **حثّ على طهارة الثياب والملابس ونظافتها وجمالها في مواضع كثيرة منها:**

- أمر بنظافة الثياب وتطهيرها من الأوساخ والأدناس، وسائر الملوّثات والنّجاسات، قال تعالى: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ».[١٦] وهذا أمر بتطهير ثيابه عليه الصلاة والسلام من الأنجاس والأقذار.[١٧] وعن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أتي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بصبي فبال على ثوبه، فدعا بماء فأتبعه إياه.[١٨]

٩- أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء. صحيح مسلم ٢٠٣/١، حديث رقم (٢٢٣).

١٠- الشعار: هو ما ولى جلد الإنسان من اللباس. قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء، بلا طبعة، ص٢٦٣.

١١- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م،٧٧/١١، حديث رقم (١٣٤٤٥). الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الشاميين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، ٤٠٢/٣، حديث رقم (٢٥٥٢). المعجم الأوسط للطبراني ج٥/ص٢٠٤، حديث رقم (٥٠٨٧).قال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد للهيثمي ١٢٨/١٠.

١٢- المتقي الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين، كنز العمال، تحقيق: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،كتاب الطهارة، فضل الطهارة مطلقاً، ١٢٣/٩، حديث رقم(٢٦٠٠١).قال الألباني: ضعيف. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، بلا طبعة، ٣٦/١٢.

١٣- الهندي، كنز العمال، كتاب الطهارة، فضل الطهارة مطلقاً، ١٢٣/٩، حديث رقم (٢٦٠٠٢). قال الألباني: ضعيف. الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير ١٠٦/١٤.

١٤- الهندي، كنز العمال، كتاب الطهارة، فضل الطهارة مطلقاً، ١٢٣/٩، حديث رقم(٢٦٠٠٠). قال الألباني: ضعيف. الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير ٨١/٩.

١٥- الهندي، كنز العمال، كتاب الطهارة، فضل الطهارة مطلقاً، ١٢٣/٩، حديث رقم(٢٥٩٩٩). قال الألباني: ضعيف. الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير ٢٤١/١٧.

١٦- (المدثر: ٤).

١٧- الرازي، التفسير الكبير ١٦٩/٣٠.

١٨- رواه البخاري،كتاب الطهارة، باب بول الصبيان .صحيح البخاري ٨٩/١.حديث رقم (٢٢٠).

- أمر بنظافة الثّياب وتطهيرها من دم الحيض، فعن أسماء قالت: جاءت امرأة إلى النّبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به ؟ قال:«تحتّه، ثمّ تقرصه بالماء، ثمّ تنضحه، ثمّ تصلي فيه».[1]
- كما أمر بأخذ الزينة ولبس أفضل الألبسة خاصّة عند الذهاب إلى المساجد وفي المناسبات الدّينية كيوم الجمعة والعيدين والمناسبات الأخرى. قال تعالى: «يا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».[2]
- وعن جابر بن عبد الله قال:كانت للنبي-صلى الله عليه وسلم-جُبّة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة[3].
- عن سهل بن الحنظلية قال: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم؛ حتى تكونوا كأنكم شامة[4] في الناس، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْش،[5] وَلاَ التَّفَحُّشَ[6]».[7] فَالْهَيْئَة الرَّدِيَّة وَالْحَالَة الْكَثِيفَة دَاخِلَة أَيْضًا تَحْت الْفُحْش وَالتَّفَحُّش، وَإِنَّ اللَّه جَمِيل يُحِبّ الْجَمَال.[8]
- حثّ على غسل الجنابة (المني) من الثوب، فعن عائشة قالت: كنت أغسل الجنابة من ثوب النبي- صلى الله عليه وسلم- فيخرج إلى الصلاة وإنّ بقع الماء في ثوبه.[9] قال ابن عباس: المني بمنزلة المخاط فأمطه عنك ولو بإذخرة.[10] وقد طهّره الشرع بالفرك يابساً.[11]

٢.حثّ على طهارة الجسد ونظافته وجوباً واستحباباً في مواضع كثيرة منها:

- أوجب الغسل من الجنابة أي بعد الجماع، أو الاحتلام، أو الاستمناء، قال تعالى: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ

١- رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب نجاسة الدم وكيفية غسله. صحيح مسلم ٢٤٠/١، حديث رقم (٢٩١).
٢- (الأعراف:٣١).
٣- رواه ابن خزيمة،كتاب الجمع، باب استحباب لبس الجبة في الجمعة. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، حديث رقم (١٧٦٦)، ١٣٢/٣.
٤- شامة: وهي الخالُ وهو شامَة سوداء في البدن وقيل هي نُكْتة سوداء فيه. والجمع خِيلانٌ. ابن منظور، لسان العرب ٢٢٦/١١.
٥- الفحش: مَا يَشْتَدّ قُبْحه مِنْ ذُنُوب وَمَعَاصٍ وَيَكْثُر وُرُوده فِي الزِّنَا وَكُلّ خَصلَة قَبِيحَة فَاحِشَة مِنْ الْأَقْوَال وَالْأَفْعَال. العظيم آبادي، محمد شمس الحقّ، عون المعبود في سنن أبي داود، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٢١/٩.
٦- التَّفَحُّش: هُوَ تَكَلُّف الْفُحْش وَتَعَمُّده. المرجع السابق ١٢١/٩.
٧- رواه أبو داود، كتاب اللباس، باب مَا جَاءَ فِي إِسْبَال الإِزَار. سنن أبى داود ١٤٨/١٢. حديث رقم (٤٠٩١). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح. الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـ - ١٩٩٠م تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٧١/٦.
٨- العظيم آبادي، عون المعبود ١٢١/٩.
٩- رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب غسل المني وفركه وغسل ما يصيب من المرأة. صحيح البخاري ٩١/١، حديث رقم (٢٢٧).
١٠- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنن الترمذي ٢٠١/١. قال الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، بلا طبعة، ١١٧/١.
٣- ابن الهمام،كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨/١.

وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ».[١] روي أنهم أصابتهم جنابة، فأنزل الله مطراً، فأزالوا به أثر الاحتلام، والمفروض من غسل الجنابة إيصال الماء بالغسل إلى كل موضع يلحقه حكم التطهير من بدنه؛ لعموم قوله: «فاطهروا».[٢]

وعن عائشة– رضي الله عنها– أنّ النّبي –صلى الله عليه وسلم– اغتسل من الجنابة.[٣]

– أوجب الغسل من الحيض والنفاس: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ».[٤] قوله تعالى "فاعتزلوا النساء في المحيض": المراد به اعتزال الوطء في الفرج؛ لأنّ المحيض نفس الدم أو نفس الفرج. وقوله: "ولا تقربوهن": أي لا تقربوا جماعهن.[٥] قال النووي: (الجماع في الفرج – للحائض– حرام بإجماع المسلمين بنص القرآن العزيز والسنة الصحيحة. قال أصحابنا: ولو اعتقد مسلم حل جماع الحائض في فرجها صار كافراً مرتداً).[٦] قوله:«حَتَّىَ يَطْهُرْنَ»: يعنى بالغسل، فإنّ السنة تدل على أنّ طهارة الحائض بالغسل، وإنّ الطهر الذي يحل به جماع الحائض الذي يذهب عنها الدم هو تطهّرها بالماء كطهر الجنب، ولا يجزئ من ذلك تيمم ولا غيره، وبه قال الأئمة مالك والشافعي والطبري ومحمد بن مسلمة وأهل المدينة وغيرهم.[٧] والأذى يحصل للواطئ بالنجاسة ونتن الريح. وقيل: يورث جماع الحائض علّة بالغة في الألم.[٨] وهذا من باب سد الذّرائع.[٩]

واستحب العلماء الغسل في الحالات التالية: غسل الجمعة،[١٠] والعيدين والكسوف والاستسقاء، والإحرام للحج والعمرة، ودخول مكة، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، ورمي الجمار والطواف، والغسل من غسل الميت، والإفاقة من إغماء أو جنون لم يتيقن معه حكم، وغسل المستحاضة لكل صلاة[١١]

١– (الأنفال: ١١).

٢– الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ٣/٣٧٥.

٣– رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب صفة غسل الجنابة. صحيح مسلم ١/٢٥٣ . حديث رقم (٣١٦).

٤– (البقرة: ٢٢٢).

٥– ابن الجوزي، زاد المسير ١/٢٤٨.

٦– النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٣/٢٠٤.

٧– الدسوقي، محمد عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد عليش،١/٩١. الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، ١/٧٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/٧٨.

٨– ابن الجوزي، زاد المسير ١/٢٤٨.

٩– ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ،دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، ١/٢٩٩.

١٠– قال الترمذي: (العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم– ومن بعدهم وهو قول الأوزاعي والثوري ومالك والشافعي وابن المنذر وأصحاب الرأي. وقيل: إنّ هذا إجماع. قال ابن عبد البر: أجمع علماء المسلمين قديماً وحديثاً على أنّ غسل الجمعة ليس بفرض واجب. وحكي عن أحمد رواية أخرى أنّه واجب. وروي ذلك عن أبي هريرة وعمرو بن سليم). ابن قدامة، المغني ٢/٩٨. المباركفوري، أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوزي في شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢/٣٤.

١١– النووي، المجموع شرح المهذب ١/١٢٤. ابن تيمية، عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١/٢٠.

وقد أثبتت الدّراسات والأبحاث التي قام بها المتخصّصون أنّ الاستحمام الواحد يزيل عن جلد الإنسان أكثر من مائتي مليون جرثومة، ولأنّ هذه الجراثيم لا تتوقّف عن التّكاثر فلا بد من إزالتها بشكل دوري ومستمر.[1] وهنا تتجلّى حكمة **الله** في تشريعه، ويستبين ما قصد إليه الإسلام من الحثّ على الغسل والطهارة في أزمان مخصوصة ولأسباب مخصوصة وبكيفية مخصوصة.

٣. شرع الاستنجاء بعد قضاء الحاجة وقبل الوضوء، وجعله واجباً على من أحدث، ومن النصوص في ذلك:

قال تعالى: «لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ».[2] المراد منه الطهارة بالماء بعد الحجر، وهو قول أكثر المفسرين من أهل الأخبار.[3] فقد كان أهل قباء يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. قال الشعبي: هم أهل مسجد قباء، أنزل **الله** فيهم هذا.[4] وقال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– لأهل قباء :إنّ **الله** سبحانه قد أحسن عليكم الثناء في التطهّر فما تصنعون ؟ قالوا: إنا نغسل أثر الغائط والبول بالماء.[5] وعن أنس عن رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قال في هذه الآية: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «**يا معشر الأنصار إنّ الله قد أثنى عليكم في الطهور. فما طهوركم؟** قالوا: نتوضأ للصلاة، ونغتسل من الجنابة، ونستنجي بالماء. قال: «فهو ذاك فعليكموه».[6]

– عن عائشة قالت: ما رأيت رسول **اللَّه** –صلى **الله** عليه وسلم– خَرَجَ مِنْ غَائِطٍ قَطُّ إِلاَّ مَسَّ مَاءً[7]

جاء في حاشية ابن عابدين: (اعلم أنّ الجمع بين الماء والحجر أفضل، ويليه في الفضل الاقتصار على الماء، ويليه الاقتصار على الحجر، وتحصل السنة بالكل وإن تفاوت الفضل).[8]

– وعن علي قال: «إنهم كانوا يبعرون بعراً وأنتم تَثْلِطون ثَلْطاً[9] فأتبعوا الحجارة الماء».[10]

– عن ابن عباس أنّ النبي–صلى **الله** عليه وسلم– دخل الخلاء، فوضعت له وَضوءاً قال: «من وضع هذا». فأخبر. فقال: «اللهم فقهه في الدّين».[11]

١– القدومي، مروان علي، بحث منشور في مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات بعنوان: «الصحة الوقائية في الإسلام»، العدد السادس والعشرون، المجلد الأول، شباط ٢٠١٢، ص ١٩١.

٢– (التوبة: ١٠٨).

٣– الرازي، التفسير الكبير ١٥٦/١٦.

٤– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/٨.

٥– المرجع السابق ٢٣٥/٨.

٦– رواه ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالماء. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. ١٢٧/١، حديث رقم (٣٥٥). قال الشيخ الألباني: صحيح. التبريزي، مشكاة المصابيح ٧٩/١.

٧– رواه ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب الاِسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ.سنن ابن ماجه٤٥٨/١،حديث رقم(٣٨٢). تحقيق الألباني :صحيح. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة٤٢٦/١.

٨– حاشية ابن عابدين ٣٣٨/١.

٩– الثَّلْط: ثَلَطَ البعير والبقرة إذا خرج رقيقاً. وربّما استُعمل للإنسان أيضاً. ابن منظور، لسان العرب ٢٦٨/٧.

١٠– أخرجه البيهقي، جماع أبواب الاستطابة، باب الاستنجاء بالماء. سنن البيهقي الكبرى ١٠٦/١،حديث رقم(٥١٨). الحديث إسناده حسن. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الدراية في تخرج أحاديث الهداية، دار المعرفة، بيروت، بلا، ٩٧/١.

١١– رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء. صحيح البخاري٦٦/١، حديث رقم (١٤٣).

- وعن أنس بن مالك قال:كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام ومعنا إداوة[1] من ماء يعني يستنجي به.[2]

- وعن أنس بن مالك قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا تبرّز لحاجته أتيته بماء فيغسل به.[3] وظاهر الأحاديث يدل على مشروعية الاستنجاء قبل الوضوء لمن أحدث. جاء في كتاب «الإنصاف» للمرداوي: (ويجب الاستنجاء من كل خارج إلاّ الريح).[4]

٤.شرع الوضوء[5] لتحقيق الطّهارة، وجعله شرطاً لصحة كثير من العبادات كالصّلاة، والطّواف بالبيت الحرام، وتلاوة القرآن، فمن حرمة القرآن الكريم ألاّ يمسّه إلاّ طاهر، ومن حرمته أن يقرأه وهو على طهارة، ومن حرمته أن يستاك ويتخّلل فيطيّب فاه، إذ هو طريقه. قال يزيد بن أبي مالك: «إنّ أفواهكم طرق من طرق القرآن فطهّروها ونظّفوها ما استطعتم».[6]

ومن النّصوص التي تحثّ على الوضوء وترغّب فيه:

- قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ».[7]

- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضّأ».[8]

- دخل عبد الله بن عمر على ابن عامر يعوده وهو مريض، فقال: ألا تدعو الله لي يا ابن عمر. قال: إني سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم– يقول: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول».[9]

- عن عليّ عن النَّبي–صلى الله عليه وسلم– قال: «مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ».[10] وظاهر النصوص السابقة يدل على وجوب الوضوء قبل الصلاة لمن أحدث.

٥.نهى عن استخدام القاذورات والنجاسات في استجلاب النظافة:

- فعن أبي هريرة قال: اتبعت النبي–صلى الله عليه وسلم– وخرج لحاجته، فكان لا يلتفت،

١- الإدَاوَةُ: المِطْهَرَةُ. وقيلَ: إنّما تكونُ إداوَةً إذا كانَتْ من جِلْدَيْن. المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ٤٥١/٩. مادة (أدو).

٢- رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالماء. صحيح البخاري ٦٨/١، حديث رقم (١٤٩).

٣- رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول. صحيح البخاري٨٨/١، حديث رقم (٢١٤).

٤- المرداوي، علي بن سليمان أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١١٣/١.

٥- الوضوء: مأخوذ من الوضاءة وهي الحسن. لسان العرب ١٩٤/١.

٦- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦٠/١.

٧ - (المائدة: ٦).

٨- متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طهور. صحيح البخاري٦٣/١ حديث رقم (١٣٥). وأخرجه مسلم في الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، صحيح مسلم ٢٠٤/١، حديث رقم (٢٢٥).

٩- أخرجه مسلم في الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، صحيح مسلم ٢٠٤/١، حديث رقم (٢٢٤).

١٠- أخرجه الترمذي في الطهارة، باب ما جاء أن مِفْتَاحُ الصَّلاَةِ الطُّهُورُ، سنن الترمذي ٧/١، حديث رقم(٣). قال الترمذي: هَذَا الحَدِيثُ أَصَحُّ شيء في هَذَا البَابِ وَأَحْسَنُ. نفس المرجع والصفحة.

فدنوت منه، فقال: «أبغني حجاراً أستنفض بها».[١] أو نحوه، ولا تأتني بعظم ولا روث». فأتيته بأحجار بطرف ثيابي، فوضعتها إلى جنبه، وأعرضت عنه، فلما قضى أتبعه بهن.[٢] فقد نهاه أن يأتيه بروث ورجيع الحيوانات ليستنجي بها لنجاستها.

- وعن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه أنه سمع عبد **الله** بن مسعود يقول: أتى النبي–صلى **الله** عليه وسلم– الغائط، فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار، فوجدت حجرين، والتمست الثالث فلم أجده، فأخذت روثة، فأتيته بها، فأخذ الحجرين، وألقى الروثة وقال: «هذا ركس».[٣] قوله: «هذا ركس»: يعني نجساً.[٤] ثمّ إنّ إلقاءه إنما كان لأنه لا يستنجى به.[٥]

٦.**نهى عن التداوي بما خبث من الأشياء**، كالخمر والسموم والبول، كما يحرم التّداوي بالنّجاسات[٦] إذا وجد طاهراً يقوم مقامها، فعن وائل الحضرمي أنّ طارق بن سويد الجعفي سأل النبي –صلى **الله** عليه وسلم– عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء. فقال: «إنّه ليس بدواء ولكنّه داء».[٧] قال النووي: (هذا دليل لتحريم اتخاذ الخمر وتخليلها، وفيه التصريح بأنها ليست بدواء فيحرم التداوي بها؛ لأنها ليست بدواء فكأنّه يتناولها بلا سبب).[٨] وعن أم سلمة قالت: نبذت نبيذاً في كوز فدخل رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– وهو يغلي فقال: «ما هذا ؟» قلت: اشتكت ابنة لي فنعت لها هذا. فقال: رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم–: «إنّ **الله** لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».[٩] وعن أبي هريرة قال: نهى رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– عن الدواء الخبيث. يعْنِي السُّمَّ.[١٠]

١– رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة. صحيح البخاري ١/٧٠. حديث رقم (١٥٤).

٢– رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة. صحيح البخاري ١/٧٠. حديث رقم (١٥٤).

٣– رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة. صحيح البخاري١/٧٠. حديث رقم (١٥٥).

٤– ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ١/٢٥٨.

٥– العيني، عمدة القاري ٢/٣٠٢.

٦– جاء في كتاب «المجموع» للإمام النووي: (وأما التّداوي بالنجاسات غير الخمر فهو جائز سواء فيه جميع النجاسات غير المسكر هذا هو المذهب والمنصوص، وبه قطع الجمهور، وفيه وجه أنّه لا يجوز، ووجه ثالث أنّه يجوز بأبوال الإبل خاصة؛ لورود النّص فيها ولا يجوز بغيرها، والصواب الجواز مطلقاً، وإنما يجوز التداوي بالنجاسة إذا لم يجد طاهراً يقوم مقامها، فإن وجده حر ّمت النّجاسات بلا خلاف). النّووي، المجموع ٩/٤٥.انظر تفصيل المسألة في كتاب: الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد الشافعي، شرح روض الطالب من أسنى المطالب، المكتبة الإسلامية، بلا، ١/٥٧١. ابن نجيم، البحر الرائق ١/١٢٢. النفراوي، أحمد بن غنيم بن سالم المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، ٢/٣٤٠. الحطاب، محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ، ١/١١٩. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، مجموع الفتاوى، بلا تاريخ، ٢٤/٢٧٣. ابن قدامة، عبد الله المقدسي أبو محمد، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ١/٤٩٢. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، ص ١٢٢.

٧– رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمر. صحيح مسلم ٣/١٥٧٣. حديث رقم (١٩٨٤).

٨– شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/١٥٣.

٩– رواه البيهقي، باب النهي عن التداوي بالمسكر. سنن البيهقي الكبرى ١٠/٥. حديث رقم (١٩٤٦٣). قال ابن حجر: ذكره البخاري تعليقاً عن ابن مسعود. وأورده في تغليق التعليق من طرق إليه صحيحة.ابن حجر، تلخيص الحبير ٤/٧٥.

١٠–رواه أبو داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة .سنن أبي داود ٤/٦، حديث رقم (٣٨٧٠). الحديث إسناده ثقات.نفس المرجع والصفحة. وقال الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، بلا طبعة، ٨/٣٧٠.

٧. **ركّز الإسلام على النظافة بعد قضاء الحاجة، وجعل لمن يتهاون في ذلك عقوبة شديدة في** الدنيا والآخرة، ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

- عن ابن عباس -رضي **الله** عنهما- مرّ النبي -صلى **الله** عليه وسلم- بحائط من حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذّبان في قبورهما، فقال النبي-صلى **الله** عليه وسلم-: «يعذّبان وما يعذّبان في كبير». ثمّ قال: «بلى،كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة». ثمّ دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة. فقيل له: يا رسول **الله** لم فعلت هذا ؟ قال: «لعلّه أن يخفّف عنهما ما لم تيبسا». أو إلى أن ييبسا.[١]
- وعن أبي هريرة قال: قال رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم-: «أكثر عذاب القبر من البول»[٢]

ويعتبر التنزه من البول قبيل وبعد الجماع الجنسي من الأمور الوقائية والتي تقلل فرص الالتهاب البكتيري للمسالك البولية والتناسلية عند المرأة و الرجل (ومن ضمنها البروستات عند الرجل).[٣] وإذا كان أطباء المسالك البولية والتناسلية ينصحون بالتنزه من البول والاستنجاء بعد الجماع، فقد سبقهم إلى ذلك سيدنا محمد - صلى **الله** عليه وسلم- والذي حث الجنب على التنزه من البول قبل النوم إذا أحب تأخير غسل الجنابة، فعن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب سأل رسول **الله** - صلى **الله** عليه وسلم - أَيَرْقُدُ أَحَدُنَا وَهْوَ جُنُبٌ ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرْقُدْ وَهُوَ جُنُبٌ».[٤]

٨. **أمر باتقاء الروائح الكريهة من الثوم والبصل وما شابه خاصّة عند الاجتماع للصلاة؛** لما فيه من إيذاء للمسلمين، فعن معقل بن يسار قال: كنا مع رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم- فأتينا على مكان فيه الثوم، فأصاب ناس منه، ثمّ جاؤوا إلى المصلّى، فوجد رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم- ريحها فقال: «من أكل من هذه الشجرة فلا يقربنّ مصلانا».[٥] يعني الثوم. وحثّ في المقابل على استخدام الطيب فإنّه طيب الريح، فعن أبي هريرة قال: قال رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم-: «من عرض عليه طيب فلا يرده، فإنّه طيب الريح، خفيف المحمل».[٦] وعن عائشة-رضي **الله** عنها- قالت: كنت أطيّب النبي -صلى **الله** عليه وسلم- بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص[٧] الطيب في رأسه ولحيته.[٨]

١- رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله. صحيح البخاري ٨٨/١. حديث رقم (٢١٣).
٢- رواه الدارقطني،كتاب الطهارة، باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه والحكم في بول ما يؤكل لحمه. سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، ١٢٨/١. حديث رقم (٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م، ٣١١/١.
٣- باصهي، د. جمال عبدالله باصهي، مقالة بعنوان:»كيفية المحافظة على صحة البروستات» على الموقع الالكتروني: http://www.alriyadh.com/2005/06/06/article70216.html.
٤- رواه البخاري، كتاب الطهارة، باب نوم الجنب، صحيح البخاري ٢/٢، حديث رقم(٢٨٧).
٥- الطبراني، المعجم الكبير ٢٢٣/٢٠. حديث رقم (٥٢٠). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد للهيثمي ١٧/٢.
٦- رواه أبو داود،كتاب الترجل، باب في رد الطيب. سنن أبي داود، ٤٧٧/٢. قال الشيخ الألباني: صحيح. حديث رقم (٤١٧٢).
٧- الوبيص: البريق ورجل وباص براق اللون. ابن منظور، لسان العرب ١٠٤/٧.
٨- رواه البخاري، كتاب اللباس، باب الطيب في الرأس واللحية. صحيح البخاري ٢٢١٤/٥. حديث رقم (٥٥٧٩).

٩. دعا الإسلام إلى التعامل مع الأواني المعدّة للطعام والشراب وغير ذلك بشكل صحي يضمن السلامة العامّة على النحو التالي:

- أمر بتنظيف الأواني وتغطيتها اتقاءً للأمراض والجراثيم المسببة لها، فعن جابر–رضي الله عنه– قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفّوا صبيانكم،[١] فإنّ الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فَحُلُّوهُمْ، فأغلقوا الأبواب، واذكروا اسم الله، فإنّ الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم[٢] واذكروا اسم الله، وخمّروا آنيتكم[٣] واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً وأطفئوا مصابيحكم».[٤]

- أمر بتنظيف الأواني وتطهيرها بعد استخدامها من قبل الحيوانات الضارّة كالكلاب، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه، ثمّ ليغسله سبع مرار".[٥] وفي رواية: «إحداهن بالتراب».[٦] وقد ثبت طبياً أنّ الكلاب تنقل إلى الإنسان كثيراً من الأمراض الخطيرة.

- كما دعا إلى عدم الشرب من باب الإناء خوفاً من انتقال الأمراض من المريض إلى الصحيح، فعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن اختناث الأسقية.[٧] واختناث الأسقية: أن يشرب من أفواهها.[٨] قال الإمام النووي: (سببه أنه لا يؤمن أن يكون في البقاء ما يؤذيه فيدخل في جوفه ولا يدري. وقيل: لأنّه يقذره على غيره. وقيل: أنه ينتنه أو لأنه مستقذر).[٩]

- نهى عن الأكل والشرب قائماً، وقد شرب الرسول–صلى الله عليه وسلم– قائماً في حالات خاصّة وليس على سبيل المداومة. فعن أنس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنّه نهى أن يشرب الرجل قائماً. قال قتادة: فقلنا: فالأكل؟ فقال: ذاك أشر أو أخبث.[١٠] يقول الدكتور عبد الرزّاق الكيلاني: (إنّ الشرب وتناول الطعام جالساً أصح وأسلم وأهنأ وأمرأ، حيث يجري ما يتناول الآكل والشارب على جدران المعدة بتؤدة ولطف. أمّا الشرب واقفاً فيؤدّي إلى تساقط السائل بعنف إلى قعر المعدة ويصدمها صدماً، وإنّ تكرار هذه العملية يؤدّي مع طول الزمن

١– فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ: أَيْ امْنَعُوهُمْ مِنْ الْخُرُوج ذَلِكَ الْوَقْت .شرح النووي على مسلم٤٨/٧.

٢– وأوكوا: من أوكى ما في سقائه إذا شدّه بالوكاء وهو ما يشد به رأس القربة. ابن منظور، لسان العرب ٤٠٥/١٥. مادة (وكي).

٣– التخمير: التغطية. ابن منظور، لسان العرب ٢٥٤/٤. مادة (خمر).

٤– رواه البخاري،كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء. صحيح البخاري ٢١٣١/٥ .حديث رقم (٣١٠٦).

٥– رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب. صحيح مسلم ٢٣٤/١. حديث رقم (٢٧٩).

٦– النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ٧٨/١. حديث رقم (٦٩).تحقيق الألباني: صحيح. الألباني، إرواء الغليل ١٨٩/١.

٧– رواه البخاري،كتاب الأشربة، باب اختناث الأسقية. صحيح البخاري ٥ /٢١٣٢.حديث رقم (٥٣٠٢).

٨– ابن حجر، فتح الباري ٨٩/١٠.

٩– شرح النووي على صحيح مسلم ١٩٤/١٣.

١٠– رواه مسلم،كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائماً، حديث رقم (٢٠٢٤). صحيح مسلم ١٦٠٠/٣.

إلى استرخاء المعدة و هبوطها وما يلي ذلك من عسر هضم. وإنما شرب النبي –صلى الله عليه وسلم– واقفاً لسبب اضطراري منعه من الجلوس مثل الزحام المعهود في المشاعر المقدسة، وليس على سبيل العادة والدوام).[(١)]

– ندب النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى التقليل من الأكل فقال: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه، فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنَفَس».[(٢)]

وقد ذكرت الآثار آفات الشبع ومساوئه، منها ما قاله عمر– رضي الله عنه–: «إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنّها مفسدة للجسد، مورثة للسقم، مكسلة عن الصلاة».[(٣)]

وذكر الأطباء أنّ تناول كمية خفيفة من الطعام على فترات، يعمل على تسهيل الهضم وزيادة استفادة الجسم من الغذاء بشكل متكامل دون تولّد أعراض مرضية ناتجة عن تجمعه وتراكمه.

– ونهى أيضاً عن النفخ في الإناء، فعن ابن عباس قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه.[(٤)] وهذا التشريع من شأنه أن يمنع انتقال الأمراض من شخص إلى آخر. وكره العلماء النفخ في الطعام لتبريده وقالوا: ينتظر حتى يبرد. كما كرهوا أكله حاراً؛ لأنّه يضرّه، والبركة تذهب منه.[(٥)] وينصح الأطباء بألاّ يكون الطعام حارًا ولا مثلّجاً جداً، بل دافئاً؛ حتى لا يسبّب احتقاناً وتهيّجاً في جدار القناة الهضمية، مما يؤدّي إلى عسر الهضم وظهور آلام المعدة.

– نهى عن الأكل في آنية أهل الكتاب إلاّ عند عدم وجود غيرها، وبعد تنظيفها وغسلها، فعن أبي ثعلبة الخشني قال: قلت: يا نبي الله إنّا بأرض قوم أهل الكتاب أفنأكل في آنيتهم ؟ وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلّم وبكلبي المعلّم فما يصلح لي ؟ قال: «أمّا ما ذكرت من أهل الكتاب، فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها، وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكلبك المعلّم فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت ذكاته فكل».[(٦)] والحديث يدل على أنّ استعمال أواني أهل الكتاب يتوقّف على الغسل.[(٧)]

١– مقالة بعنوان: «لماذا نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن الأكل أو الشرب واقفاً"، على الموقع: http://www.alsayra.com/vb/archive/index.php/t-55094.html.

٢– رواه ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، سنن ابن ماجه١١١١/٢ حديث رقم (٣٣٤٩). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة، ٢٤٤/٢.

٣– الهندي، كنز العمال ٦٩٦/١٥. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ٨٢/٣.

٤– رواه أبو داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه. قال الشيخ الألباني: صحيح. سنن أبي داود ٣٣٨/٣. حديث رقم (٣٧٢٨). الألباني، إرواء الغليل ٣٦/٧.

٥–المرداوي، الإنصاف ٣٢٨/٨. البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ٣٨/٣.

٦– رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما أصاب المعراض بعرضه. صحيح البخاري ٢٠٨٧/٥. حديث رقم (٥١٦١).

٧– ابن دقيق العيد، أبو الفتح تقي الدين، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٤/٤.

قال الإمام النووي: (المراد النهي عن الأكل في آنيتهم التي كانوا يطبخون فيها لحم الخنزير ويشربون الخمر).[١]

١٠. حثّ على نظافة الأماكن العامّة كالشوارع والطرقات والمدارس والجامعات والمؤسسات العامّة والملاعب والمتنزهات والشواطئ؛ حتى تظل هذه الأماكن صحية ونظيفة حيث يرتادها معظم الناس، وهي تعطي صورة حقيقية عن الدولة والمواطنين ومدى حبّهم وانتمائهم لوطنهم، حيث يحرصون أن يكون جميلاً في نظر الآخرين:

- فعن عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «**طهّروا أفنيتكم**»[٢] **فهذا** أمر نبوي بتنظيف الساحات العامّة والأفنية والطرقات وغير ذلك.
- وجعل الإسلام إزالة كل ما يؤذي المسلمين من نفايات وقاذورات وغيرها صدقة يؤجر المسلم على فعلها دخول الجنّة، فعن أبي هريرة –رضي **الله** عنه– قال: قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا **الله**، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».[٣]
- وعن عائشة أنّ النبي–صلى **الله** عليه وسلم–رأى بصاقاً في جدار القبلة أو مخاطاً أو نخامة فحكّه[٤]
- وعن أبي ذر عن النبي–صلى **الله** عليه وسلم– قال: «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة[٥] تكون في المسجد لا تدفن».[٦]
- وعن عبد **الله** بن عمرو –رضي **الله** عنهما– قال رسول **الله**–صلى **الله** عليه وسلم–: «أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز[٧] ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها إلاّ أدخله **الله** بها الجنة».قال حسان: فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة.[٨]

١١. أمر الإسلام بإزالة كل ما يؤثّر على الصّحة الجسدية، وأمر بنظافة جميع البدن ومن ذلك:

أ.**حثّ على الختان**؛ لما فيه من فوائد صحية، كما أمر بإزالة كل ما يؤثّر على سلامة الجسد،كشعر الإبط والعانة،[٩] والأظفار، والشوارب، فمثل هذه الأماكن تجمع الأوساخ والقاذورات، وتعلق بها الحشرات، فكان من الواجب إزالتها، ومن الأحاديث في ذلك:

١– شرح النووي على صحيح مسلم ٨٠/١٣.
٢– سبق تخريجه.
٣– سبق تخريجه.
٤– متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، صحيح البخاري ١٢/١. حديث رقم (٩). رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهى عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها. صحيح مسلم ٣٨٩/١.
٥– النُّخاعةُ: بالضم ما تَفَلَه الإنسان. ابن منظور، لسان العرب ٣٤٨/٨.
٦– رواه مسلم، كتاب الصلاة ، باب النهى عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها. صحيح مسلم ٣٩٠/١ حديث رقم (٥٥٣).
٧– منيحة العنز: أنثى العنز تعطى لينتفع بلبنها ثم ترد .ابن منظور، لسان العرب ٦٠٧/٢. مادة (منح).
٨– رواه البخاري، كتاب الهبة وفضله، باب فضل المنيحة. صحيح البخاري ٩٢٦/٢. حديث رقم (٢٤٨٨).
٩– العانة: مَنْبِتُ الشَّعَرِ من قُبُل المَرأةِ والرَّجُل والشَّعَر النابِت عليها يقال له: الشِّعْرةُ والإِسْبُ. ابن منظور، لسان العرب ٢١٣/١.

- عن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان،[1] والاستحداد،[2] ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقص الشارب».[3]
- وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء،[4] وقص الأظفار، وغسل البراجم،[5] ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص[6] الماء».[7] قال الراوي: ونسيت العاشرة إلاّ أن تكون المضمضة.

قال الإمام النووي: (وأمّا غسل البراجم فسنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء، قال العلماء: ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن وهو الصماخ فيزيله بالمسح؛ لأنّه ربما أضرت كثرته بالسمع، وكذلك ما يجتمع في داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أي موضع كان من البدن بالعرق والغبار ونحوهما، والله أعلم).[8]

قال الإمام الغزالي: (كانت العرب لا تغسل اليد عقب الطعام، فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمر بغسلها).[9]

- وعن عكرمة عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «يدخل المحرم الحمام، وينزع رأسه، وإذا انكسر ظفره طرحه، أميطوا عنكم الأذى فإنّ الله لا يصنع بأوساخكم شيئاً».[10]

ويستحب إزالة ما يحتاج إلى إزالة من هذه الأمور الفطرية كل أربعين يوماً، فعن أنس: وقّت لنا في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانّة، أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة.[11]

ب. حثّ على نظافة الأسنان باستخدام السواك وغيره من المطهّرات:

-روت عائشة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنّه قال:«السواك مطهرة للفم مرضاة للرب».[12]
- وعن عامر بن ربيعة قال: رأيت النبي-صلى الله عليه وسلم- يستاك وهو صائم ما لا أحصي أو أعد[13]
- وروى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-:«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء».[14]

١- الختان: قطع قلفة الذكر وهي الجلدة التي تكون على أعلى الذكر عند الولادة. ابن منظور، لسان العرب ١٣٧/١٣. مادة (ختن).
٢- الاستحداد: حلق شعر العانة وهي الشعر الذي يكون حول الفرج أو الذكر. ابن منظور، لسان العرب ١٤٠/٣. مادة (حدد).
٣- رواه البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، صحيح البخاري ٢٢٠٩/٥. حديث رقم (٥٥٥٠).
٤- أي في الوضوء، أو عند الانتباه من النوم، أو عند الحاجة إليه لنحو اجتماع وسخ في الأنف. المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣١٦/٤. ابن منظور، لسان العرب ٣٥٣/١٠. مادة (نشق).
٥- البراجم: من السُّلاميَّات وقيل هي مَفاصِلُ الأَصابع واحدتها راجِبةٌ. ابن منظور، لسان العرب ٤١١/١. مادة (رجب).
٦- قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء. ابن منظور، لسان العرب ١٠٠/٧. مادة (نقص).
٧- رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة. صحيح مسلم ٢٢٣/١. حديث رقم (٢٦١).
٨- شرح النووي على مسلم ١٥٠/٣.
٩- ابن حجر، فتح الباري ٣٣٨/١٠.
١٠- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار الفكر ١٤٠٩هـ، ٣٤٦/٣. الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، ٢٦٥/٢.
١١- رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة. صحيح مسلم ٢٢٢/١. حديث رقم (٢٥٨).
١٢- رواه البخاري، كتاب الصيام، باب السواك الرطب واليابس للصائم. صحيح البخاري٦٨٢/٢.
١٣- رواه البخاري، كتاب الصيام، باب السواك الرطب واليابس للصائم. صحيح البخاري٦٨٢/٢.
١٤- رواه البخاري، كتاب الصيام، باب السواك الرطب واليابس للصائم. صحيح البخاري٦٨٢/٢.

جـ. حثّ الإسلام على نظافة الشعر وإكرامه وإصلاحه في أكثر من حديث:

- فعن أبي هريرة قال: قال رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم-: «من كان له شعر فليكرمه».[١]

- وعن عبد **الله** بن جعفر أنّ النبي -صلى **الله** عليه وسلم- أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم، ثمّ أتاهم فقال: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم». ثمّ قال: «ادعوا لي بني أخي». فجيء بنا كأنّا أفرخ. فقال: «ادعوا لي الحلاق». فأمره فحلق رءوسنا.[٢]

الطريقة الثانية: أما الطريقة الثانية من وسائل اهتمام الإسلام بالصحة العامة فهي تحذيره من بعض الأفعال والتصرّفات التي تضر بالصحّة العامّة، وأمره باجتنابها، ومن ذلك:

١. نهى عن الجلوس بين الظل والشمس؛ لما فيه من أضرار صحية، فعن ابن بريدة عن أبيه أنّ النبي-صلى **الله** عليه وسلم- نهى أن يقعد بين الظل والشمس.[٣] فالجلوس بين الظل والشمس مضر بالبدن، إذ الإنسان إذا قعد ذلك المقعد فسد مزاجه؛ لاختلاف حال البدن من المؤثّرين المتضادين.[٤] ولأنّه ظلم للبدن حيث فاضل بين أبعاضه، وهذا من كمال محبة **الله** ورسوله عليه الصلاة والسلام للعدل أن أمر به حتى في حق الإنسان مع نفسه. قال الإمام ابن قيم الجوزية: (وفيه تنبيه على منع النوم بينهما فإنّه رديء).[٥]

٢. نهى عن النوم على البطن، فعن قيس بن طخفة الغفاري عن أبيه قال: أصابني رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم- نائماً في المسجد على بطني أي على وجهي. فركضني برجله وقال: «مالك ولهذا النوم نومة يكرهها **الله** أو يبغضها **الله**».[٦] فالنوم على البطن لغير ضرورة لا يجوز وأنّه ضجعة الشيطان وأهل النار.[٧]

وكان عليه الصلاة والسلام ينام على شقّه الأيمن، فعن البراء بن عازب قال:كان رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم- إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن ثمّ قال: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلاّ إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت. وقال رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم-: «من قالهنّ ثمّ مات تحت ليلته مات على الفطرة».[٨]

١- رواه أبو داود، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر. سنن أبي داود ٤٧٥/٢. حديث رقم (٤١٦٣). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. السلسلة الصحيحة للألباني٨٩٩/١.

٢- رواه أبو داود، كتاب الترجل، باب في حلق الرأس. سنن أبي داود ٤٨٢/٢. حديث رقم (٤١٩٢). قال الشيخ الألباني: صحيح. مشكاة المصابيح ٥١١/٢.

٣- رواه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الجلوس بين الظل والشمس. سنن ابن ماجه ١٢٢٧/٢. حديث رقم (٣٧٢٢). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، ٢٢٢/٨.

٤- المناوي، فيض القدير ٣٤٢/٦.

٥- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي ص١٨٩. المناوي، فيض القدير ٤٢٥/٦.

٦- رواه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب النهي عن الاضطجاع على الوجه. سنن ابن ماجه ١٢٢٧/٢. حديث رقم (٣٧٢٣). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ٢٢٣/٨.

٧- العظيم آبادي،عون المعبود ٢٦١/١٣. النفراوي، الفواكه الدواني ٣٣٢/٢.

٨- رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب النوم على الشق الأيمن. صحيح البخاري ٢٣٢٧/٥. حديث رقم (٥٩٥٦).

وإنّما كان عليه الصلاة والسلام ينام على الجانب الأيمن؛ لئلا يستغرق في النوم؛ لأنّ القلب في جهة اليسار، فيعلق حينئذ فلا يستغرق، وإذا نام على اليسار استراح واستغرق. وقال بعضهم: أنفع النوم على الشق الأيمن؛ ليستقر الطعام في المعدة؛ لميل المعدة إلى الشق الأيسر، ثمّ يتحوّل إلى الشق الأيسر قليلاً يسرع الهضم بذلك؛ لاشتمال الكبد على المعدة ثمّ يستقر نومه على الشق الأيمن؛ ليكون الغذاء أسرع انحداراً عن المعدة.[١]

وكثرة النوم على الشق الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه، فتصب إليه المواد، والنوم على القفا رديء، يضر الإكثار منه بالبصر وبالمني، وإن استلقى للراحة بلا نوم يضر، وأردأ من ذلك النوم منبطحاً على وجهه. قال أبقراط: نوم المريض على بطنه من غير عادة في صحته يدل على اختلاط عقل أو على ألم في نواحي البطن.[٢]

٣. نهى عن العطس في الفضاء؛ منعاً من تلويثه، ودعا إلى تغطية الأنف باليد أو المنديل عند العطس؛ لمنع انتقال الأمراض بين الناس، فعن أبي هريرة أنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم–كان إذا عطس غطّى وجهه بيده أو بثوبه وغضّ بها صوته.[٣]

٤. نهى عن الصلاة مع احتقان البول والغائط، فعن عائشة –رضي **الله** عنها– قالت: سمعت رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– يقول: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان[٤]»[٥] وقد اكتشف الأطباء أنّ احتقان البول سبب رئيس في أمراض «البروستاتا» فهو يساعد على تضخّمها.

٥.حذّر العلماء من المبالغة في شرب الماء أثناء الطعام، قال ابن الجوزي: ولا يشرب الماء في أثناء الطعام فإنه أي عدم الشرب في أثنائه أجود في الطب.[٦] والضرر المحتمل للإكثار من الشرب أثناء الطعام هو أنّه قد يؤدّي إلى عدم إجادة المضغ، أو بروز البطن.

الطريقة الثالثة: ومن طرق اهتمام الإسلام بالصحة العامة اعتماده مبدأ الطب الوقائي والرعاية الصحيّة في كثير من الأمور، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج كما قيل، ومن ذلك:[٧]

١- ابن مفلح، أبو عبد الله محمد المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عمر القيام، ٣/٢٤٤-٢٤٥.

٢- المرجع السابق ٣/٢٤٥.

٣- رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح،كتاب الأدب عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، حديث رقم (٢٧٤٥). سنن الترمذي ٥/٨٦. قال الشيخ الألباني: إسناده جيد. مشكاة المصابيح ٣/٢٦.

٤- الأخبثان: هما البول والغائط. شرح النووي على صحيح مسلم ٥/٤٦.

٥- رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله في الحال وكراهة الصلاة مع مدافعة الأخبثين، حديث رقم (٥٦٠)، صحيح مسلم ١/٣٩٢.

٦- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس،كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال. ٥/١٧٧. ابن مفلح، الآداب الشرعية ٣/٦٤.

٧- للاستزادة حول هذا الموضوع انظر: عبدالله، عمر محمود، الطب الوقائي في الإسلام، الموصل، العراق، ط١، ١٩٩٠م. القضاة، عبد الحميد، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، رسالة المسجد، العدد الخامس، شوال، ١٤٢٤هـ. البنا، عائدة عبد العظيم، الإسلام والتربية الصحية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٩٨٤م.

١. أمر بغسل اليد بعد الاستيقاظ من النوم: فعن أبي هريرة أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنّه لا يدري أين باتت يده».[١] فأمر بغسل اليد احتياطاً من نجاسة أصابته من موضع الاستنجاء.[٢] قال المناوي معلّقاً على هذا الحديث: (أي هل لاقت محلاً طاهراً أم نجساً كبثرة أو جرح أو محل نجو (غائط) أو غيرها ؟ والتعليل به غالبي، إذ لو نام نهاراً، أو علم أنّ يده لم تلق نجساً،كأن لفها في خرقة، أو شك في نجاستها بلا نوم ندب غسلها).[٣]

٢. نهى عن إدخال اليد في الماء النظيف المعد للاغتسال خاصّة إذا علق بها نوع أذى، فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا اغتسل من الجنابة غسل يده.[٤] قولها: «غسل يده»: أي قبل إدخالها في الماء الذي أعد للغسل في الإناء، وكان هذا عند خشيته من أن يكون بها أذى من أذى الجنابة أو غيرها، وأمّا عند تيقّنه طهارة اليد فلم يكن يغسلها.[٥]

٣. أمر بغسل اليدين بعد الاستنجاء؛ تطهيراً لها ممّا يعلق بها من نجاسة، واستخدام المنظّفات مثل الصابون أمر مفيد، فعن أبي هريرة أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– توضّأ فلما استنجى دلك يده بالأرض.[٦] قال الحافظ ابن حجر: (وأمّا دلك اليد بالأرض فللمبالغة فيه ليكون أنقى).[٧]

٤. غسل اليدين قبل الطعام وبعده عند الحاجة للتخلّص من الأوساخ العالقة بهما، قال الإمام النووي: (اختلف العلماء في استحباب غسل اليد قبل الطعام وبعده، والأظهر استحبابه أولاً إلا أن يتيقّن من نظافة اليد من النجاسة والوسخ، واستحبابه بعد الفراغ إلا أن لا يبقى على اليد أثر الطعام بأن كان يابساً ولم يمسه بها).[٨] والحكمة من ذلك أنّ الأكل بعد غسل اليدين يكون أهنأ وأمرأ؛ ولأنّ اليد لا تخلو عن تلوث في تعاطي الأعمال، فغلسها أقرب إلى النظافة والنزاهة.[٩]

٥. نهى عن تناول كل أكل قد يفسد الصحّة ويضر بها مستقبلاً، ومن ذلك ما يلي:

١– رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاث. صحيح مسلم ٢٣٣/١. حديث رقم (٢٧٨).

٢– أحكام القرآن للجصاص ٢٠٧/٥.

٣– المناوي، فيض القدير ٢٧٨/١.

٤– رواه البخاري،كتاب الغسل، باب هل يدخل الجنب يده في الإناء قبل أن يغسلها إذا لم يكن على يده قذر غير الجنابة. صحيح البخاري ١٠٣/١. حديث رقم (٢٥٩).

٥– العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠٩/٣.

٦– رواه النسائي،كتاب الطهارة، باب دلك اليد بالأرض بعد الاستنجاء. سنن النسائي ٤٥/١. قال الشيخ الألباني: حسن. حديث رقم (٥٠). الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن النسائي، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية،١٩٤/١.

٧– ابن حجر، فتح الباري ٣٦٢/١.

٨– شرح النووي على صحيح مسلم٤٦/٤.

٩– العظيم آبادي، عون المعبود ١٦٨/١٠.

- النهي عن أكل لحوم الحمير الأهلية. فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: نهى النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أكل لحوم الحمر الأهلية.[1] وفي رواية للنسائي: «فإنها رجس».[2] الرجس: القذر.[3] فإنّ جمهور العلماء على تحريم لحوم الحمر الإنسية إلاّ ما روي عن ابن عباس وعائشة أنهما كانا يبيحانها، وكذلك الجمهور على تحريم لحم البغال، وأمّا الخيل فذهب الإمامان مالك وأبو حنيفة وجماعة إلى أنها محرّمة، وذهب الأئمة الشافعي وأحمد وأبو يوسف ومحمد وجماعة إلى إباحتها[4]
- نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع كالأسد والنمر والذئب والفهد، وكل ذي مخلب من الطير كالنسر والعقاب والحدأة والصقر، فعن ابن عباس قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير.[5] فمثل هذه المخلوقات تأكل اللحم والجيف، ولا ترعى الكلأ، ولأنها مستخبثة غير مستطابة.[6] بل لا تتورّع عن أكل لحوم الآدميين.
- نهى عن أكل لحوم البقرة التي تأكل النجاسات، ونهى عن شرب لبنها، فعن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن لحوم الجَلاَلة.[7] وألبانها.[8] قال الإمام ابن عبد البر: إنما نهى منها عن الجلالة التي تأكل الجلة وهي العذرة من الدّواب وسائر القذر.[9] ويشمل النهي كل ما في معنى الجَلاّلة مما يتغذّى بالنجس كالشاة ترضع من كلبة[10] ويشمل ذلك كل حيوان أو طير يتغذّى بالنّجاسات بالقياس.

٦. أمر بأخذ الحيطة والحذر عند حمل الأسلحة وما يمكنه أن يلحق الضرر بالآخرين، وهذا ما تقرّه القوانين العسكرية المعاصرة، لكنّ الإسلام وبكل فخر قد سبقها في ذلك التشريع والتقنين:

- فعن أبي موسى أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إذا مرّ أحدكم في مجلس أو سوق وبيده نبل فليأخذ بنصالها، ثمّ ليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها».[11] وقد أخذت القوانين

١– رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، صحيح البخاري ٤/١٥٤٤. حديث رقم (٣٩٨١).
٢– رواه النسائي،كتاب الطهارة، باب سؤر الحمار. سنن النسائي١/٥٦. حديث رقم (٦٩). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن النسائي ١/٢١٣.
٣– ابن منظور، لسان العرب ٦/٩٤. مادة (رجس). السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل،شرح سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م، ١/ ٥٦.
٤– ابن نجيم، البحر الرائق ٨/١٩٥. النفراوي، الفواكه الدواني ٢/٢٨٩. ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي أبو الوليد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، بيروت ١/٣٤٤. الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر، بيروت، ٤/٢٩٨. ابن قدامة، المغني ٩/٣٢٦–٣٢٧.
٥– رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، صحيح مسلم ٣/١٥٣٤. حديث رقم (١٩٣٤).
٦– التمهيد لابن عبد البر ١/١٥٥. ابن قدامة، المغني ٩/٣٢٦.
٧– الجَلاَّلَةُ: البَقَرَةُ تَتَبَّعُ النجاساتِ. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بلا تاريخ، ص ١٢٦٤. مادة (جلّ).
٨– رواه ابن ماجة، كتاب الذبائح، باب النهي عن لحوم الجلالة، سنن ابن ماجه، ٢/١٠٦٤. حديث رقم (٣١٨٩). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ٧/١٨٩.
٩– ابن عبد البر، التمهيد ١/ ١٤٣.
١٠– ابن حجر، فتح الباري ٩/٦٤٨.
١١– رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب أمر من مر بسلاح في مسجد أو سوق أو غيرهما من المواضع الجامعة للناس أن يمسك بنصالها. صحيح مسلم ٤/٢٠١٩. حديث رقم (٢٦١٥).

الوضعية بهذا التشريع الإسلامي العريق، فحظرت على الجندي المنتمي للجيش أن يضع الذخيرة الحية في سلاحه داخل المدن والتجمّعات السكانية خوفاً من انفلاتها على الناس، لكنّ الإسلام وبكل فخر سبقهم في ذلك.

– وعن جابر قال: نهى رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– أن يتعاطى السيف مسلولاً.[١] والحكمة في ذلك أنّه قد يخطئ في تناوله فينجرح شيء من بدنه، أو يسقط منه على أحد فيؤذي، وفي معناه السكين ونحوها، فلا يرميها له، ولا يناولها.[٢]

٧. حثّ على تنظيف المياه وتطهيرها من الجراثيم الضارّة التي تنشر الأوبئة الفتّاكة، فعن العباس بن عبد المطلب أنّه قال لرسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: إنّا نريد أن نكنس زمزم، وإنّ فيها من هذه الجنان يعني الحيات الصغار، فأمر النبي –صلى **الله** عليه وسلم– بقتلهن[٣]

٨. تشريع الحجر الصحي، فالإسلام أول من دعا إليه وقعّده، وهو ضروري لمحاربة الأمراض السارية والمعدية والحد من انتشارها، ومحاصرة الأوبئة الفتاكة التي بدأت تنتشر في زماننا بسبب الملوّثات المختلفة،كأنفلونزا الخنازير والطيور، والكوليرا، وغير ذلك، ومن الأحاديث التي تقر هذا التشريع:

– عن أسامة بن زيد قال: قال عليه الصلاة والسلام: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها».[٤]وقد فرض الخليفة عمر –رضي **الله** عنه– الحجر الصحي على مناطق معيّنة في بلاد الشام عندما انتشر هذا المرض الفتّاك في بلدة عمواس من قرى فلسطين، وكان عمر بن الخطاب قدم الشام، فلما كان بسَرْغُ [٥] لقيه أمراء الأجناد فيهم أبو عبيدة ابن الجراح، فأخبروه بالوباء وشدته، وكان معه المهاجرون والأنصار، خرج غازياً، فجمع المهاجرين الأولين والأنصار فاستشارهم، فاختلفوا عليه، فمنهم القائل: خرجت لوجه **الله** فلا يصدك عنه هذا، ومنهم القائل: إنّه بلاء وفناء فلا نرى أن تقدم عليه. فقال لهم: قوموا، ثمّ أحضر مهاجرة الفتح من قريش فاستشارهم فلم يختلفوا عليه، وأشاروا بالعود، فنادى عمر في الناس: «إني مصبح على ظهر». فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر **الله**؟ فقال: «نعم نفر من قدر **الله** إلى قدر **الله**، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان[٦] إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر **الله**، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر **الله**؟»[٧] وهذا ما ينبغي فعله في مثل هذه الحالات، فلا يُسمح بدخول هذه المناطق الموبوءة، وليس هذا فراراً من قدر **الله**، ولا يخرج منها وله الأجر والثواب، وقد اعتبر الصحابة هذا المرض رحمة من **الله**

١– رواه الترمذي،كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن تعاطي السيف مسلولاً. قال الشيخ الألباني: صحيح. سنن الترمذي ٤/٤٦٤. حديث رقم (٢١٦٣). وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: على شرط مسلم وأقرّه الذهبي. وقال ابن حجر: سنده صحيح. فتح الباري لابن حجر ٢٠/٧٥.

٢– المناوي، فيض القدير ٦/٣٤٢.

٣– رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قتل الحيات، سنن أبي داود ٢/٧٨٥. حديث رقم (٥٢٥١). قال الشيخ الألباني: صحيح إن كان ابن سابط سمع من العباس. الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود ١١/٢٥١.

٤– رواه البخاري،كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون. صحيح البخاري ٥/٢١٦٣.حديث رقم (٥٣٩٦).

٥– وهو أول الحجاز وآخر الشام بين المُغيثة وتبك من منازل حاج الشام. الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، ٢/٤٤٨.

٦– العِدْوَةُ والعُدْوَةُ: جانبُ الوادي وحافَتُه. ابن منظور، لسان العرب١٥/٣١.

٧– ابن الأثير، عز الدين على بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ١/٤٥٠.

تعالى، فنزلوا عند قدره، واستقبلوا الموت بكل طمأنينة، فقد قام أبو عبيدة في الناس خطيباً فقال: (يا أيها النّاس، إنّ هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وإنّ أبا عبيدة سأل **الله** أن يقسم له منه حظه). فطعن، فمات.[١]

– وعن أبي هريرة قال: قال عليه الصلاة والسلام: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ».[٢] قال العلماء: الممرض صاحب الإبل المراض، والمصح صاحب الإبل الصّحاح، فمعنى الحديث: لا يورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل صاحب الإبل الصّحاح؛ لأنّه ربما أصابها المرض بفعل **الله** تعالى وقدره الذي أجرى به العادة لا بطبعها، فيحصل لصاحبها ضرر بمرضها.[٣]

– وعن أبي هريرة قال: قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «لا عدوى ولا طيرة[٤] ولا هامَةَ[٥] ولا صَفرَ[٦] وفِر من المجذوم كما تفر من الأسد».[٧] وأرشد الحديث إلى الاحتراز مما يحصل عنده الضرر بفعل **الله** وإرادته وقدره.[٨] وكان عمر–رضي **الله** عنه– والعلماء بعده يمنع المجذوم من الاختلاط بالناس.[٩]

٩. نهى عن كل ما يؤثّر على صحّة الإنسان ويتسبّب له في العلل والأسقام،كالتنفس في الإناء، ومس الفرج باليمين عند الخلاء، والاستنجاء بها، فهي للأكل والشرب وكل أمر محترم كالمصافحة والمضمضة، واليد الشمال للأذى والأقذار. والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة أذكر منها:

– عن عبد **الله** بن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسّح بيمينه».[١٠]

– عن عائشة –رضي **الله** عنها– قالت:كان النبي–صلى **الله** عليه وسلم– يحب التّيمّن ما استطاع في طهوره وتنعّله وترجّله،[١١] وكان قال بواسط قبل هذا في شأنه كلّه.[١٢]

– عن عبد **الله** بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «إذا بال أحدكم فلا يأخذن ذكره بيمينه، ولا يستنج بيمينه، ولا يتنفس في الإناء».[١٣]

١– المرجع السابق ٤٤٩/١.
٢– رواه مسلم،كتاب الطب، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مصح. صحيح مسلم ١٧٤٣/٤.حديث رقم (٢٢٢١).
٣– شرح النووي على مسلم ٢١٧/١٤.
٤– لا طيرة: هو نهي عن التطير وهو التشاؤم. ابن منظور، لسان العرب ٥٠٨/٤. مادة (طير).
٥– هامة: هي الرأس. واسم لطائر يطير بالليل كانوا يتشاءمون به. ابن منظور، لسان العرب ٥٧٢/١١.
٦– الصفر: هو الشهر المعروف كانوا يتشاءمون بدخوله فنهى الإسلام عن ذلك. وقيل: هي حَيَّة تكون في البطن تصيب الماشية والناس. ابن منظور، لسان العرب ٤٦٠/٤.
٧– رواه البخاري، كتاب الطب، باب الجذام. صحيح البخاري ٢١٥٨/٥. حديث رقم (٥٣٨٠).
٨– شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٤/١٤.
٩– المرجع السابق ١٧٣/١٤.
١٠– رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين. صحيح البخاري٦٩/١، حديث رقم (١٥٢).
١١– الترجل والترجيل: تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. ابن منظور، لسان العرب ٢٦٥/١١.
١٢– رواه البخاري،كتاب الأطعمة، باب التيمن في الأكل وغيره. قال عمر بن أبي سلمة: قال لي النبي– صلى الله عليه وسلم–: «كل بيمينك». صحيح البخاري ٢٠٥٧/٥. حديث رقم (٥٠٦٥).
١٢– رواه البخاري،كتاب الوضوء، باب لا يمسك ذكره بيمينه إذا بال. صحيح البخاري٦٩/١. حديث رقم (١٥٣).

- عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت في حجر رسول **الله**–صلى **الله** عليه وسلم– وكانت يدي تطيش في الصحفة،[1] فقال لي: يا غلام سمّ **الله**، وكل بيمينك، وكل مما يليك».[2] قال المناوي: الشمال للأذى واليمين لغيره.[3]

- عن حفصة أنّ النبي–صلى **الله** عليه وسلم–كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وثيابه، ويجعل شماله لما سوى ذلك.[4]

- وعن عثمان–رضي **الله** عنه– قال للنبي عليه الصلاة والسلام: «ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعتك».[5] قال المهلب: (فيه فضل الميامن، وقد قال علي–رضي **الله** عنه–: يميني لوجهي، يعني للأكل وغيره، وشمالي لحاجتي، وقد نزع لهذا الكلام ابنه الحسن حين امتخط بيمينه عند معاوية، فأنكر عليه معاوية، وقال: بشمالك).[6] فينبغي التأدّب بأدب النبي –صلى **الله** عليه وسلم–، وسلف الصحابة، وتنزيه اليمنى عن استعمالها في الأقذار ومواضعها.[7]

١٠. حثّ الجنب على غسل اليدين قبل الأكل والشرب، فربما علق بهما ما يؤثّر على صحته، فعن عائشة قالت:كان رسول **الله**–صلى **الله** عليه وسلم– إذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة، وإذا أراد أن يأكل أو يشرب قالت: غسل يديه ثمّ يأكل ويشرب.[8] وعن ابن عباس–رضي **الله** عنهما– عن النّبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «الوضوء قبل الطعام وبعده ممّا ينفي الفقر وهو من سنن المرسلين».[9] والمراد بالوضوء غسل اليد.[10]

١١. نهى عن غسل الفم قبل اليدين،وهذا من الطّب الوقائي، فقد يعلق باليد من الخبث ما يضر بالجسد، فإذا غسل فمه قبل يديه انتقل ما علق بهما إلى داخل جسمه فيضر به، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنّ أبا جبير الكندي قدم على رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم–، فأمر له رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– بوضوء وقال: يا أبا جبير، فبدأ بفيه، فقال له رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم–: «لا تبدأ بفيك فإنّ الكافر يبدأ بفيه». ثمّ

١– الصحفة: كالقصعة. وقال ابن سيده: شبه قصعة مسلنطحة عريضة وهي تشبع الخمسة. ابن منظور، لسان العرب ١٨٧/٩.
٢– رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما. صحيح مسلم ١٥٩٩/٣. حديث رقم (٢٠٢٢).
٣– المناوي، فيض القدير ٢٧٥/١.
٤– رواه أبو داود،كتاب الطهارة، باب كراهية مس الذكر باليمين في الاستبراء. سنن أبي داود٨/١. حديث رقم (٣٢). وقال الحزامي: الحديث حسن لغيره. الحزامي، يحيى بن مري بن حسن بن حزام الشافعي، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل،١٦٨/١. وقال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن أبي داود ١١٠/١.
٥– المعجم الأوسط للطبراني ٣٧٩/٢، حديث رقم (٨٨٠). الحديث فيه عمر بن سهل المازني وثقه ابن حبان وقال: ربما خالف، وضعفه العقيلي، وبقية رجاله رجال الصحيح. الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٣٧٢/٩.
٦– شرح ابن بطال ٢٦١/١.
٧– المرجع السابق ٢٦٢/١.
٨– رواه النسائي،كتاب عشرة النساء، ما عليه إذا أراد أن ينام وذكر اختلاف الناقلين لخبر عائشة في ذلك. سنن النسائي الكبرى ٣٣١/٥. حديث رقم ٩٠٤٥). قال الشيخ الألباني: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. السلسلة الصحيحة،١/ ٧٤٥.
٩– رواه الطبراني، حديث رقم (٧١٦٦). المعجم الأوسط ٧/ ١٦٤. الهندي، كتاب المعيشة والعادات. الهندي،كنز العمال ١٠٦/١٥. قال الشيخ الألباني: ضعيف. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته للألباني ص ١٤٣٢.
١٠– السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م،٤٩/١.

دعا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بوضوء، فغسل يديه حتى أنقاهما، ثمّ تمضمض واستنثر، ثمّ غسل وجهه ثلاثاً، ثمّ غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثمّ غسل يده اليسرى إلى المرفق ثلاثاً، ثمّ مسح برأسه وغسل رجليه.[1]

١٢. نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن اقتناء الكلاب إلاّ في حالات خاصّة كالصّيد، وحراسة الزرع والضرع، فعن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه –صلى الله عليه وسلم–: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلاَّ كَلْبَ مَاشِيَةٍ أَوْ ضَارِي[2] نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ[3]».[4] قال ابن عبد البر: في الحديث دليل على إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والزّرع والماشية دون ما عدا ذلك[5] وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه و سلم–: «من أمسك كلباً فإنّه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا كلب حرث أو ماشية».[6] وقد أخذ جمهور الفقهاء[7] من هذا الحديث عدم جواز اقتناء الكلاب لغير ما ذكر من الصيد والحراسة. ولا يدخل في الحرمة اقتناؤها لعمل مشروع يحقّق مصالح العباد كالكشف عن المواد السامّة المخدّرة، أو الكشف عن المطمورين تحت الأنقاض بفعل الزّلازل والكوارث الطّبيعية، أو الأسلحة المحظورة، وغير ذلك ممّا فيه مصالح العباد.

١٣. حثّ الإسلام على ممارسة الرياضة البدنية، كالسّباحة وركوب الخيل والرّمي والجري وغير ذلك؛ لما لها من فوائد صحية كثيرة، فهي وقاية من العلل والأسقام، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضّعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإنّ لو تفتح عمل الشّيطان».[8]

وفي الحثّ على المسابقة قالت عائشة: سابقني النّبي –صلى الله عليه وسلم–، فسبقته، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني، فسبقني، فقال النّبي–صلى الله عليه وسلم– :«هذه بتلك».[9]

١– رواه ابن حبان، ذكر الزجر عن ابتداء المرء في وضوئه بفيه قبل غسل اليدين. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ٣/٣٦٩. قال الألباني: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال مسلم. الألباني، السلسلة الصحيحة ٦/٣١٩.

٢– الضّاري: من أولادِ الكِلاب السَّلُوقيَّةِ التي تَصيد، والجميع الضَّراءُ. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٣/٤٤٣.

٣– القيراط: الذي في الحديث فقد جاء تفسيرُه فيه أنّه مثل جَبَل أُحُد.الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، طبعة جديدة، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ١/٢٥٢. ابن منظور، لسان العرب، ٧/٣٧٤.

٤– رواه مسلم، كتاب المساقاة، باب الأَمْرِ بِقَتْلِ الْكِلاَبِ وَبَيَانِ نَسْخِهِ وَبَيَانِ تَحْرِيمِ اقْتِنَائِهَا إِلاَّ لِصَيْدٍ أَوْ زَرْعٍ أَوْ مَاشِيَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ صحيح مسلم ١٠/٣٢٧. حديث رقم (٤١٠٦).

٥– ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، تحقيق: سالم محمد عطا– محمد علي معوض، ٨/٤٩٣.

٦– رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب اقتناء الكلب للحرث، صحيح البخاري٢/٥١٧. حديث رقم (٢١٩٧).

٧– حاشية ابن عابدين ٥/١٣٤. ابن عبد البر، الاستذكار ٨/٤٩٣. ابن قدامة، المغني ٤/١٩١. النفراوي، الفواكه الدواني ٨/٤٠٣. الحاوي الكبير، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٤م، ٥/٨٣٩.

٨– رواه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، حديث رقم (٢٦٦٤). صحيح مسلم ٤/٢٠٥٢.

٩– رواه ابن حبان، كتاب السير، ذكر إباحة المسابقة بالأقدام إذا لم يكن بين المتسابقين رهان. صحيح ابن حبان ١٠/٥٤٥. حديث رقم(٤٦٩١). قال الألباني: صحيح. غاية المرام، الألباني، محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ص٢١٦.

وفي فضل رياضة الرّمي والحثّ عليها أخرج مسلم بإسناده عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ أَلاَ إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْىُ».[1]

وقد أجاز العلماء المسابقة على الدّواب، والمناضلة بالسّهام وهي المسابقة بالرّمي إذا كانت المسافة معلومة وصفة المناضلة معلومة.[2] كما يجوز شرط المال في المناضلة والمسابقة إن أخرجه متبرع أي غير المتسابقين ليأخذه لمن سبق منهما.[3] ففي هذا تشجيع للشباب المسلم على تحصيل القوّة والنّشاط بممارسة الرّياضات المختلفة. فعن سلمة بن الأكوع أنّ النّبي –صلى الله عليه وسلم – خرج على أصحاب له يَنْتَضِلُونَ فقال:«ارموا بني إسماعيل فإنّ أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان». قال فأمسكَ أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله: «مالكم لا ترمون؟» فقالوا: يا رسول الله كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال:«ارموا وأنا معكم كلكم».[4] قال النّووي: في الأحاديث فضيلة الرّمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها، والمراد بهذا كلّه التمرّن على القتال والتدرّب والتحذّق فيه ورياضة الأعضاء بذلك.[5]

كما حثّ الإسلام على تعليم السّباحة والفروسية، فقد كتب عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– إلى أمراء الأمصار: «علّموا أولادكم العوم، والفروسية، وما سار من المثل، وما حسن من الشّعر».[6]

وكان يقال: من تمام ما يجب للأبناء على الآباء تعليم الكتابة والحساب والسباحة.[7]

وقال الحجاج لمعلم ولده: علم ولدي السّباحة قبل أن تعلمهم الكتابة، فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم.[8]

الوسيلة الثالثة: إقامة المحميات الطبيعية: ومن الوسائل العملية في حفظ البيئة إقامة المحميات الطبيعية، فهي تساعد على تكاثر الحيوانات وتنوّعها وعدم انقراضها، وكذلك النباتات، وذكر الفقهاء أنّ للإمام دون غيره أن يحمي مكاناً خاصّاً أي أن يمنع رعي كلئه؛ لأجل أن يتوفّر لدواب الصدقة والغزو وضعفاء المسلمين.[9] وإذا دعت حاجة المسلمين إلى غير هذه الأسباب، فللإمام أن يحمي ما يراه مناسباً ومحقّقاً لمصالح الأمّة ومنافعها العامّة.

١– رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب فضل الرَّمْي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه. صحيح مسلم ٤٨٣/١٢. حديث رقم (٥٠٥٥).

٢– الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحفة الملوك في فقه الإمام أبي حنيفة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ،٢٣٧/١. الدردير، أبو البركات أحمد ، الشرح الكبير، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، دار الفكر، بيروت، ٢٠٩/٢. الحصني، تقي الدين أبو بكر بن محمد الشافعي،كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٥٣٦/١. ابن قدامة، الكافي في فقه ابن حنبل ٣٤٢/٢.

٣– الحصني،كفاية الأخيار ٥٣٧/١. الشرح الكبير للشيخ الدردير٢٠٩/٢.

٤– رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب التَّحْرِيضِ عَلَى الرَّمْيِ. صحيح البخاري ٣٦٩/١٠. حديث رقم (٢٨٩٩).

٥– شرح النووي على مسلم٦٤/١٣.

٦– ابن مفلح، الآداب الشرعية ٤٨٠/١.

٧– المرجع السابق ٤٨٠/١– ٤٨١.

٨– المرجع نفسه ٤٨٠/١– ٤٨١.

٩– حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٦٩/٤.

الوسيلة الرابعة: تقييد الانتفاع بالمباحات: فللدولة أن تمنع وتوقف وتقيّد الانتفاع ببعض المباحات إذا أفضى الانتفاع بها إلى مخاطر ومضار ومفاسد أكثر من فوائد الانتفاع بها؛[1] جاز ذلك تحصيلاً لأعلى المصلحتين أو دفعاً لأعظم المفسدتين؛ كمنع تقطيع أشجار الغابات حفظاً للتربة من الانجراف وحماية للمزروعات والطيور؛ حرصاً على بقاء المناظر الخلابة وعدم فقدانها، أو منع صيد الحيوانات سداً لذريعة انقراضها وفنائها، والقاعدة الشرعية تقول: «درء المفاسد أولى من جلب المصالح»، «يتحمّل الضرر الخاص لدفع الضرر العام».[2] وكل ذلك حماية للبيئة وحفظاً لها، وفي هذه الحالة يتوجّب طاعة ولي الأمر والالتزام بما تسنّه الدولة من قوانين وأنظمة تخدم هذه الأهداف، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الزجر عن أن يتخذ الحمى[3] من بلاد المسلمين إلاّ الإمام الذي يريد به صلاح رعيته دون انفراده بها عنهم، فعن الصّعب بن جثامة قال: سمعت رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– يقول: «لا حمى إلا **لله** ولرسوله». وقال: بلغنا أنّ النّبي حمى النّقيع[4] وأنّ عمر حمى الشرف والربذة.[5]

ومعنى الحديث: أي لا حمى لأحد يخص نفسه يرعى فيه ماشيته دون سائر النّاس، وإنما هو **لله** ولرسوله.[6]

الوسيلة الخامسة: تقييد الحق الفردي: فعلى صاحب الحق أن يراعي مصالح المسلمين في التصرّف في هذا الحق فعلاً أو تركاً أو غير ذلك، فحقوق الفرد في الإسلام ليست مطلقة، بل لا بد له أن يراعي مقاصد الشريعة عند الانتفاع بها. فليس لفرد أن يقيم على ملكه مصنعاً مزعجاً للآخرين، أو تنبعث منه روائح كريهة ومواد سامّة من شأنها إلحاق الضرر بحي سكني فيه مئات من الناس، والقاعدة تقول: «يتحمّل الضّرر الخاص لدفع الضّرر العام»، فالضّرر الخاص اللاحق بصاحب المصنع بسبب إغلاق مصنعه أقل من الضرر اللاحق بالعائلات الأخرى إن بقي مصنعه، جاء في المادة (١٢٠٠) من مجلة الأحكام العدلية: (يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان، مثلاً لو اتخذ في اتصال دار دكان حداد أو طاحون، فمن طرق الحديد ودوران الطاحون يحصل وهن للبناء، أو بإحداث فرن أو معصرة لا يستطيع صاحب الدار السكنى فيها لتأذيه من الدخان ورائحة

١- الريسوني، المحافظة على البيئة ص ١٧٤.

٢- الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص١٩٧.

٣- الحمى: منع الرعي في أرض مخصوصة من المباحات، فيجعلها الإمام مخصوصة برعي بهائم الصدقة مثلاً. وأصل الحمى عند العرب أنّ الرئيس منهم كان إذا نزل منزلاً مخصباً استعوى كلباً على مكان عال فإلى حيث انتهى صوته حماه من كل جانب، فلا يرعى فيه غيره، ويرعى هو مع غيره فيما سواه، والحمى هو المكان المحمي، وهو خلاف المباح، ومعناه: أن يمنع من الإحياء من ذلك الموات؛ ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواش مخصوصة، ويمنع غيرها.ابن منظور، لسان العرب ١٩٨/١٤. ابن حجر، فتح الباري٤٤/٥.

٤- النّقيع: أصل النقيع كل موضع يستنقع فيه الماء، وهو مكان على عشرين فرسخاً من المدينة وقدره ميل في ثمانية أميال. ابن حجر، فتح الباري٤٥/٥.

٥- رواه البخاري، كتاب المساقاة الشرب، باب لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. صحيح البخاري ٨٣٥/٢. وأما شرف: فهو موضع بقرب مكة. والربذة: بفتح الراء موضع معروف بين مكة والمدينة. ابن حجر، فتح الباري٤٥/٥.

٦- العيني، عمدة القاري ٢١٣/١٢.

المعصرة، فهذا كله ضرر فاحش بأي وجه كان يدفع ويزال، وكذلك لو أحدث رجل بيدراً في قرب دار آخر، وبمجيء الغبار منه يتأذى صاحب الدار حتى لا يطيق الإقامة فيها، فله أن يكلفه رفع ضرره، كذلك لو أحدث رجل دكان طباخ في سوق البزازين[1] وكان الدخان يضر بأمتعة الجار ضرراً فاحشاً فإنه يكلفه رفع ضرره).[2]

ومن صور تقييد الحق الفردي أيضاً إجبار أصحاب الأراضي البور التي لا يزرعها أصحابها على زراعتها أو إزراعها أو يكريها لغيره.[3] ودليل ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها، فإن لم يفعل فليمسك أرضه».[4] وقد استشكل بأنّ في إمساكها بغير زراعة تضييعاً لمنفعتها، فيكون من إضاعة المال، وقد ثبت النهي عنها، وأجيب بحمل النهي عن إضاعة عين المال أو منفعة لا تخلف؛ لأنّ الأرض إذا تركت بغير زرع لم تتعطّل منفعتها، فإنها قد تنبت من الكلأ والحطب والحشيش ما ينفع في الرعي وغيره، وعلى تقدير أن لا يحصل ذلك فقد يكون تأخير الزرع عن الأرض إصلاحاً لها، فتخلف في السنة التي تليها ما لعله فات في سنة الترك.[5] وقال النبي عليه الصلاة والسلام حاثاً المسلمين من أصحاب الأراضي على الزراعة: «ازْرَعوها أو أَزْرِعوها أو أمسكوها».[6] ومن ذلك تقييد صاحب الماء إذا زاد الماء عن حاجته، فإنه لا يجوز له أن يمنع الناس ممن لا ماء عندهم من الانتفاع به في سقي مزارعهم ودوابهم وغير ذلك، بل عدّ الفقهاء مثل هذا المنع من الكبائر؛[7] لأنّ فيه تعطيلاً لمصالح الناس واقتصاد الدّولة والزّراعة، فيهزل المال وتجوع العيال.[8] فعن أبي هريرة -رضي **الله** عنه- أن رسول **الله** -صلى **الله** عليه وسلم-قال: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ».[9] والمراد بالكلأ هنا العشب النابت في الأرض الموات فإنّ الناس فيه سواء.[10]

وعن أبي هريرة وهذا حديث أبي بكر قال: قال رسول **الله** - صلى **الله** عليه وسلم-: «ثلاث لا يكلمهم **الله** يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالفلاة يمنعه من ابن السبيل، ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا، فصدقه وهو على غير ذلك، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفي، وإن لم يعطه منها لم يف».[11]

١- البزّ: الثياب والبزّاز بائع البزّ وحرفته البزازة. ابن منظور، لسان العرب ٣١١/٥.
٢- مجلة الأحكام العدلية، تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هواويني، ص٢٣١.
٣- ابن حجر، فتح الباري ٢٤/٥.
٤- رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة. صحيح البخاري ٨٢٥/٢. حديث رقم (٢٢١٥).
٥- ابن حجر، فتح الباري ٢٤/٥.
٦- رواه البخاري،كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة. صحيح البخاري ٨٢٤/٢. حديث رقم (٢٢١٤).
٧- الشنقيطي، أضواء البيان ٧٦/٧. الحصني،كفاية الأخيار ٣٠٣/١.
٨- ابن حجر،فتح الباري ٣٢/٥.
٩- رواه البخاري، كتاب المساقاة الشرب، باب من قال إنّ صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يمنع فضل الماء. صحيح البخاري، البخاري ٨٢٩/٢. حديث رقم (٢٢٢٧).
١٠- ابن حجر،فتح الباري ٣٢/٥.
١١- رواه مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. صحيح مسلم ١٠٣/١، حديث رقم (٣١٠).

يقول الإمام الزيلعي: (اعلم أنّ للإنسان أن يتصرّف في ملكه ما شاء من التصرّفات ما لم يضر بغيره ضرراً ظاهراً، فيجوز له أن يتخذ في داره حماماً؛ لأنّ ذلك لا يضر بالجيران، وعن أبي يوسف –رحمه الله– أنّ الجيران إذا ما تأذّوا من دخانه فلهم منعه إلاّ أن يكون دخان الحمام مثل دخانهم، ولو أراد بناء تنور في داره للخبز الدائم كما يكون في الدكاكين أو رحاً للطّحن أو مدقّات للقصّارين لم يجز؛ لأنّ ذلك يضر بالجيران ضرراً ظاهراً فاحشاً لا يمكن التحرّز عنه، والقياس أن يجوز؛ لأنّه تصرّف في ملكه، وترك ذلك استحساناً لأجل المصلحة).[1]

الوسيلة السادسة: ترجيح المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة: فمصلحة الجماعة تقدّم على مصلحة الفرد؛ سواء أكانت المصلحة الخاصّة لفرد بعينه كالقاتل، فمشروعية القصاص مصلحة عامّة، وإبقاء القاتل والعفو عنه مصلحة خاصّة به، فتقدّم المصلحة العامّة؛ لتعذر الجمع بينهما.[2] أو كانت المصلحة لجماعة معيّنة من الناس لكنّها تؤثّر على مصلحة الأمّة جميعها،كما فعل النَّبي–صلى الله عليه وسلم– يوم حنين حيث استطاب نفوس الغزاة عن الغنيمة؛ ليؤلف بها قلوب المؤلفة قلوبهم؛ لأجل المصلحة العامّة للإسلام والمسلمين.[3] ولهذا يمنع الفرد أو الجماعة من أي تصرّف يؤذي الآخرين وإن كان لهم فيه مصلحة ومنفعة، أو كان في ملكهم ولهم فيه حق، وذلك طبقاً لقاعدة: «درء المفاسد أولى من جلب المصالح». قال ابن الزاغوني: (لا يجوز له أن يتصرّف في ملكه على وجه يضر بجيرانه بزلزال حائط، أو حر نار، أو ماء ينزل في بالوعة، أو غير ذلك ممّا به ضرر عليهم إلاّ بإذنهم أوّلاً).[4] وقال ابن رشد: (يمنع من ذبح الفتى من الإبل ممّا فيه الحمولة، وذبح الفتى من البقر مما هو للحرث، وذبح ذوات الدر من الغنم للمصلحة العامّة).[5]

المطلب الثالث: الوسائل الرقابية: بالإضافة إلى الوسائل الوقائية والعملية التي شرعها الإسلام للمحافظة على البيئة شرع وسائل رقابية من شأنها أن تساعد في تنفيذ ومتابعة الوسائل السابقة، ومن هذه الوسائل الناجعة:

الوسيلة الأولى: سن القوانين الرقابية وتنفيذ العقوبات: فالدولة تقع على عاتقها مسؤولية كبيرة في هذا الشأن، فهي مكلّفة بوضع قوانين ملزمة للحفاظ على البيئة،[6] ومراقبة تنفيذها، وهي ملزمة بمحاسبة الخارجين على هذه القوانين ومعاقبتهم، وهي ملزمة بتطوير وتعديل وتفعيل هذه القوانين لتتلاءم وتنسجم مع مستجدات الحياة اليومية الطارئة، كما قال الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه–: «إنّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».[7] أي: ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد،

١– الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي الحنفي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب الإسلامي القاهرة ١٣١٣هـ، ١٩/٤.

٢– أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ١٨/٢.

٣– الشنقيطي، أضواء البيان ٥٨/٢.

٤– ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م، ٨٥٤/٤.

٥– الحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤٣/٩.

٦– قانون سلطة جودة البيئة في فلسطين رقم ٧ لسنة ١٩٩٩ ص٣٩.

٧– الشوكاني، تفسير فتح القدير ٢٥٢/٣.

وهذا هو الواقع.[١] فإنّ من يكون من المنافقين والفجّار فإنّه ينزجر بما يشاهده من العقوبات، وينضبط عن انتهاك المحرّمات، فهذه بعض فوائد العقوبات السلطانية المشروعة.[٢] ولله در القائل:

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يدعى بالنداء العالي.
وسواهما بالزجر من قبل العصا ثمّ العصا هي رابع الأحوال.[٢]

الوسيلة الثانية: **تفعيل عمل المحتسب وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وأمّا ولاية الحسبة فخاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٣] قال تعالى: «كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ».[٤] أي صرتم خير أمة بسبب كونكم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر ومؤمنين بالله.[٥]

وعن أبي سعيد الخدري سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[٦] قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: (فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين، ولم يخالف في ذلك إلاّ بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين: (لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء).[٧]

وقال الإمام ابن تيمية: (وأمّا فوائد الأمر والنهي فأعظم من أن يحصيها خطاب أو كتاب، بل هي الجامعة لكل خير يطلب ويُراد، وفى الخروج عنها كل شر وفساد).[٨]

وعمل المحتسب قاعدته وأصله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ووصف به هذه الأمّة، وفضّلها لأجله على سائر الأمم التي أخرجت للناس، وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض كفاية، ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره من ذوي الولاية والسلطان، فعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، فإن مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز، فعن أبي هريرة: عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».[٩]

١- تفسير ابن كثير ٨٢/٣.
٢- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤١٦/١١.
٣- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، ص٣٤٩. الريسوني، المحافظة على البيئة ٢٠٣.
٤- (آل عمران: ١١٠).
٥- الرازي، التفسير الكبير ١٥٦/٨.
٦- رواه مسلم،كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان. صحيح مسلم ٤٩/١. حديث رقم (٦٩).
٧- شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢/٢.
٨- ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤١٦/١١.
٩- رواه البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– صحيح

ولمّا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلاّ بالعقوبات الشرعية فإنّ **الله** يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، فإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور، والعقوبة تكون على فعل محرم أو ترك واجب.[1] ويمكن إجمال دور المحتسب في حفظ البيئة فيما يأتي:[2]

١. منع القصّابين[3] من الذّبح على أبواب حوانيتهم؛ لأنّه يلوّث الطريق بالدم ويضيّقه بسبب الترشيش بالنجاسة. وإذا عثر المحتسب على جزّار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح قبض عليه، وأشهره، وأخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن، ثمّ يحبس ويضرب ويغرّم مالاً، ولا يغفر ذنبه ويسمّى خائناً وفلاتياً.[4]

٢. منع إخراج الميازيب والمجاري حفاظاً على الشوارع، وكذا إخْرَاج الأجنحةِ والأَسْبطة ومجاري الْمياه وآبَار الْحُشُوش، وله أن يُقرّ ما لا يضرُّ، ويمنع ما ضرَّ، ويجتهد المحتسب رَأْيه فيما ضَرَّ، وما لَم يَضُرَّ؛ لأَنَّه من الاجتهاد العرفي دون الشَّرعي.[5]

٣. إجبار الخبّازين والفرّانين والحدّادين ومن في حكمهم من أصحاب الصّناعات على إبعاد حوانيتهم عن وسط المدينة حفاظاً على جمالية العمران، ونظافة البيئة وراحة السكان. وهو ما يشبه المناطق الصناعية في هذا الزمان.

٤. إجبار الفرّانين على رفع سقائف أفرانهم وجعل منافس واسعة فيها للدخان.

٥. مراقبة الأبنية والطرقات وتنظيم المدن، فقد كان يأمر بهدم المباني البارزة، وكان يمنع فتح النوافذ في المباني التي تطل على الطرقات، وكان يراقب أصحاب البسطات، ويزيل منها ما يضايق الشارع العام ويشوّش على المارة. فقد هدم المحتسب حوانيت وإصطبلاً كان صدر الدين بن درباس أنشأها في زيادة الجامع الأزهر بجوار داره، ورفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره.[6]

٦. صيانة المدن والطرقات والثغور والقناطر، ومما كان ضمن ولاية الحسبة –أيضاً– ما يتم به إصلاح المدن والطرق التي هي تحت ولايتهم، فالمتعدّي على طرق المسلمين لا يردعه القاضي، فالقاضي يحكم بين الناس، ولا الشرطة كذلك، فهذا ليس من شأنهم، بل

البخاري، ٦/ ٢٦٥٨. حديث رقم (٦٨٥٨).

١- ابن تيمية، الطرق الحكمية ص ٣٨٤.

٢- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص١١. الريسوني، المحافظة على البيئة ٢٠٣-٢٠٤.

٣- القصّاب: الجزّار. ابن منظور، لسان العرب ٦٧٥/١. مادة (قصب).

٤- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي، عجائب الآثار، بلا طبعة، ٢٤٧/٣.

٥- الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي الماوردي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م، ٢٥/٢.

٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، بلا طبعة،٢٩/١.

كل ذلك يدخل ضمن ولاية الحسبة؛ كالتعدّي في الطرقات، أو التعدّي في أراضي غيره كالذي يبسط بسطة في السوق، أو كما في عهد الإمام أحمد كانوا يتحيّلون على الشارع ليضيقوه، فيبنون المسجد، ثمّ يبنون على صفه.

ولو أنّ الأسوار تهدّمت، أو أنّ الثّغور ضعفت لكان من وظيفة المحتسب أن ينبههم إلى ضعف الأسوار والثّغور، وكذلك القناطر والجّسور.

٧. ما يتعلّق بحق آدمي،كالبلد إذا تعطّل شربه، أو انهدم سوره، أو طرقه أبناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم، فإن كان في بيت المال مال لم يؤمر النّاس بذلك، وإن لم يكن أمر أهل المكنة برعايتها.[١]

٨. ومن جملة ما يلزم المحتسب أيضاً عمارة الطرق، وتنظيفها، وتشييد جوانبها، وترصيفها فإنّه متولي أوقافها والنّاظر في مصالحها ومصارفها. وليصن المساجد وبيوت العبادات من اتخاذها حوانيت لذوي الصناعات، وحلقاً لذوي الخرافات، ومخازن ومساكن لذوي الصنائع والتّجارات.[٢]

٩. الرّقابة الصحيّة: حيث يمنع المتعاطين للطب من التخمين، ويصدهم عن مداواة الأمراض ومزاولة الأعراض، ومعالجة العيون، ومعالجة الأدواء بالظنون، وبيع الأدوية المغشوشة والمجهولة.[٣]

١٠. وَيُشْرِفُ الْمُحْتَسِب على الجوامع والمساجد، وَيَأْمر قَوَمَتَهَا بِكَنْسها في كُل يوم وَتَنْظِيفِهَا مِنْ الأَوساخ، وَنَفْض حُصُرها من الْغُبار، ومسح حيطانها، وغسل قَناديلها وَإِشْعالها في كلّ لَيْلَةٍ.[٤]

١١. وأمّا الْبَقَّالين وَبَاعة الخَضْرَاوَات، فإنَّه يَأْمرهم ببيع الْبُقُول مَغْسولة من السِّرْجين[٥]، مُنَقَّاة من الحشيش والطَّاقات المصفِّرة، ويأمرهم بقطع شَغَف أُصُول الخَسِّ والْفُجْل؛ وينهاهم عن غسل البصل والثُّوم الرَّطْبَين، فإنَّ الماء يَزيدهما زَفْرة وَنُتُونة؛ وَينهاهم عن بيع ما دَوَّد من البِطِّيخ والقثَّاء والتِّين والرُّطب، وما قد تناهى نضجه حتَّى تهرّى قشره من ذلك. وينهاهم عن بيع ما سوَّس من الْبَاقِلا والحمَّص.[٦] وهو بذلك يمنع التلوّث الغذائي.

١- النووي، يحيى بن شرف بن مري محيي الدين أبو زكريا، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ،٤١٩/٧. الماوردي، الأحكام السلطانية ص٢٤٥.

٢- ابن الأخوةِ الْقُرَشي، محمد بن محمد بن أحمد، معالم القربة في طلب الحسبة، بلا طبعة، ص٩١. البرق الشامي ١٣٨/٥.

٣- ابن الأخوةِ الْقُرَشي، معالم القربة في طلب الحسبة ص١٥٢. البرق الشامي ١٣٧/٥.

٤- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصرْ بْن عَبْدِ اللَّهِ، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، بلا طبعة، ص١٠٨.

٥- السرجين: الزبل تدمل به الأرض. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين،٨٠٦٥/١.

٦- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصرْ، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة ص١١٦.

١٢. وأمّا السَّقَّائين وأَصحاب الرَّوايا والقِرب، فإنَّه يأمرهم بالدُّخول في النَّهر، حتَّى يبعدوا عن الشَّط ومواضع الأَوساخ، ولا يستقون من موضع في النَّهر بقُرب من سقاية للدَّوابّ أَو مستخدم أَو مَجْرى حَمَّام، بل يصعدون عنه أَو يبعدون من تحته.[1] وهو بذلك يمنع التلوّث المائي.

وهناك أعمال أخرى للمحتسب لا مجال لذكرها تسهم في الحفاظ على البيئة والصّحة العامّة، ممّا يظهر عظمة هذا الدّين الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وضع لها حلاً وعلاجاً في كل زمان ومكان، حتى أوجب على أصحاب البضائع أن تكون الْمِذَبَّةُ في أيديهم، يَذُبُّون عن البضاعة بها الذُّباب.

الوسيلة الثالثة: **رقابة المجتمع والرأي العام**: فالحفاظ على البيئة مسؤولية جماعية، تطالب به الجماعة والأمّة والمجتمع، قال تعالى: «كنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ».[2]

وعن النعمان بن بشير –رضي **الله** عنهما– عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «مثل القائم على حدود **الله** والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».[3] وهكذا إذا أقيمت الحدود وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر تحصل النجاة للكل، وإلاّ هلك العاصي بالمعصية، وغيره بترك النصح والتوجيه، وفيه تعذيب العامّة بذنوب الخاصّة، واستحقاق العقوبة بترك النهي عن المنكر مع القدرة.[4] من هنا يصبح كل مسلم مسئولاً مسؤولية تضامنية عن سلامة البيئة وصلاحها.[5]

١– المرجع السابق ص١١٧.
٢– آل عمران (١١٠).
٣– رواه البخاري، كتاب الشركة. باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، صحيح البخاري ٨٨٢/٢. حديث رقم (٢٣٦١).
٤– العيني، عمدة القاري ٥٧/١٣.
٥– القرضاوي، يوسف، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشـــــروق، مصر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ١٤٠.

الفصل الثالث
التلوّث البيئي ومكافحته

المبحث الأول ـ مفهوم التلّوث:

التلوّث لغة: مأخوذ من مادة لَوَثَ، فقد لُثْتَه ولَوَّثْته، كما تلوثُ الطين بالتبن والجِصِّ بالرمل، ولَوَّث ثِيابه بالطين أي لطَّخها، ولَوَّث الماء كدَّره.[1]

التلوّث بالمفهوم الحديث: اختلفت عبارات العلماء في بيان مفهومه، فمنهم من قال: هو كل ما يؤثّر في كل أو بعض عناصر البيئة، بما تشمل من (إنسان وحيوان ونبات)، وكذلك كل ما يؤثّر في تركيب العناصر الطّبيعية غير الحيّة مثل (الهواء والماء والتّربة). ويعرّفه آخرون بأنّه: كل تغير سواء أكان في الكم أم الكيف في مكوّنات البيئة الحيّة وغير الحيّة، ولا قدرة للأنظمة البيئية على استيعابه دون أن يختل توازنها.[2] والتغيّر الكمّي قد يكون بزيادة نسبة بعض المكوّنات الطبيعة للبيئة، كزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون عن نسبته المعتادة بسبب الحرائق الهائلة التي تحدث، أو من إضافة مواد سامّة أو قاتلة في الموارد الطبيعية أو زيادة درجة الحرارة في منطقة ما.[3] والتغير الكيفي يكون بطرح مركبات صناعية غريبة على مكوّنات البيئة كالمبيدات[4] الكيميائية.[5]

المبحث الثاني ـ موقف الإسلام من تلويث البيئة:

حذّر الإسلام من تلويث البيئة والإضرار بها وخاصّة الإضرار بعناصرها الأساسية التي لا غنى للإنسان عنها؛ لأنّ من شأن ذلك أن يعطّل الحياة على الأرض برمتها، قال تعالى: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى في الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ».[6] الحرث: وهو محل نماء الزروعَ والثمار. والنسل: وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلاّ بهما.[7] فإفسادهما تدمير للإنسانية، وإفساد للبيئة.

١- ابن منظور، لسان العرب ١٨٥/٢.
٢- السعود، راتب، الإنسان والبيئة (دراسة في التربية البيئية)، دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، ط٢ ٢٠٠٧م، ص٥١. ربيع، عطاء الله وآخرون، الصحة العامّة وحماية البيئة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧، ص٦٥١. العلوم والصحة وطرائق تدريسها١، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ٢٠٠٦، ص٢٨٩.
٣- السعود، الإنسان والبيئة ص٥٢. العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٨٩.
٤- وهي مركبات كيميائية تسبب الأمراض الخطيرة للإنسان والحيوانات وخاصة الأورام والسرطانات المختلفة. محمد أمين عامر ومصطفى محمود سليمان، تلوّث البيئة مشكلة العصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣-٢٠٠٣، ص٢٦٧.
٥- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٤٤.
٦- (البقرة: ٢٠٥).
٧- تفسير ابن كثير ٣٣٢/١.

إنّ استغلال الإنسان للبيئة وإبداعه وتقدّمه في هذا الاستغلال ليس دليلاً على عظمته ما دام يسيء هذا الاستغلال ويلوّث بيئته، ويعيث فيها فساداً، بل تكمن عظمته الحقيقية في المحافظة على بيئته وحمايتها من الدمّار. يقول «وليم دين هويلن»: (لا تكمن عظمة الإنسان في مجال المحافظة على بيئته الطبيعية في قدرته على استخراج الفحم أو قطع الاخشاب من الغابات ليمد الخطوط الحديدية، ولكن في حرصه على تعلم أساليب الإنتاج والبناء دون أن يهدم دعائم الحياة المستقبلة).[١]

وقد زخر القرآن الكريم بآيات كثيرة تتحدّث عن الفساد الذي يحدثه الإنسان في الأرض من معصية أو كفر، أو من جور وظلم وانتهاك لحقوق الإنسان، أو من تلوّث يحدثه الإنسان هنا وهناك، ولنتأمّل قوله تعالى: «وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ».[٢] فلولا بقية صالحة من الناس تحارب الفساد لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها. فالله تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض، فلا تفسد الأرض، وتنتظم به مصالح العالم، وتنصلح أحوال الأمم.[٣]

وقال تعالى: «وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ».[٤] والتلوّث إفساد في الأرض؛ لأنّه إفساد لمكوّنات البيئة بحيث تتحوّل هذه المكونات من عناصر مفيدة إلى عناصر ضارّة، مما يفقدها دورها في دوام الحياة وحصول الاستقرار المنشود.

ولا شك أنّ إتلاف مكوّنات البيئة، وقتل الحيوانات البرية والبحرية، وتلويث المياه والهواء والغذاء، وقطع الأشجار وإتلاف النباتات لغير مصلحة عامّة، وكل ما يؤدّي إلى تدمير الحياة وتلويثها إفساد نهانا الله تعالى عنه، وحذّرنا من عواقبه الوخيمة وآثاره الجسيمة.

إنّ هذه النصوص القرآنية السابقة توضّح لنا بما لا يقبل الشك أنّ للبشر يداً في تلويث البيئة وتخريبها وتعطيل الحياة فيها، ولو استقام الإنسان على شرع الله ومنهجه لصلح أمر الإنسان وأمر بيئته، وتجنّب كثيراً من المشكلات البيئية التي نعاني منها اليوم كاستنزاف وهدر مواردها وتعطيلها، وتلويث عناصرها ومصادرها، وهكذا نجد أنّ القرآن الكريم تحدّث عن مشكلة تلوث البيئة وما ينتج عنه من آثار خطيرة قبل أن تتحدّث عنها مناهج الأرض وقوانينها بمئات السنين، وأشار إلى أنها ستكون نتيجة لما تصنعه وتقترفه يد الإنسان. قال تعالى: «وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً» .[٥]

المبحث الثالث ـ أنواع التلوّث وعلاجه:

لقد سيطرت مشكلة التلوّث على كل قضايا البيئة حتى غدت مشكلة البيئة الرئيسة، فآثار هذه الظاهرة مكشوفة وظاهرة للعيان، وهي مدمّرة، وخطورتها محسوسة يعاني منها كل من يعيش على هذه الأرض ويقطنها.

١- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٤.
٢- (البقرة: ٢٥١).
٣- تفسير أبي السعود ١/٢٤٥.
٤- (القصص: ٧٧).
٥- (الجن: ١٦).

وقد بدأت هذه المشكلة مع الانفجار الصناعي في العالم خاصّة العالم الغربي، هذا الانفجار الذي ألقى بظلاله على كل مظاهر الحياة الإنسانية، فمع كل سيّارة أو دراجة أو قطار أو طائرة، ومع كل مصنع جديد أو مفاعل نووي جديد يتم افتتاحه تزداد هذه المشكلة اتساعاً وتفاقماً، ومع كل حادثة أو كارثة بيئية تفوح رائحتها يشتمّها القاصي والداني، ويتأذّى بها الحي وغير الحي.

وقد عقّدت قمم ومؤتمرات إقليمية ودولية لتحديد أسباب هذا التلوّث الذي شرع في تهديد عناصر البيئة الرئيسة (الماء والهواء والتربة والغذاء). لكنّ العالم لم يتوصّل حتى الآن إلى حلول فعّالة لهذه الكارثة بسبب تعنّت بعض الدول الصناعية وامتناعها عن مكافحة أسباب هذا التلوّث حماية لمصالحها الاقتصادية. أمّا أنواع التلوّث فهي كما يلي:

المطلب الأول ـ التلوّث المائي:

أهمية الماء: الماء عنصر مهم في حياة الإنسان والحيوان والنبات بعد أكسجين الهواء مباشرة، وهو أصل الحياة وسرّ بقائها، ولا يمكن تصوّر الحياة والحضارات على الأرض بدونه، قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ».[1] أي وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي.[2] وقال الإمام السيوطي: خلق كل شيء من الماء وهو حياة كل شيء.[3] وتبلغ نسبته من حيث المساحة حوالي ٨و٧٠٪ (٣٥٨ مليون كم٢) من مساحة الكرة الأرضية البالغة حوالي (٥١٠ مليون كم٢).[4] وتتلخّص أهمّيته وفوائده في ما يلي:

1. منه يشرب الإنسان، ويرعى الحيوان، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ».[5] والمعنى: ترعون مواشيكم السائمة في ذلك الشجر الذي هو المرعى، والعرب تطلق اسم الشجر على كل ما تنبته الأرض من المرعى.[6]
2. كما أنّ البحار والمحيطات هي المسئولة عن تقديم (٧٠٪) من الأوكسجين اللازم للكائنات الحيّة الموجودة على الأرض.[7]
3. الماء ضروري لتحقيق النظافة البدنية والمنزلية والتطهير.[8] وقال تعالى: «وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً».[9] أي فكل ماء نازل من السماء طهور.[10] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الماء لا ينجسه شيء يطهّر ولا يطهّره شيء.[11]

١- (الأنبياء: ٣٠).
٢- الشنقيطي، أضواء البيان ١٤١/٤.
٣- السيوطي، الدر المنثور ٦٢٦/٥.
٤- السعود، الإنسان والبيئة ص٧٧.
٥- (النحل: ١٠).
٦- الشنقيطي، أضواء البيان ٣٤٠/٢.
٧- عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب، المنهج الإسلامي لعلاج تلوّث البيئة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ص ٩٦.
٨- شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص ١٩.
٩- (الفرقان: ٤٨).
١٠- الشنقيطي، أضواء البيان ٤١٦/٢.
١١- السيوطي، الدر المنثور ٢٦٣/٦.

٤. هو ضروري لري المزروعات وتربية الحيوانات، قال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ» .[١] قال ابن كثير: يبيّن تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إرساله الماء إمّا من السماء أو من السيح وهو ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال تعالى إلى الأرض الجرز وهي التي لا نبات فيها.[٢]

٥. تقوم عليه كثير من الصناعات كصناعة الأحجار ومواد البناء والغزل والمواد الغذائية المختلفة والأدوية والعقاقير الطبية.[٣]

٦. هو وسيلة ترفيهية في المتنزهات والحدائق، قال تعالى: «وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ **الله** بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ». [٤] فهذه المذكورات التي هي خلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإنبات الحدائق ذات البهجة التي لا يقدر على إنبات شجرها إلا **الله** من خصائص ربوبية **الله**.[٥]

٧. هو عنصر هام في إنتاج وتوليد الطاقة الكهربائية التي تقوم عليها الحضارات والمدنيات المعاصرة.[٦]

٨. الماء وسيلة أساسية لحياة كثير من الحيوانات البحرية المفيدة للإنسان،كالأسماك فعن أبي هريرة قال: سأل رجل رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– فقال: يا رسول **الله** إنّا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».[٧]

٩. يساعد في إطفاء الحرائق وإخمادها.[٨]

وبما أنّ في الماء حياة الإنسان واستقراره فقد جعله الإسلام حقّاً شائعاً بين البشر قال تعالى: «وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ».[٩] وعن ابن عباس قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار».[١٠] والحديث دليل على عدم اختصاص أحد من الناس بأحد الثلاثة، وهو إجماع في الكلأ في الأرض المباحة والجبال التي لم يحرزها أحد، فإنه لا يمنع من أخذ كلئها أحد إلاّ ما حماه الإمام.[١١]

١- (السجدة: ٢٧).
٢- تفسير ابن كثير ٤٦٤/٣.
٣- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٦٧. جاد الله، فوزي علي، الصحة العامة والرعاية الصحية، دار المعارف، مصر، ط٣، ص١٦٧.
٤- (النمل: ٦٠).
٥- الشنقيطي، أضواء البيان ٤٠٤/٧.
٦- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٦٧.
٧- رواه النسائي،كتاب الطهارة، باب ماء البحر. سنن النسائي ٥٠/١. حديث رقم (٥٩). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، إرواء الغليل ١٤٩/٨.
٨- جاد الله، الصحة العامة والرعاية الصحية، ص١٦٧.
٩- (القمر: ٢٨).
١٠- رواه ابن ماجة، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث. سنن ابن ماجه ٨٢٦/٢. حديث رقم (٢٤٧٢). قال الشيخ الألباني: صحيح. مشكاة المصابيح ١٧٩/٢.
١١- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي، ٨٦/٣.

وقد ذهب قوم إلى ظاهر الحديث فقالوا: إنّ هذه الأمور الثلاثة لا تملك، ولا يصح بيعها مطلقاً. والمشهور بين العلماء أنّ المراد بالكلأ الكلأ المباح الذي لا يختص بأحد وبالماء ماء السماء والعيون والأنهار التي لا مالك لها.[1] وبالنار الشجر الذي يحتطبه الناس من المباح فيوقدونه. وقال الخطابي: الكلأ هو الذي ينبت في موات الأرض يرعاه الناس، وليس لأحد أن يختص به.[2]

أسباب التلوّث المائي:

التلوّث المائي ثلاثة أنواع:[3]

الأول.طبيعي: وهو الذي يغيّر خصائص الماء الطبيعية فيجعله غير مستساغ للاستعمال الآدمي، مثل اكتسابه الرائحة الكريهة، أو اللون والمذاق الكريهين بسبب فضلات الحيوانات والطيور والشوائب والأتربة الناجمة عن المحاجر وغيرها، وكل ما من شأنه أن يغيّر في هذه الصفات الثلاث.

الثاني.كيميائي: بحيث يصبح للماء تأثير سام نتيجة وجود مواد سامة كيميائية مثل مركّبات الرّصاص أو الزرنيخ، أو المبيدات الحشرية، أو إضافة مكوّنات مادية إليه كمخلّفات المصانع خاصّة معامل تصنيع الغذاء التي تقوم بغسل الخضراوات والفواكه في مياه الأنهار التي تستخدم للشرب، ومخلّفات مصانع الورق ومناجر الخشب، والطمي، وصناعة النسيج، والمحاجر والمناجم[4] وكذلك استخدام الماء في تبريد الحرارة الناتجة عن محطات توليد الطاقة، فعند استخدام هذا الماء فإنّ الحرارة المنطلقة تنصرف بعيداً حيث تصل إلى المجاري المائية السطحية، أو تتسرّب تحت سطح الأرض حيث تختلط بالمياه الجوفية.[5] كما تعمل الأمطار على إذابة الأسمدة الزراعية والمبيدات وزيوت السيارات وفضلات الاحتراق العالقة بالطّرقات، وتحملها إلى المياه الجوفية، أو تسيل إلى البحار والأنهار والبحيرات فتزيد من تلوّثها.[6] وكذلك التلوّث بالنفط الناجم عن مصافي البترول أو بعد غسل خزانات ناقلات النفط وطرح مياه الغسيل المشبع بالبترول في البحار.[7] أو التلوّث بفعل المواد المشعّة أو رفع درجة حرارته بحيث تجعله ضاراً للإنسان والحيوان والنبات والأحياء المائية بصفة عامة.[8]

الثالث.بكتيري: حيث توجد ميكروبات مرضية بالمياه، فيتسبب عن شربه الأمراض المعدية. وتعمل مياه الصرف الصحي على انتشار الأحياء المجهرية المسببة للأمراض مثل البكتريا والفيروسات والطفيليات، وبذلك تنقل العديد من الأمراض مثل الكوليرا والتيفوئيد وشلل الأطفال[9]

١- المناوي، فيض القدير ٦/٢٧١.
٢- المرجع السابق ٦/٢٧١.
٣- جاد الله، الصحة العامة والرعاية الصحية ص١٦٧. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٤.
٤- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، طبعة ٢٠٠٠م، ص ١٣٢-١٣٧.
٥- المرجع السابق ص ٤٣.
٦- الخطيب، السيد احمد ، النظام البيئي والتلوّث، المكتبة المصرية الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص٦٩. علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٣ .
٧- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص ٢٩٣.
٨- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص ٢٠٤-٢٠٥.
٩- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص ٢٠٥. التربية البيئية، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، جامعة بير زيت، مرجع عن البيئة العالمية، برنامج التعليم البيئي، ص ١٢.

وتشير التقارير الدولية إلى وفاة أربعة ملايين من الرضع والأطفال يومياً بسبب أمراض الإسهال بسبب تلوث المياه والطعام.[1]

ويمكن معرفة تلوّث الماء من خلال المعاينة المباشرة عند تغير لونه أو رائحته أو طعمه. أو بالفحص المخبري الذي يؤكّد وجود تلوّث الماء أو عدمه.[2]

علاج التلوّث المائي:

دعا الإسلام إلى المحافظة على الماء بجميع أنواعه وأماكن وجوده في البحار والمحيطات والأنهار والعيون والبرك والآبار والغدران والقنوات، وسلك في الحفاظ عليه المسالك التالية:

المسلك الأول: نهى عن الإسراف في استعماله خوفاً من هدره واستنزافه في غير مصلحة، والنصوص في ذلك كثيرة منها:

- قال تعالى:«وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».[3] عن ابن عباس قوله تعالى: «وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين». أي في الطعام والشراب.[4] ويحكى أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان، فقال له: قد جمع **الله** الطب كلّه في نصف آية من كتابه، قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: «وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ».[5][6]
- عن عبد **الله** بن عمرو أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– مر بسعد وهو يتوضّأ فقال:«ما هذا الإسراف ؟». فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: «نعم. وإن كنت على نهر جار».[7]
- عن ا بن عمر قال : رأى رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– رجلاً يتوضأ فقال: «لا تسرف، لا تسرف»[8]
- عن ابن عباس قال: بِتُ عند خالتي ميمونة، فقام النبي –صلى **الله** عليه وسلم– فتوضأ من شَنّة[9] وَضوءاً يقلّله، فقمت فصنعت كما صنع.[10]

١- علياء بوران، علم البيئة ص ٥.
٢- نشرة بعنوان: «مياه نظيفة صحة أفضل»، إصدار لجان الإغاثة الطبية الفلسطينية بالتعاون مع مركز الدراسات المائية والبيئية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص٤.
٣- (الأعراف:٣١).
٤- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٣٩٤/١٢.
٥- (الأعراف:٣١).
٦- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ٢٢٤/٢.
٧- رواه ابن ماجة،كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصر وكراهية التعدي فيه. سنن ابن ماجه ١٤٧/١. حديث رقم (٤٢٥). قال الألباني: ضعيف. مشكاة المصابيح ٩٢/١.
٨- رواه ابن ماجة،كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، حديث رقم (٤٢٤). سنن ابن ماجة /١٤٧. قال الألباني: ضعيف. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ٤٩٦/١.
٩- شنة: القربة الخلق. الرازي، مختار الصحاح ص ٣٥٤.
١٠- رواه ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصر وكراهية التعدي فيه. سنن ابن ماجه ١٤٧/١. حديث رقم (٤٢٣). قال الشيخ الألباني: صحيح. يقلله: من التقليل أي لا يكثر في استعماله الماء فيه. نفس المرجع والصفحة. الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجه ٤٩٥/١.

- عن أنس قال:كان النبي–صلى الله عليه وسلم– يغسل أو كان يغتسل بالصاع[١] إلى خمسة أمداد، ويتوضّأ بالمد.[٢] فظاهر هذه الأحاديث السابقة ينهى عن الإسراف في الوضوء.

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنّ رجلاً أتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناء، فغسل كفيه ثلاثاً، ثمّ غسل وجهه ثلاثاً، ثمّ غسل ذراعيه ثلاثاً، ثمّ مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين[٣] في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسباحتين باطن أذنيه، ثمّ غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثمّ قال: هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو ظلم وأساء».[٤]

قال الإمام الشوكاني: في الحديث دليل على أنّ مجاوزة الثلاث الغسلات من الاعتداء في الطهور[٥]

وقال الإمام العيني: (وحاصل المعنى لم يأت في شيء من الأحاديث المرفوعة في صفة وضوء النبي عليه الصلاة والسلام أنّه زاد على ثلاث).[٦] وعن ابن مسعود –رضي الله تعالى عنه– قال: ليس بعد الثلاث شيء.[٧] قال الإمام الشوكاني: لا خلاف عند الفقهاء في كراهة الزيادة على الثلاث[٨] وعن الإمام أحمد وإسحق: لا تجوز الزيادة على الثلاث.[٩] وقال ابن المبارك: لا آمن إن يأثم.[١٠]

ومعنى أنّ فاعله مسيء وظالم أي أساء بترك الأولى وتعدّي حد السنة.[١١] ويمكن توجيه الظلم في النقصان بأنّه ظلم نفسه بما فوّتها من الثواب الذي يحصل بالتثليث.[١٢]

– عن أبي نعامة أنّ عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوّذ به من النار، فإني سمعت رسول الله –صلى

١– الصاع: كيل يسع أربعة أمداد. والمد: إناء مكعب طوله (٩و٢ سم) تقريباً ويساوي (رطل وثلث عراقي). قال الشنقيطي: وزن الصاع بالعدس المجروش ٦٠٠, ٢ كيلوين وستمائة جرام، وبالماء ١٠٠, ٣ ثلاثة كيلوات ومائة جرام. أضواء البيان للشنقيطي ٢٩٢/٨. البهوتي، شرح منتهى الإرادات ٨٧/١.

٢– رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد. صحيح البخاري ٨٤/١.حديث رقم (١٩٨).

٣– السباحة: المسبحة الإصبع التي تلي الإبهام سميت بذلك؛ لأنها يشار بها عند التسبيح. ابن منظور، لسان العرب ٢/ ٤٧٤.

٤– رواه أبو داود،كتاب الطهارة، باب الوضوء ثلاثاً ثلاثاً. قال الشيخ الألباني: حسن صحيح. سنن أبي داود ٣٣/١. قال ابن حجر: روي من طرق صحيحة، وصحّحه ابن خزيمة. فتح الباري ٢٣٣/١.

٥– الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م، ٢١٥/١.

٦– العيني، عمدة القاري ٢٤٣/٢.

٧– المرجع السابق، ٢٤٣/٢.

٨– الشوكاني، نيل الأوطار ٢١٦/١. ابن الهمام، شرح فتح القدير ٣١/١. حاشية ابن عابدين ١٣٢/١. عليش، منح الجليل ٦٥/١. الشربيني، مغني المحتاج ١٨٩/١. ابن عبد الوهاب، محمد، مختصر الإنصاف والشرح الكبير، مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د.محمد بلتاجي، د. سيد حجاب ص٣٩. العيني، عمدة القاري ٢٤٣/٢. الزركشي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المصري الحنبلي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ٤٧/١.

٩– ابن الهمام، شرح فتح القدير ٣١/١. حاشية ابن عابدين ١٣٢/١. عليش، منح الجليل ٦٥/١. الشربيني مغني المحتاج ١٨٩/١. ابن عبد الوهاب، مختصر الإنصاف والشرح الكبير ٣٩/١. شرح الزركشي،٤٧/١.العيني عمدة القاري ٢٤٣/٢.

١٠– العيني، عمدة القاري ٢٤٣/٢.

١١– الشوكاني، نيل الأوطار ٢١٥/١.

١٢– المرجع السابق ٢١٦/١.

الله عليه وسلم– يقول: «إنه سيكون في هذه الأمّة قوم يعتدون في الطهور والدعاء».[1] والاعتداء في الطهور استعماله فوق الحاجة، والمبالغة في تحرّي طهوريته حتى يفضي إلى الوسواس.[2]

والنبي عليه الصلاة والسلام بتشريعاته السابقة وغيرها يعلمنا القصد في الأشياء والابتعاد عن الإسراف، فهذا من يسر الشريعة وبركتها، فمثلاً تجده يقول في إزالة المني أمطه عنك بأذخرة، ويفرك إن كان يابساً، وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض، وفي ذيل المرأة يطهّره ما بعده، ويكفي رش ما أصابه بول الصبي دون غسله.[3]

وقال محمد بن عجلان: الفقه في دين الله إسباغ الوضوء وقلة إهراق الماء.[4]

وذكر الإمام أحمد: كان يقال من قلة فقه الرجل ولعه بالماء.[5]

وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجل محصول عند العقلاء الوقت، وأقل متعبّد به الماء.[6]

وقال الإمام ابن الجوزي: (ومنهم من يلبس عليه (أي الشيطان) بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة: الإسراف في الماء، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب، والتعاطي على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل، والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث، وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله وهو الفضيلة، أو فاتته الجماعة، وتلبيس إبليس على هذا بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبّر أمره لعلم أنّه في مخالفة وتفريط).[7]

المسلك الثاني: وأمّا المسلك الثاني الذي سلكه الإسلام في الحفاظ على الماء فهو النهي عن تلويثه بأي نوع من أنواع الملوّثات الطبيعية كالتبوّل وإلقاء القاذورات فيه، أو الكيميائية كإلقاء النفايات الصناعية ومصادر الصرف الصحي ومصادر النفط، واستخدام المبيدات الحشرية، أو الإشعاعية الموجودة في مياه تبريد المحطات النووية،[8] أو الحيوية كالفيروسات والبكتيريا والطفيليات التي تسبب الأمراض المعدية والفتّاكة.[9] وغير ذلك من الملوّثات.

وقد رتّب الإسلام على تعمّد تلويث المياه والإضرار بها عقوبات شديدة في الدنيا والآخرة، وتزخر شريعتنا الغراء بنصوص كثيرة تحث على حماية الماء من التلوّث منها:

١- رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء، حديث رقم (٩٦). سنن أبي داود ٢٤/١. قال ابن حجر: صحيح. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني ١٤٤/١.

٢- المناوي، فيض القدير ١٣٠/٤.

٣- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي، ١٦٧/١.

٤- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ١٤١/١.

٥- المرجع السابق ١٤١/١.

٦- ابن الجوزي، تلبيس إبليس ١٦٧/١.

٧- المرجع السابق ١٦٦/١.

٨- السعود، الإنسان والبيئة ص٧٧.

٩- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٦٥. صباريني، محمد سعيد، ورشيد الحمد الإنسان والبيئة (التربية البيئية)، مكتبة الكتاني، اربد، الأردن، ١٩٩٤، ص١٤٧. السعود، الإنسان والبيئة ص ٧٨-٨٤.

١.عن أبي هريرة عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم ثمّ يغتسل منه».[١] والسبب في تحريم التبوّل في الماء الراكد الذي لا يجري كما قال العلماء؛ لأنّه ينجسه ويتلف ماليته، ويغر غيره باستعماله.[٢]

٢.عن جابر قال: نهى رسول **الله** أن يبال في الماء الجاري.[٣] والحكمة من هذا النهي في الحديثين السابقين هو المحافظة على نظافة الماء من التلوّث بالطفيليات الضارّة التي قد تكون مع البول. فمن المعلوم صحياً لدى الإنسان أنّ هناك أمراضاً كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبوّل فيه، مثل البلهارسيا والكوليرا وغيرهما.

٣.عن أبي هريرة قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب».فقال:كيف يفعل يا أبا هريرة ؟ قال: «يتناولها تناولاً».[٤] جاء في كتاب «فتح الباري» للحافظ ابن حجر: النهي عن البول لئلا ينجسه، وعن الاغتسال فيه لئلا يسلبه الطهورية[٥]

٤.عن معاذ بن جبل قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل».[٦] والحديث يدل على تحريم قضاء الحاجة في موارد المياه، أو طرق الناس، أو ظلّهم؛ لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به واستقذاره.[٧] ولا يخفى ما في هذا الهدي النّبوي من المحافظة على صحّة الإنسان والحيوان، بل وحتى النبات، فكان الإسلام بذلك قد وضع الأسس القويّة لما يعرف اليوم بصحة البيئة. وقد أثبت العلم أنّ كثيراً من الفيروسات تنتقل مع براز المريض المصاب، وهذا من أخطر العوامل التي تساعد على انتشار الفيروسات في البيئة المحيطة بالإنسان.[٨]

٥. عن عبد **الله** بن مغفل عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا يبولنّ أحدكم في مستحمه، ثمّ يغتسل فيه، أو يتوضّأ فيه، فإنّ عامّة الوسواس منه».[٩] وحمل جماعة من العلماء هذا الحديث على ما إذا كان المغتسل ليناً وليس فيه منفذ بحيث إذا نزل فيه البول شربته الأرض واستقر فيها، فإن كان صلباً ببلاط ونحوه بحيث يجري عليه البول ولا يستقر، أو كان فيه منفذ كالبالوعة

١– رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد. صحيح مسلم ٢٣٥/١. حديث رقم (٢٨٢).

٢– شرح النووي على مسلم ١٨٨/٣.

٣– الطبراني، المعجم الأوسط، ٢٠٨/٢. حديث رقم (١٧٤٩). قال الشيخ الألباني: ضعيف. ضعيف الترغيب والترهيب ٣٠/١.

٤– رواه مسلم،كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، صحيح مسلم ٢٣٦/١. حديث رقم (٢٨٣).

٥– ابن حجر، فتح الباري ٣٤٧/١.

٦– رواه أبو داود، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهي عن البول فيها. سنن أبي داود، ٥٤/١. حديث رقم (٢٦). قال الشيخ الألباني: حسن لغيره. الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ٣٥/١.

٧– العظيم آبادي، عون المعبود ٣١/١. المباركفوري، تحفة الأحوذي ٨٢/١.

٨– طنطاوي، وآخرون، حماية البيئة من التلوّث بالفيروسات، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ص ٨٩.

٩– رواه أبو داود،كتاب الطهارة، باب في البول في المستحم، حديث رقم (٢٧). سنن أبي داود٧/١. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث أشعث بن عبد الله ويقال له أشعث الأعمى. سنن الترمذي ٣٣/١. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد. الحاكم، المستدرك على الصحيحين ٢٧٣/١.

ونحوها فلا نهي.[1] وعن ابن المبارك: قد وسّع في البول في المغتسل إذا جرى فيه الماء.[2] وقال آخرون: الأولى أن لا يقيد المغتسل بلين ولا صلب فإنّ الوسواس ينشأ منهما جميعاً، فلا يجوز البول في المغتسل مطلقاً.[3] وهذا ما أميل إليه؛ لأنه أحوط عن النجاسة.

المسلك الثالث: أمّا المسلك الثالث الذي سلكه الإسلام في الحفاظ على الماء فهو الحث على تعقيم المياه باستمرار؛ لإزالة ما فيها من أشياء وأحياء ضارّة، وتخليصها من اللون والرائحة، ويتم هذا بعدّة طرق ووسائل أثبتت التجارب العلمية أنّها قلّلت تدريجياً نسبة تواجد الفيروسات المعوية في المياه، ومن هذه الوسائل:[4]

١. **الكلورة**: وهي إضافة مادة الكلورين المطهّرة لقتل ما في الماء من بكتيريا وفيروسات، حيث يضاف الكلور بتركيز مناسب؛ حتى يظل تأثيره فعالاً لفترة طويلة[5] وهذه الطريقة سهلة الاستعمال، رخيصة الثمن، يسهل الحصول عليها.
٢. **الترويق**: وهو الاستعانة بالجير المطفأ وغيره لإزالة الحديد والمنجنيز من الماء.
٣. **الترسيب**: وهو استخدام مواد عضوية لكي تتفاعل مع الشوائب الموجودة في الماء فتساعد على ترسيبها بسرعة.
٤. **الترشيح**: وهو استخدام المرشّحات في تنقية الماء كاستخدام طبقات من الرمل لحجز المواد العالقة والكائنات الدقيقة.
٥. **الحرارة (الغلي)**: وهي وسيلة فعّالة لكنّها مكلفة وغير عملية، ومن الصعب الاعتماد عليها بشكل دائم.
٦. **أشعة الشمس**: تعريض أوعية بلاستيكية شفافة أو زجاجية نظيفة ومعبأة بالماء لعدّة ساعات وقت الظهيرة.

المسلك الرابع: يجب بناء المناجم والمحاجر بعيداً عن مصادر المياه حيث ثبت أنها تسبب التلوّث المائي.[6] كما تحتوي الرواسب المتولّدة عنها على عناصر خطيرة على حياة الإنسان كالزرنيخ.[7]

المسلك الخامس: يجوز التخلّص من مياه الصرف الصحي بالانتفاع بها في سقي المزروعات بعد معالجتها بشرط عدم الإضرار بصحة الإنسان، فاستخدام هذه المياه يخفّف من مشاكل ندرة المياه والذي تعاني منه كثير من دول العالم حتى تحدّث كثير من الخبراء عن حروب إقليمية ودولية بسبب ذلك، كما يفيد استخدام هذه المياه بعد تدويرها في التقليل من تلوّث المياه، والتقليل من

١- المناوي، فيض القدير ٣٤٥/٦.
٢- المباركفوري، تحفة الأحوذي ٨٢/١.
٣- العظيم آبادي، عون المعبود ٣٢/١. المناوي، فيض القدير ٣٤٥/٦.
٤- الطنطاوي، حماية البيئة ص ١١٨. جاد الله، الصحة العامة والرعاية الصحية، ص١٦٧.نشرة تعقيم وتطهير الخزانات، إعداد مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين ص ٣ وما بعدها. شرف، طريح، التلوث البيئي حاضره ومستقبله ص٢١١.
٥- شرف، طريح، التلوث البيئي حاضره ومستقبله ص٢٢٤.
٦- عبد الحميد، د. زيدان هندي، هموم الإنسان والبيئة، كانزا جروب للنشر، ط٢٠٠، القاهرة، ص٨٧.
٧- شرف، طريح، التلوث البيئي حاضره ومستقبله ص٥٣.

استخدام الأسمدة الكيماوية والمخصّبات بحيث لا يخل التوازن في الأرض،[1] ومن ثمّ التقليل من تلوّث البيئة بشكل عام، ويمكن القول أنّ خمسين دولة تملك ١٠٪ من الأراضي المروية في العالم تستفيد من المياه العادمة بعد معالجتها بصورة صحيحة.

وقد اختلف الفقهاء قديماً وحديثاً في حكم الانتفاع بهذه المياه بعد معالجتها، فذهب الجمهور إلى جواز الاستفادة منها في سقي النباتات والمزروعات؛ لأنّ النّجاسات عندهم تطهر بالاستحالة أي بتغيّرها من صورة إلى صورة، فقد أجازوا الانتفاع بالخمر وهي نجسة وأم الخبائث إذا تخلّلت وانقلبت بنفسها، وكذلك قياساً على جلود الميتة إذا دبغت جاز الانتفاع بها؛ لما جاء عن عبد الله بن عبَّاس قَال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول:«إِذَا دُبِغَ الإِهَابُ فَقَدْ طَهُرَ»[2] كما أجاز الجمهور استخدام عذرة الناس وروث الحيوانات والطيور في تسميد الأرض الزراعية[3] ودليلهم ما جاء عن عبد الله بن بابي مولى أم سلمة أو عائشة قال: رأيت سعداً بن أبي وقاص يحمل مكتلاً[4] من عذرة الناس إلى أرض له يقال لها زغابة. فقلت له: يا أبا إسحاق أتحمل هذا ؟ قال: «إِنّ مكتل عُرة[5] مكتل حب».[6] معناه: إنّ مِكتل عُرة ينتج مِكتل حب.

وقال الحنابلة[7]: تحرم الزروع والثّمار التي سقيت بالنجاسات أو سمّدت بها؛ لما روي عن ابن عباس أنّه كره أن يدمل الأرض بالعذرة.[8] وعن عمر أنّه كان يكري ويشترط أن لا يدمل بالعُرّة[9]؛ ولأنها تتغذّى بالنجاسات، وتترقّى فيها أجزاؤها، والاستحالة لا تطهر بدليل تحريم لحوم الجلالة وألبانها؛ لأنّها تأكل النّجاسات، ولو كانت تطهر بالاستحالة لما نهى عن أكل لحومها وشرب ألبانها.

وما أميل إليه الجواز بشرط معالجة هذه المياه قبل استعمالها، وعدم إلحاق الضرر بالإنسان، فإن لحقه من ذلك ضرر فلا يجوز، لأنّه لا ضرر ولا ضرار، وذلك للأسباب التالية:

١. أنّ الجلالة التي قال العلماء بحرمة لحمها ولبنها تحبس وتطعم الطاهر ثلاثاً،[10] ثمّ يجوز الانتفاع بها بعد ذلك أكلاً وشرباً.[11] وبالقياس الأولوي يجوز الانتفاع بالماء المكرّر بعد تطهيره في الزراعة.

١– خضر، صدقي وآخرون، الأسمدة وخصوبة التربة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٤م، ص ١٠.

٢– رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب طَهَارَةِ جُلُودِ الْمَيْتَةِ بِالدِّبَاغِ، صحيح مسلم٣/١٠، حديث رقم (٨٣٨).

٣– حاشية ابن عابدين ٦/٦٥٦. الزيلعي، تبيين الحقائق ١/٣٣٨. النووي، المجموع ٩/٢٢٤–١/٢٢٥. الحصني، كفاية الأخيار ١/٧٣. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق، المهذب، دار الفكر، بلا طبعة،١/٩١. البهوتي،كشاف القناع ١/٦٣. ابن قدامه، المغني ١١/٧٢. المرداوي، الإنصاف ١/٤٩٦.

٤– المكتل: الزبيل الذي يحمل فيه التمر أو العنب إلى الجرين. ابن منظور، لسان العرب ١١/٥٨٣. مادة (كتل).

٥– العرة: وهي القذر وعذرة الناس. ابن منظور، لسان العرب ٤/٥٥٨. مادة (عرر).

٦– مصنف ابن أبي شيبة، باب العذرة تعر بها الأرض، ٤/٤٨٥، أثر رقم (٢٢٣٦٧).

٧– ابن قدامه، المغني ١١/٧٢. المرداوي، الإنصاف ١/٤٩٦.

٨– مصنف ابن أبي شيبة، باب العذرة تعر بها الأرض، ٤/٤٨٥، أثر رقم (٢٢٣٦٥).

٩– مصنف ابن أبي شيبة، باب العذرة تعر بها الأرض، ٤/٤٨٥، أثر رقم (٢٢٣٦٢).

١٠– ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي أبو إسحاق، المبدع في شرح المقنع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، ٩/٤٥٢.

١١– فتاوى العلامة محمد الصالح العثيمين على الموقع الالكتروني: http://www.saaid.net. بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة، المكتبة الفقهية الشاملة الالكترونية ضمن كتب غير مصنّفة ص ٢ وما بعدها.

٢. أنّ الجلالة التي يحرم لبنها ولحمها هي التي أكثر علفها النجاسة، والمياه العادمة تتألّف من عنصرين:

الأول: مياه طاهرة مطهّرة بنسبة ٩٩٪.

الثاني: ملوّثات ضارّة فيها كثير من النجاسات بنسبة ١٪. فليس أكثر هذه المياه النّجاسة حتى نقول بتحريمها خاصّة بعد معالجتها، فالقياس على الجلالة قياس مع الفارق.

٣. أنّ هذه المجاري يجعل فيها مواد تذهب النجاسة، لا يبقى للنجاسة أثر لا في اللون ولا في الطعم ولا في الرائحة، وإذا وصل الأمر إلى هذا صار الماء طاهراً، لو أصاب ثيابك لم يجب عليك أن تغسله.[١]

٤. إنّ كثيراً من الأشياء تكون نجسة، وباستحالتها تطهر، فبطل عنه الاسم الذي به، ورد ذلك الحكم وانتقل إلى اسم آخر وارد على حلال طاهر، كاللّبن فإنّه مُتَوَلِّد من الدَّم، وَهُو أَصلُه، والخمر إذا استحالت خلاً ، وَالْعَذِرَةِ إِذَا صارت تراباً.[٢]

وقد قرر المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي أنّ المياه المكرّرة بطرق علمية صحيحة فعّالة طاهرة مطهّرة إذا لم يبق للنجاسة أثر من لون أو طعم أو رائحة، ويجوز رفع الحدث وإزالة النجاسة به، بناء على القاعدة الفقهية التي تقرّر أنّ الماء الكثير الذي وقعت فيه نجاسة يطهّر بزوال هذه النجاسة منه إذا لم يبق لها فيه أثر.[٣] لكنّ العلماء قالوا بعدم استخدامها في الشرب والطعام وغسل الأواني المنزلية احتياطاً للنفس البشرية، وتنزّهاً عمّا تستقذره النفوس، وتنفر منه الطباع السليمة. وهذا ما أفتت به اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية.[٤]

وتتم معالجة مياه الصرف الصحي على عدّة خطوات:[٥]

١. **المعالجة الأولية**: يتم فيها التخلّص من المواد العالقة والصلبة بطريقة الترشيح والترسيب.

٢. **المعالجة الثانوية**: باستخدام الطرائق البيولوجية لتنقية مياه المجاري بالبكتيريا والكائنات الأولية المعروفة في الدورة الطبيعية لتنقية مياه الأنهار من التلوّث.[٦]

٣. **المعالجة الثلاثية**: وهي المعالجة النّهائية، وفيها يتم التخلّص من البكتريا والفيروسات والمواد العضوية، وبعد معالجة مياه الصّرف الصّحي يمكن استخدامها في الأغراض الزّراعية أو الصّناعية.

المسلك السادس: ومن مسالك الإسلام في المحافظة على المياه استخدام أبراد التبرّد عند استخدام الماء في تبريد الحرارة الناتجة عن محطّات توليد الطّاقة، بحيث تنطلق الحرارة إلى الجو[٧]

١- المراجع السابقة.

٢- الزيلعي، تبيين الحقائق ٣٣٨/١. ابن قدامة، المغني ٨٩/١.

٣- انظر: قرار المجمع الفقهي الإسلامي الخامس لرابطة العالم الإسلامي في الدورة الحادية عشرة المنعقدة في الثالث عشر من رجب ١٤٠٩هـ، ص٩١-٩٣. بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة، المكتبة الفقهية الشاملة الالكترونية ضمن كتب غير مصنّفة، ص ٢ وما بعدها.

٤- بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة، المكتبة الفقهية الشاملة الالكترونية ضمن كتب غير مصنّفة، ص ٢ وما بعدها.

٥- التربية البيئية، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، جامعة بير زيت، مرجع عن البيئة العالمية، برنامج التعليم البيئي، ص١٢.

٦- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص ٢٩٣.

٧- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٥١.

الآثار المترتبة على تلويث المياه:

الآثار المترتبة على تلويث المياه كثيرة وخطيرة وهي كما يأتي:

١. هذه الملوّثات تسبّب كثيراً من الأمراض، كالسرطان والفشل الكلوي والكوليرا والتهاب الكبد والتيفوئيد والبلهارسيا[١] والدسنتاريا والملاريا ينقلها البعوض الذي يعيش على المياه الملوّثة[٢] كما تتسبّب مياه الصّرف الصّحي والبول وغائط الحيوانات الذي يختلط بالمياه يسبب كثيراً من الأمراض مثل التيتانوس، وهو مرض ينتقل إلى الإنسان بواسطة غائط الخيول التي تحمل هذا المرض. وكذلك مرض الجمرة الخبيثة والتهاب الدماغ النخاعي الذي ينتقل من الطيور والدجاج بواسطة البعوض. وغيرها من الأمراض المعدية التي تهدّد الوجود البشري.[٣]

٢. قد يتسبّب تلوّث المياه في تلويث الأسماك التي تخرج من البحر، حيث أصبحت تحتوي على كميات من الملوّثات في صورة مواد سامّة.[٤]

٣. كما يؤدّي تلوّث المياه إلى الإضرار أو القضاء على كثير من الكائنات الحية الحيوانية والنباتية البرية والبحرية.[٥]

٤. ويسبّب تلوّث المياه تلويث الشواطئ وعدم صلاحيتها للسياحة والسباحة والتنزه.[٦]

٥. يتسبّب تلوّث المياه في قلّتها وندرتها، وهذا من شأنه أن يؤثّر على حياة الناس في جميع نواحيها وأركانها خاصّة المعيشية والاقتصادية منها. ولا يخفى على أحد ما تعانيه كثير من الدول من شحّ للمياه، بل إنّ كثيراً من الخبراء العسكريين يتوقّعون حروباً طويلة على المصادر المائية بسبب شحّها.

٦. يؤثّر تلوّث المياه على جمال الطبيعة ورونقها، فشح المياه الناتج عن التلوّث يعني قلّة الأراضي الخضراء والغطاء النباتي.

٧. تؤدّي المياه العادمة إلى تلويث المياه الجوفية التي تسبّب أمراضاً كثيرة، ولتجنّب ذلك يجب جمع تلك المياه من مصادرها في شبكات صرف صحي مناسبة وصرفها إلى محطّات تنقية مركزية معدّة لذلك.[٧]

١- وهي ديدان صغيرة تعيش في المياه الملوّثة تنتقل إلى الإنسان وتخترق أعضاءه مسببة له بعض الأمراض. المرجع السابق ص٢١١.

٢- المرجع نفسه ص ٢١١.

٣- عبد الجواد أحمد، المنهج الإسلامي لعلاج تلويث البيئة ص ٩٨. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٦. شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٢٠٩.

٤- المرجع السابق ص ٩٨.

٥- السعود، الإنسان والبيئة ص٨٥.

٦- المرجع السابق ص٨٥.

٧- نشرة بعنوان: «المياه العادمة والتقليل من أثرها»، إعداد مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين، بدون صفحة.

المطلب الثاني ـ التلوّث الهوائي:

الهواء نعمة من نعم الله على الإنسان، ويشكّل عنصراً أساسياً من عناصر الحياة، لا يمكن الاستغناء عنه أبداً، وهو ضروري لكل كائن حي إنساناً كان أم حيواناً أم نباتاً، ولا يتحمّل الكائن الحي نقص الهواء وتحديداً الأوكسجين أحد مكوّنات الهواء إلاّ لدقائق معدودة جداً، ويحتاج الإنسان العادي يومياً إلى حوالي خمسة عشر ألف لتر هواء قدّر وزنها بحوالي ستة عشر كغم، وهذه كمية تفوق كل ما يستهلكه الإنسان من غذاء وماء في اليوم الواحد.[1]

وقد نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن سب مظاهر الطبيعة كالريح والهواء؛ لما فيها من الرحمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «لا تسبوا الريح، فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب، ولكن سلوا الله من خيرها، وتعوّذوا بالله من شرها».[2]

وللهواء فوائد عديدة، ومن فوائده:

١. أنّه يثير السحاب ويسوقه من منطقة إلى أخرى.قال تعالى: «وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ».[3] فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّه يحمل السحاب على الريح، ثمّ يسوقه إلى حيث يشاء من بقاع الأرض.[4]

٢. ومن فوائده أيضاً أنّه يساعد في تلقيح النباتات. قال تعالى: «وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ».[5] ومعنى الآية: وأرسل لكم الرياح لواقح لأشجار ثماركم وغذائكم وأقواتكم، وسيّر لكم السحاب الذي بودقه حياتكم وحياة نعمكم ومواشيكم.[6] قال الإمام الرازي: الرياح تعين النبات والزرع والشجر على النشور والإنبات ؛ وذلك لأنها تلقّح، فيبرز النبات بذلك.[7]

٣. الهواء هو الذي يسوق بعض السفن في البحار والمحيطات بقدرة الله تعالى القائل: «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ، إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».[8] قال قتادة في تفسير ذلك: سفن هذا البحر تجري بالريح، فإذا أمسكت عنها الريح ركدت.[9]

٤. وللهواء فوائد أخرى كشف عنها العلم الحديث، فهو مولّد للطّاقة الكهربائية، وهو الذي يقوم بنقل الموجات الصّوتية وغيرها من الموجات التي تستخدم في أجهزة الاتصالات المختلفة، ولا يخفى على ذي لب ما تلعبه الاتصالات من دور في حياتنا اليومية.

١- إسلام، أحمد مدحت، التلّوث مشكلة العصر، الكوت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠م ص٢١.
٢- رواه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح. ابن ماجه ١٢٢٨/٢. حديث رقم (٣٧٢٧). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ٢٢٧/٨.
٣- (فاطر: ٩).
٤- الشنقيطي، أضواء البيان ٣٣/٢.
٥- (الحجر: ٢٢).
٦- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٦٥/٢.
٧- الرازي، التفسير الكبير ٢٣٣/٣٠.
٨- (الشورى: ٣٢- ٣٣).
٩- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ١٥٢/١١.

5. والرّيح سخّرها الله تعالى للقضاء على الأمم الظّالمة التي تتمرّد على رسله ودعوته، فبها أهلك الله قوم عاد، قال تعالى: «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ».[١]

أسباب التلوّث الهوائي ومصادره:

التلوّث الهوائي: هو حدوث تغيّر في خواص ومكوّنات الهواء الطّبيعي قد يسبّب خطراً على البيئة.[٢] أو هو تغيّر في الصفات الكيميائية أو الفيزيائية أو الاثنين معاً والتي تضر بصحة الإنسان والحيوان والنبات.[٣] كزيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون عن نسبته المعتادة بسبب الحرائق الهائلة التي تحدث، وهي كثيرة في زماننا.[٤] ومما لا ريب فيه أنّ للإنسان يداً في هذا التلوّث، وقد ازداد التلوّث الهوائي بعد الانتشار الواسع للمصانع والسيارات التي تلقي بسمومها على مدار الساعة، مخلّفة وراءها كوارث بيئية خطيرة تهدّد الوجود الإنساني على هذه الأرض. ومن هذه الأسباب:

1. وسائط النقل: حيث تعتبر أكبر مصدر من مصادر ملوّثات الهواء، ويزداد عدد هذه الوسائل يوماً بعد يوم بشكل مذهل ومدمّر، حيث تعتمد هذه الوسائط في حركتها على النفط والغاز والطاقة النووية، مما ينتج عنه كثير من الغازات والمواد الخطرة من عوادمها، كأكسيد الكربون وأكسيد النيتروجين والرصاص وغيرها، وهي غازات سامّة جداً، وتؤثّر على القصبة الهوائية مسبّبة التهابات فيها، وتساهم في تكوين الغيوم السّوداء فوق المدن الصناعية.[٥]

كما تؤثّر على طبقة الأوزون والحياة بشكل عام.[٦] ويمكن القول إنّ الإسراف في استخدام وسائط النقل التي ينبعث منها أول أكسيد الكربون وسائر الملوّثات السامّة هي مسئولة عن (٦٠٪) من تلويث الهواء.[٧]

2. ومن الأسباب التي تؤدّي إلى تلويث الهواء الإشعاعات النووية، واستخدام الأسلحة المحرّمة دولياً وخاصّة الكيميائية والبيولوجية والنووية، والتدخين وحرائق الغابات التي تنبعث منها غازات سامّة، ومواقد التدفئة، والبراكين التي تقذف بكميات ضخمة من الغازات السامّة في الهواء، واستخدام المبيدات الكيماوية في الحقل الزراعي، وكذلك المستنقعات التي تؤدّي إلى انبعاث العديد من غازات التحلّل إلى الجو، وعدم تشجير الأرض، فالأشجار تلعب دوراً هاماً في توازن غازات الجو، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الجو عبر عملية التمثيل الضوئي.[٨]

١- (القمر: ١٩)
٢- عامر، محمد أمين، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص١١٥.سلطة جودة البيئة الفلسطينية، قانون رقم ٧ لعام ١٩٩٩م بشأن البيئة ص١١.
٣- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص ٧٩.
٤- السعود، الإنسان والبيئة ص٥٢. العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٨٩. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢١.
٥- علياء بوران، علم البيئة ص٢٢٨- ٢٢٩ .
٦- السعود، الإنسان والبيئة ص٦٠. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٣٠.
٧- ربيع، وآخرون الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٥١-٦٥٥. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص ٣٦٧. صباريني، وآخرون، التربية البيئية ١٣٦. عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلويث البيئة ص١٤٥. السعدي، حسين، علم البيئة، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، ٢٠٠٨، ص ٣٤٣.
٨- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٥١-٦٥٥. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص٣٦٧.



صورة لتجربة القنبلة النووية التي ألقيت على مدينة هيروشيما اليابانية

٣. ومن الأسباب التي تؤدّي إلى تلويث الهواء النفايات الصلبة. وتشمل ما يأتي:[١]

أ. **النفايات الصلبة المنزلية**: كفضلات الطعام، والزجاج، والبلاستيك، والورق وغيرها وهذه يمكن إعادة تصنيعها.

ب. **النفايات الصلبة الصناعية**: وهي أصناف متعدّدة فيها المواد السامّة والمواد السريعة الاشتعال، والمواد التي تساعد على الاشتعال، والمواد المشعّة، والمواد الحامضية والقاعدية. ومنها القمامة ونفايات المشافي التي تحمل الجراثيم والسُمّيات، وأفضل وسيلة للتخلص منها الحرق في أفران خاصّة.[٢]

جـ. **النفايات الصلبة الزراعية**: وهي المخلّفات والنفايات الناتجة عن الأنشطة الزراعية المختلفة سواء أكانت نباتية أو حيوانية أو نفايات المسالخ، ومن الأمثلة عليها جيف الحيوانات وبقايا الأعلاف ومخلّفات النباتات كالأعشاب والجذوع والأوراق وغيرها، وهي أقل خطورة على البيئة من النفايات الصناعية.

صباريني، وآخرون، التربية البيئية ١٣٦. عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلويث البيئة ص١٤٥. السعدي، علم البيئة ص ٣٤٣. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٢– ٢٣. الخطيب، السيد أحمد، النظام البيئي والتلوّث ص ٨٤.

١– العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص ٢٩٠–٢٩١.

٢– شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص ٥٥. الخطيب، السيد أحمد، النظام البيئي والتلوّث ص ٨٤.

د.**النفايات الصلبة الناتجة عن التعدين**: كالأتربة والرمال الناجمة عن حفريات المناجم، وهذه تؤدّي إلى تدهور الغطاء النباتي الطبيعي بسبب كثرتها، وقد تحتوي أتربة ورمال المناجم على مواد سامّة تلوّث مصادر الشرب والمياه والسلاسل الغذائية المتنوّعة، وقد تؤدّي هذه النفايات إلى تلوّث الهواء بالأتربة وانجرافها إلى السدود المائية، ممّا يقلّل كفاءة تلك السدود، وقد تضر المياه الجوفية إضافة إلى تجمّع الأتربة في الشوارع، ممّا يفقد تلك المناطق منظرها الحضاري الجميل.

هـ.**النفايات الصلبة الناتجة عن الإنشاءات والبناء**: وهي النفايات المتبقية بعد عمليات البناء أو نتيجة تمديد شبكات الماء أو الكهرباء أو الهاتف أو المجاري في الشوارع، والأصل أن يعاد طمرها بشكل صحيح وسليم.

٤. تعمل قلة الأمطار على ازدياد هذا التلوّث؛ لأنّ وفرة الأمطار تساعد على تنظيف الهواء من ثاني أكسيد الكربون، حيث تعمل على إذابته.[١]

٥. قد يتلوّث الهواء بسبب سلوكيات خاطئة، كالبصاق في الطرقات العامّة، وحرق ورمي النفايات أمام المنازل وخارجها، والتدخين حيث يحتوي التبغ على أكثر من (٣٨٠٠) مادة كيماوية سامّة مثل اوكسيد الكربون وغيرها.[٢] فمثل هذه التصرّفات لها علاقة بانتشار الأمراض والفيروسات والمواد السامّة التي تنتقل مع الهواء بسرعة من مكان إلى آخر. وقد أثبتت كثير من الدراسات العلمية خطر التدخين على صحة البروستات حيث يشارك في التهابها، وكعامل مساعد لإصابتها بالسرطان، لذلك فإن التوقف والإقلاع عن التدخين من الأمور المهمة في المحافظة على صحتها.[٣]



صورة تظهر حرق النفايات وأثرها في تلويث البيئة

١- السعود، الإنسان والبيئة ص٦٤. السعدي، علم البيئة ص ٤٣٧.
٢- السعود، الإنسان والبيئة ص٦٤. السعدي، علم البيئة ص ٣٧٩.
٣- باصهي، د. جمال عبدالله باصهي، مقالة بعنوان: «كيفية المحافظة على صحة البروستات» على الموقع الالكتروني: http://www.alriyadh.com

٦. الكوارث الطبيعية والحوادث الطارئة، كانفجار مصانع الأسلحة والألعاب النارية أو التسرّب الإشعاعي، ومثال ذلك ما حدث عام (١٩٧٦م) في مدينة (سفيسو) الايطالية حيث حدث خلل في مصنع للمبيدات مما أدّى إلى انطلاق غمامة كيماوية أدّت إلى حالة من التشوّهات والإصابات الجلدية وغيرها.[١] وكذلك كارثة «سان جوانيكو» بالمكسيك عام (١٩٨٤م) حيث تسرّب غاز من إحدى المصانع وأودى بحياة كثير من الناس والكائنات الأخرى.[٢]

٧. المداخن العالية الطويلة في المعامل والمصانع تساعد في نقل الملوّثات لمسافات بعيدة مما يخلق مشكلة المطر الحامضي على المستوى الإقليمي، كما حصل في السّويد حيث دمّرت مساحات واسعة من الغابات والبحيرات بسبب هذه المشكلة، وأدّى ذلك إلى قتل كثير من الأسماك والبكتيريا والطحالب، كما تحدث عقماً في الأحياء المالية مما يخلّف وراءها بحيرات ميتة خالية من الحياة.[٣]

٨. المجمّعات الصناعية: قطاع الصّناعة قطاع محوري في الاقتصاد العصري، فالصّناعة صارت تنتج مواد متنوّعة، وتساهم بقسط وافر في المنتوج الوطني الخام، وتستقبل استثمارات هائلة، ويواكبها مجهود ضخم في البحث التكنولوجي. أمّا فيما يخصّ علاقات الصّناعة والبيئة، فيمكن القول بأنّ الصّناعة هي القطاع الذي ينتج أكبر كمية من الملوّثات وعلى مستويات عدّة: تلويث الغلاف الجوّي، والمياه القارية، ومياه البحر، وغير ذلك؛ ولهذا أضرار على التوازن المناخي للكرة الأرضية، ولما ينتج عنها من آثار سلبية على صحّة السّكان وخاصّة في التجمّعات الحضرية، تلك النتائج التي تقدّر تكلفتها الاقتصادية بأموال طائلة؛ ولذا قامت كثير من الدّول بالبحث عن مناهج صناعية تسمح بتصوّر استمرارية الموارد مع تقليص مقدار التلويث، وتخصّ هذه الأبحاث التكنولوجية ميدان الطاقة (اقتصاد في الطاقة – بحث عن موارد طاقة أقل إضراراً بالجو)، وبإعادة استعمال النفايات قصد تقليص تراكمها والاستفادة منها.[٤]

وتعتبر مجمّعات الصناعات المختلفة ومصانع الحديد والصلب والدباغة والبطّاريات والمنظّفات الكيماوية، ومعامل تكرير البترول، وحرق الوقود الأحفوري (الفحم والبترول) من أهم الملوّثات بالزنك والرصاص الذي يضاف عادة إلى البنزين، كما يستعمل في تمديدات المياه في المنازل ومواد الدّهان. ومن أعراض التسمّم به إسهال وتعب وأرق وعصبية.[٥] ومن ذلك التلوّث بغاز الفلور الذي يصدر من مداخن مصانع الألمنيوم حيث يتساقط على النباتات ويؤثّر على الماشية التي تتغذّى على النباتات الملوّثة، ويسبب لها هزالاً شديداً والتهابات عظمية بسبب التسمّم.[٦]

١- السعدي، علم البيئة ص ٣٦٢. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٨٩.
٢- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٣٤.
٣- السعدي، علم البيئة ص ٣٦٢.
٤- العوينة، عبد الله، التهامي، جوهرة الوزاني، مجلّة التّاريخ العربي، بلدان البحر المتوسط الغربي: آفاق اقتصادية وبيئية، الرّباط، المغرب، ص ٧٤١٧-٧٤١٩.
٥- الخطيب، السيد أحمد، النظام البيئي والتلوّث ص٨٤. علياء بوران، علم البيئة ص ٢٢٩.
٦- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص١٠٠. علياء بوران، علم البيئة ص ٢٢٩ .

وتشكّل مياه المصانع وفضلاتها ٦٠٪ من مجموع المواد الملوّثة للبحار والبحيرات والأنهار، وخاصّة مصانع الدباغة والرّصاص والنّحاس والمسالخ ومصانع تكرير السكّر وتعقيم الألبان.[١] ولا يفوتنا القول هنا أنّ الصّناعات الأوروبية تتركّز على خط السّاحل؛ وذلك لارتباطها بالتّسويق الخارجي؛ ولهذا التركّز آثار سلبية على البيئة من جهة بسبب تنافس الصّناعة مع أنشطة أخرى مثل التمدّن والسياحة، وثانياً بسبب تركّز النّفايات الصّناعية في هذا المجال الحيوي.[٢]

وبناء على ما سبق فإنّ تلويث الهواء من شأنه أن يلحق أضراراً جسيمة بالكائنات الحية وغيرها، فالملوّثات الكيماوية تؤثّر على الجينات، والملوّثات الحيوية تؤدّي إلى انتشار الأوبئة، ويؤثّر تلويث الهواء على مرضى الجهاز التنفسي وكبار السن، كما يؤدّي إلى زيادة نسبة الإصابة بالأمراض التنفسية وأمراض القلب وسرطان الرئة، وقد شهد العالم مآسي نجمت عن تلوّث الهواء وأودت بحياة الكثيرين،كما حدث في لندن والمكسيك وايطاليا وروسيا بعد تسرّب الإشعاعات النووية القاتلة من مفاعل «تشرنوبيل» وغيرها.[٣] كما أنّ ازدياد تكوين الضباب والدخان يقلّل من عملية الاستمتاع بالطبيعة، ويضر بالحياة البحرية، ويساعد في القضاء عليها، ويصيب النباتات بأمراض مختلفة ويقلّل الإنتاج.[٤]

وترتّب عن تلوّث الهواء تدمير طبقة الأوزون بشكل جزئي، وظاهرة الاحتباس الحراري التي تهدّد المناخ على كرتنا الأرضية، وذلك برفع درجة حرارة جو الأرض واضطرابات في عوامل المناخ، كالفيضانات في مناطق معيّنة بسبب ذوبان الثلوج والجفاف في مناطق أخرى، ممّا ينجم عنها آثار لا تحمد عقباها، فهي تتسبب في دمار اقتصادي شامل، وتعمل على انتشار الأمراض، وتؤدّي إلى اختفاء جزر كثيرة.[٥] حيث تشير التقارير إلى اختفاء ست عشرة جزيرة يقطنها أكثر من ستمائة ألف نسمة.[٦] وأصبحت تُعقد قمم دولية لمناقشة هذه الكوارث لخطورتها على الحياة برمتها، ومن ذلك مؤتمر التغيّر المناخي الذي عقد في مدينة «كوبن هاغن»، وهو قمة دولية تاريخية حول التغيّر المناخي وتداعياته، وذلك لمواجهة مشكلة الاحتباس الحراري التي تهدّد كوكب الأرض.[٧]

علاج التلوّث الهوائي ومكافحته:

إنّ موقف الإسلام من تلويث الهواء والجو واضح جلي لا لبس فيه ولا غموض، فهو يقرّر أنّ الهواء نعمة من الله تعالى لكل شيء حي، وهذه النعمة يجب المحافظة عليها وصونها من كل ضرر، والإضرار بها يجب أن يقابل بالاستنكار الشديد، والوقوف في وجه كل من يساهم في هذا

١- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٣ .
٢- العوينة، عبد الله، التهامي، جوهرة الوزاني، مجلّة التّاريخ العربي، بلدان البحر المتوسط الغربي: آفاق اقتصادية وبيئية، الرّباط، المغرب، ص ٧٤٢١.
٣- المرجع السابق ص ٧٤١٧-٧٤١٩.
٤- المرجع نفسه ص ٦٦٣.
٥- صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص ٤٠. صحيفة القدس، الثلاثاء، ٢٠٠٩/١٢/٨ ١٤٣٠هـ، العدد(١٤٤٧٩)، ص ١ عمود ٤.كاتر، سوزان، البيئة الأخطار والمخاطر،ترجمة أحمد طلعت البشبيشي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٥، ص ٣٦٠.
٦- نشرة أخبار قناة الجزيرة الفضائية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٢١م.
٧-صحيفة القدس، الثلاثاء، ٢٠٠٩/١٢/٨ ١٤٣٠هـ، العدد (١٤٤٧٩)، ص١ عمود ٤. كاتر، سوزان، البيئة الأخطار والمخاطر ص ٣٦٠.

الإضرار، ومنعه من الاستمرار فيه، فالحديث النبوي واضح في هذا الشأن، وهو قاعدة شرعية يمكن تعميمها على كل حالة مماثلة، فعن عبادة بن الصامت أنّ رسول **الله** قضى أن: «لا ضرر ولا ضرار».[1] ومعناه: لا يجوز إلحاق الضرر بغيره سواء أكان هذا الضرر واقعاً في الحال أم متوقعاً وقوعه في المآل. ولا شك أنّ تلويث الهواء فيه أضرار كثيرة في الحال والمآل، فكان ذلك حراماً ومنكراً يجب تغييره وإزالته بكل وسيلة ممكنة.

وللحد من تلويث الهواء سلك الإسلام المسالك الآتية:

١.دعا الإسلام إلى تشجير الأرض وزراعتها؛ لأنّ الأشجار تلعب دوراً هاماً في توازن غازات الجو، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الجو عبر عملية التمثيل الضوئي، مما يساهم في تلطيف الجو، ومن هذه الأحاديث:

- عن أنس بن مالك –رضي **الله** عنه– قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلاّ كان له به صدقة».[2] قال ابن حجر: في الحديث فضل الغرس والزرع والحضّ على عمارة الأرض.[3]
- وعن أنس قال عليه الصلاة والسلام: «إنْ قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها».[4]

٢. نهى الإسلام عن تقطيع الأشجار وعقرها لغير حاجة؛ لما فيها من منافع جمة، فهي تلطّف الهواء والمناخ، وهي طعام للدواب خاصّة أيام الجدب والمجاعة. والأحاديث في ذلك كثيرة منها:

- عن الحسن قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «لا تقطعوا الشجر فإنّه عصمة للمواشي في الجدب».[5]

فهذا الحديث صريح في النهي عن قطع الأشجار؛ لما فيها من فوائد جمّة للإنسان والحيوان.

- وعن محمد بن عباد بن جعفر أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا تقطعوا الأخضر من عرنة ونمرة».[6] ولعل السبب في ذلك –**والله أعلم**– أن يستظل الحجيج تحت أشجارهما من شدّة الحر خاصّة أنّ عرنة ونمرة بين عرفات والحرم، وهذه المنطقة مكتظّة غالباً، وتقوم

١– رواه ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. سنن ابن ماجه٢/٧٨٤. حديث رقم (٢٣٤٠). قال الشيخ الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة للألباني١/٤٩٨.

٢– متفق عليه، رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه. صحيح البخاري٢/٨١٧. حديث رقم (٢١٩٥). ورواه مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع. صحيح مسلم ٣/١١٨٩. حديث رقم (١٥٥٣).

٣– ابن حجر، فتح الباري ٥/٤.

٤– مسند أحمد بن حنبل ٣/١٩١.حديث رقم (١٣٠٠٤). الهندي، كنز العمال ٣/١٤٦٠. الكسي، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٦٦. قال الهيثمي: رجاله أثبات ثقات. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٤/١٠٨.

٥– رواه عبد الرزاق في مصنفه، كتاب المناسك، باب ما يكره من حجارة الحرم وقطع الغصن. الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ٥/١٤٦. حديث رقم (٩٢٠٩). لم أعثر على تخريج للحديث.

٦– رواه عبد الرزاق في المصنف، باب ما يكره من حجارة الحرم وقطع الغصن. مصنف عبد الرزاق ٥/١٤٦. حديث رقم (٩٢٠٧). عرنة ونمرة: موضعان بين عرفات والحرم. النووي، المجموع ٨/١٠٥.لم أعثر على تخريج للحديث.

المملكة العربية السعودية بجهود كبيرة جداً للحفاظ على هذه المنطقة وتشجيرها؛ حتى تظل خضراء لطيفة الجو والمناخ.

- وعن عبد **الله** بن حبشي قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–:«من قطع سدرة صوّب **الله** رأسه في النار».[1] سئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني: من قطع شجرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوّب **الله** رأسه في النار.[2]

٣. نهى الإسلام عن التدخين، لما له من آثار سلبية في تلويث الهواء وإلحاق الضرر بالمدخّن ومن حوله من الناس، فهو من الخبائث التي حرّمها **الله** تعالى في قوله: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ».[3] وهو مسبّب لأمراض السّرطان والسل وغير ذلك.[4] والجدير ذكره أنّ ملايين المدخّنين يلوّثون الهواء النقي بدخانهم، ويحتاجون يومياً إلى مليارات الدولارات التي تنفق في سبيل الشيطان، وهذا الرقم الضخم لو أنفق على تجميل البيئة لصارت جنة **الله** في أرضه.[5]



صورة رئة شخص مدخّن

١– رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قطع السدر. سنن أبي داود ٢/٧٨٢. حديث رقم (٥٢٣٩). قال الشيخ الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة للألباني ٢/١٧٣.
٢– العظيم آبادي، عون المعبود ١٤/١٠٢.
٣– (الأعراف: ١٥٧).
٤– علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، بيروت، لبنان، ط٣،١٤٠١هـ– ١٩٨١م ١/٢١٤.
٥– علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام ١/٢١٤. مقالة بعنوان: «كيف يقضى على مظاهر الفقر؟» على الموقع الالكتروني:http://www.paldf.net/forum/showthread.php116/ May/ 2008 .



صورة رئة شخص غير مدخّن

٤. نهى الإسلام عن كل سلوك خاطئ من شأنه أن يلحق الضرر بالبيئة، كالبصاق في الأماكن العامّة والطرقات والمياه وغير ذلك، ومن الأحاديث في هذا الباب ما يأتي:

- عن أنس قال: بزق النبي -صلى الله عليه وسلم- في ثوبه.[١] قال النووي في شرحه على مسلم: (واعلم أن البزاق في المسجد خطيئة مطلقاً، سواء احتاج إلى البزاق أو لم يحتج، بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة، وعليه أن يكفّر هذه الخطيئة بدفن البزاق).[٢]

- عن أنس بن مالك قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنه».[٣] وعن طاوس أنّ معاوية بزق في المسجد، وذهب، ثمّ رجع ومعه شعلة من نار، فجعل يتبع البزاق حتى دفنه.[٤]

- عن أبي سعيد أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- أبصر نخامة في قبلة المسجد فحكّها بعصاة، ثمّ نهى أن يبزق الرجل بين يديه أو عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى.[٥] فينبغي للمسلم أن يتجنّب البصاق تجاه القبلة، فعن حذيفة قال: «من صلّى فبزق تجاه القبلة جاءت بزقته يوم القيامة في وجهه».[٦]

والأحاديث الثلاثة السابقة في مجموعها تنهى عن البصق في المساجد، لكنّ ذلك لا يمنع من

١- رواه البخاري، كتاب الطهارة، باب البزاق والمخاط ونحوه في الثوب. صحيح البخاري ٩٥/١. حديث رقم (٢٣٨).
٢- شرح النووي على مسلم ٤١/٥.
٣- رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد. صحيح البخاري١٦١/١. حديث رقم (٤٠٥).
٤- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، المحلّى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ٢٣/٤.
٥- رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى. صحيح البخاري١٦٠/١. حديث رقم (٤٠٤).
٦- رواه ابن أبي شيبة، كتاب الصلاة، من كره أن يبزق تجاه المسجد، مصنف ابن أبي شيبة ١٤٣/٢. حديث رقم (٧٤٥٦).

تعميم حظر البصاق في الأماكن المكشوفة والعامة والشوارع وغير ذلك، وإن فعل ذلك فعليه أن يدفن بصاقه؛ منعاً للتلوّث، والأفضل للمسلم أن يبصق في المناديل الخاصّة لذلك؛ لأنّ البصق في الأماكن المكشوفة يتسبّب في انتقال الأمراض والفيروسات والأوبئة من المرضى إلى الأصحاء كما قال أهل الطب، وهذا لا يجوز شرعاً وعقلاً.

٥. استخدام محرّكات سيارات أصغر وأكثر كفاية، والاعتياض عن الوقود بالطاقة الشمسية والكهربية كبدائل غير ملوِّثة للبيئة.[١]

٦. أدخلت مصانع السيارات منذ سنة ١٩٧٠م في الولايات المتحدة الأمريكية على كل الأنواع الحديثة أجهزة مضادة للتلوّث أدّت إلى التقليل من كمية النيتروجين التي تنطلق في الجو[٢]

٧. التخلّص من السيارات القديمة وتشجيع الناس على اقتناء السيارات الحديثة بإيجاد محفّزات تدفعهم إلى اقتنائها، فقد أثبتت الدراسات أنّ المركبات الحديثة أقل استخداماً للوقود وأقل تلويثاً للبيئة من المركبات القديمة.[٣]

٨. بناء المنشآت الصّناعية والكيماوية والمدابغ بعيداً عن المناطق السكنية، وعزلها عن المدن بأحزمة من الغابات الخضراء، وأن لا تكون في ظل الرياح السائدة.[٤]

٩. نشر الوعي البيئي بين الجمهور من حيث الحد من استخدام السيارات الخاصّة واستخدام المواصلات العامّة للتقليل من عوادم السيارات وتوفير الطاقة، ويمكن استخدام الدراجات الهوائية كبديل عن هذه السيارات وخاصّة أيام العطل، كما جرى في بعض البلدان الأجنبية كاليابان والدنمارك.[٥] وفي الصين قامت السلطات المختصة بتوفير هذه الدراجات في جميع شوارع المدن بحيث يستخدمها المواطن مجاناً بواسطة بطاقة خاصّة. أمّا النرويج فقد شجّعت مواطنيها على استخدام هذه الدراجات، وجعلت لها طرقاً خاصّة بحيث يستعملها الأغنياء والفقراء على حد سواء.

١٠. تخطيط المدن والعمران بصورة أفضل، وذلك بترك مسافات بين البيوت للسماح بمرور التيار الهوائي، وزيادة المساحة الخضراء فيها التي تساعد في امتصاص المواد السامّة[٦]

١١. عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات علمية واجتماعية وإعلامية للوصول إلى برامج وأهداف مشتركة بين دول العالم للحد من التلوّث الهوائي.[٧]

١٢. إبعاد محطّات الوقود والكهرباء والغاز عن المنازل؛ لما فيها من ملوّثات.[٨]

١٣. الاستخدام الإجباري المقنّن بالتشريعات الملزمة لأجهزة تجميع وتنقية كل ما يخرج

١- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤١٦.
٢- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص ٧٨.
٣- الساحلي، خالد، أباظة، أسامة، «أثر الازدحام المروري ومواصلات النقل العام على التلوّث الجوي»، بحث منشور في كتاب أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني حول البيئة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩، ص٣.
٤- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤١٦. السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩.
٥- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩.
٦- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤١٧.
٧- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩.
٨- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص٤١٦.

من مداخن المصانع، وعدم حرق النفايات بالقرب من منازل الناس، حيث أنّ الدخان الصاعد منها من أخطر الملوّثات على البشر.[1] فالدخانِ عذاب كما قال تعالى: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ».[2]



صورة دخان متصاعد إلى الجوّ من أحد المصانع

١٤. تحسين طرائق تخليص الغازات والأدخنة من السموم قبل خروجها من المداخن إلى الهواء، وذلك عن طريق استخدام المرشّحات الكيميائية والميكانيكية.[3]

١٥. لعلاج المخلّفات البلاستيكية يمكن ابتداع معدّات وطرائق فنية لحرق المخلّفات البلاستيكية وغيرها، والاستفادة من حرارة احتراقها في توليد أشكال الطاقة المختلفة لاستخدامها في شتى الأنشطة الإنسانية.[4]

١٦. وأخيراً فإنّ أفضل وسيلة لحماية البيئة من التلوّث الهوائي وغيره الحفاظ على ما خلق **الله** تعالى دون عبث.

المطلب الثالث: **التلوّث الغذائي**: للغذاء بنوعيه الحيواني والنباتي أهمية كبيرة في حياة الإنسان حيث يحافظ على صحته، ويمد جسمه بالطاقة اللازمة لتصريف شؤونه وأعماله، كما يمد جسمه بالمناعة اللازمة ضد الأمراض والعلل، ويجدّد ما يتلف من خلايا ويساعد على النمو، وغير ذلك من الفوائد.[5]

ويقصد بالتلوّث الغذائي عملية تحوّل المادة الغذائية من حالة نافعة إلى حالة ضارّة بالإنسان.[6] وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: «فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ»[7] معناه: لم يتغير، بل بقي على حاله طول مائة عام.[8] والغذاء نوعان:

١- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص٤١٦.
٢- (الدخان: ١٠-١١).
٣- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٩٣.
٤- المرجع السابق ص٢٩٣.
٥- السعود، الإنسان والبيئة ص١٠٣.
٦- المرجع السابق ص١٠٣.
٧- (البقرة: ٢٥٩).
٨- ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ٩١/١.

النوع الأول: **الغذاء الحيواني**: وهو الغذاء المستمد من الحيوانات والطيور والأسماك من لحوم وبيض وألبان وغير ذلك، وهذا الغذاء ضروري لنمو الجسم، وهو نعمة أنعمها الله علينا، وأوجب علينا المحافظة عليها وعدم إهدارها وتلويثها بما يضر بمصالح الناس وأقواتهم. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبين لنا فوائد هذه الحيوانات وتحثّ على الرفق بها ورعايتها والعناية بها. ومن هذه الفوائد:

أ. أنها مصدر أساسي لغذاء الإنسان وطعامه من الألبان واللحوم وغير ذلك، قال تعالى: «وَإِنَّ لَكُمْ في الأَنْعَام لَعبْرَةً نُّسْقيكُم مِّمَّا في بُطُونه من بَيْنِ فَرْث وَدَم لَّبَناً خَالصاً سَآئغاً للشَّاربينَ».[1] وقال تعالى: «وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً».[2] وقال تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا ملْحٌ أُجَاجٌ وَمن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً».[3]

ب. هي وسيلة للنقل والمواصلات وحمل الأثقال، قال تعالى: «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالغيه إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ».[4]

جـ. وسيلة للاستمتاع والزينة والتفكّر، قال تعالى: «زُيِّنَ للنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ».[5]

د. يستفيد الإنسان من جلودها وأشعارها وأصوافها وريشها في بناء البيوت وصناعة الملابس والأثاث والأمتعة، قال تعالى: «واللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُود الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ».[6] قال الإمام الشافعي: (فيتوضأ في جلود الميتة كلها إذا دبغت، وجلود ما لا يؤكل لحمه من السباع قياساً عليها إلاّ جلد الكلب والخنزير فإنه لا يطهر بالدباغ؛ لأنّ النجاسة فيهما وهما حيان قائمة، وإنما يطهر بالدباغ ما لم يكن نجساً حياً).[7]

هـ. غذاؤها دواء للإنسان مثل عسل النحل، قال تعالى: «يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ».[8]

و. وسيلة من وسائل الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ».[9]

١- (النحل: ٦٦).
٢- (النحل: ١٤).
٣- (فاطر: ١٢).
٤- (النحل: ٧).
٥- (آل عمران: ١٤).
٦- (النحل: ٨٠).
٧- الشافعي، الأم ١/ ٢٢.
٨- (النحل: ٦٩).
٩- (الأنفال: ٦٠)

وعن عروة بن الجعد قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».[1] فالخيل التي أعدت للجهاد هي المخصوصة بالخير والبركة.[2]

ولهذه الفوائد السابقة اهتم الإسلام بالحيوانات وأمر بالرفق بها وعدم إيذائها بأي نوع من أنواع الإيذاء الذي يوجب عقاب الله تعالى كحرقها، وصبرها[3] والتمثيل بها واتخاذها وسيلة للتدريب برميها وهي حيّة، وحبسها، وإتلافها في الحروب لغير مسوّغ شرعي، وغير ذلك.

وبالنسبة لموقف القانون الدولي من هذه المسألة، فقد نصّت المادة (١٤) من البروتوكول الإضافي الثاني على حماية الأعيان التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة في الحرب ومنها الماشية.[4]

ولم تلتزم الدول الموقّعة على هذا البروتوكول ببنوده ومحتوياته، بدليل أنّ قنابلها تهلك الزرع والضرع، وتقوم بعض الدول باستغلال بعض الحيوانات كالكلاب في عملياتها الحربية، حيث تزرع داخلها المتفجّرات، ثمّ توجّهها نحو الهدف المطلوب، وتقوم بتفجيرها بعد ذلك، هذا ما فعلته إسرائيل في حربها الأخيرة على لبنان.

والتشريعات النى تحثّ على الرفق بالحيوان كثيرة منها:

١. نهى الإسلام عن حبس الحيوان وتجويعه، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش[5] الأرض».[6]

٢. نهى الإسلام عن نصب الحيوان ورميه وهو حي للتدريب ونحوه، والنصوص في ذلك كثيرة منها:

– فعن ابن عباس أنّ النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: «لا تتخذوا شيئاً فيه الروح غرضاً»[7] أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضاً ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها لما فيه من الجرأة والاستهانة بخلق الله والتعذيب عبثاً.[8]

١– رواه البخاري،كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، صحيح البخاري ١٠٤٧/٣.حديث رقم (٢٦٩٥).

٢– ابن حجر، فتح الباري ٥٥/٦.

٣– صبر الحيوان: أَنْ يُحْبَس حيّاً ويُرْمَى بشَيْءٍ حتّى يَمُوت. الزبيدي، تاج العروس ٢٧١/١٢.

٤– الموقع الالكتروني:www.icrc.org . بعنوان: الملحق "البروتوكول" الثاني الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩المتعلّق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية.

٥– خشاش الأرض: وهي حشرات الأرض وهوامها. العيني، عمدة القاري ٦٣/١٦.

٦– رواه البخاري،كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم. صحيح البخاري ١٢٠٥/٣. حديث رقم (٣١٤٠). .

٧– رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم. صحيح مسلم ١٥٤٩/٣. حديث رقم (١٩٥٧).

٨– المناوي، فيض القدير ٣٤٧/٦.

– عن هشام بن زيد قال: دخلت مع جدي أنس بن مالك دار الحكم بن أيوب فإذا قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها قال: فقال أنس: نهى رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– أن تصبر البهائم.[١] قال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه.[٢]

٣. نهّت التوجيهات النبوية الشريفة عن وسم الحيوان في وجهه، فعن جابر أنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– مرّ عليه حمار قد وسم[٣] في وجهه فقال: «لعن **الله** الذي وسمه»[٤] والوسم من أفعال الجاهلية.[٥] قال الإمام النووي: فأشار إلى تحريمه وهو الأظهر؛ لأنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– لعن فاعله، واللعن يقتضى التحريم.[٦]

٤. استدل بعض الصحابة والتابعين على عدم جواز إخصاء البهائم بقوله تعالى: «ولأُضلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَام وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ **اللّهِ** وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ **اللّهِ** فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً».[٧] قال ابن عباس: يعني بذلك خصي الدواب. وكذا روي عن ابن عمر وأنس وسعيد بن المسيب وعكرمة وأبي عياض وقتادة وأبي صالح والثوري.[٨] وقد رخص جماعة من العلماء في خصاء البهائم إذا كان فيه منفعة.[٩] ومن هذه المنافع تكثير اللحم، ولا بد أن يفهم أن هذا الترخيص لا يؤخذ على إطلاقه، فجواز الإخصاء مرهون بعدم تعذيب الحيوان وإيذائه، ويمكن ذلك باستخدام وسائل علمية حديثة توازن بين مصلحة مالك الحيوان بتسمينه وتكثير لحمه، ومصلحة الحيوان بعدم إيذائه وإيلامه.

وعن ابن عمر قال: نهى رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– عن خصاء الخيل والبهائم. وقال ابن عمر: فيه نماء الخلق.[١٠] أي أنّ خصاءها يمنع توالدها وتكاثرها والانتفاع بها؛ ولهذا منعه.

٥. نهت الشريعة عن التمثيل بالحيوان، كحرقه، وقطع ذنبه، أو شق أذنه لغير مسوّغ شرعي، ومن النصوص في ذلك:

١– متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة. صحيح البخاري ٢١٠٠/٥. حديث رقم (٥١٩٤). رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم. صحيح مسلم ١٥٤٩/٣. حديث رقم (١٩٥٦).

٢– شرح النووي على مسلم ١٠٧/١٣.

٣– الوسم: أثر الكي والجمع وسوم، وقد وسمه وسماً وسمة إذا أثر فيه بسمة. ابن منظور، لسان العرب ٦٣٥/١٢. مادة (وسم).

٤– رواه مسلم،كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه. صحيح مسلم ١٦٧٣/٣. حديث رقم (٢١١٧).

٥– النووي، المجموع ١٧٦/٦.

٦– شرح النووي على صحيح مسلم ٩٧/١٤ .

٧– (النساء: ١١٩).

٨– السيوطي، الدر المنثور ٦٨٩/٢. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٨/١. المباركفوري، تحفة الأحوذي ٤/ ١٧٠ – ١٧١.

٩– ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٥٨/١.

١٠– رواه ابن أبي شيبة، كتاب السير، ما قالوا في خصاء الخيل والدواب من كرهه. أثر رقم (٣٢٥٧٧). مصنف ابن أبي شيبة ٤٢٣/٦. قال الألباني: صحيح. صحيح وضعيف الجامع الصغير ٤٨٤/٢٦.

- وعن ابن عمر لعن النبي –صلى الله عليه وسلم– من مثّل بالحيوان.[١] يقال: مثّل بالحيوان يمثّل مثلاً، كقتل يقتل قتلاً، إذا قطع أطرافه، أو أنفه، أو أذنه.[٢]

- وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثمّ أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة ؟».[٣] ومعناه: فهلا أحرقت نملة واحدة وهي التي آذتك بخلاف غيرها فلم يصدر منها جناية، واستدل بهذا الحديث على جواز إحراق الحيوان المؤذي بالنار من جهة أنّ شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه، لكن ورد في شرعنا النهي عن التعذيب بالنار.[٤]

وقال الإمام النووي: (هذا الحديث محمول على أنّ شرع ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– كان فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار، ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق، بل في الزيادة على نملة واحدة، وأمّا في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان).[٥]

٦. نهى الإسلام عن تعذيب الحيوان عند ذبحه، وأمر بالإحسان في ذلك، فعن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته».[٦]

٧. جعل الإسلام للرفق بالحيوان والإحسان إليه أجراً كبيراً وهو الجنة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً فشرب منها، ثمّ خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثمّ أمسكه بفيه، ثمّ رقي فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له». قالوا: يا رسول الله وإنّ لنا في البهائم أجراً ؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر».[٧]

٨. نهى الإسلام عن التحريش بين البهائم، وترقيص القرود. والتحريش بين البهائم: هو الإغراء وتهييج بعضها على بعض، كما يفعل بين الجمال والكباش والديوك والكلاب وغيرها، ووجه النهي أنّه إيلام للحيوانات وإلعاب لها بدون فائدة، بل مجرد عبث.[٨] فعن مجاهد عن ابن عباس قال: نهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن التحريش

١- رواه البخاري،كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة.صحيح البخاري ٢١٠٠/٥. حديث رقم (٥١٩٦).

٢- العيني، عمدة القاري ١٢٤/٢١.

٣- رواه البخاري،كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم. صحيح البخاري ١٢٠٦/٣. حديث رقم (٣١٤١).

٤- ابن حجر، فتح الباري ٣٥٨/٦.

٥- شرح النووي على صحيح مسلم ٢٣٩/١٤.

٦- رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة. صحيح مسلم ١٥٤٨/٣.حديث رقم (١٩٥٥).

٧- رواه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء. صحيح البخاري ٨٣٣/٢. حديث رقم (٢٣٣٤).

٨- المباركفوري، تحفة الأحوذي ٢٩٩/٥.

بين البهائم.[١] وعن مجاهد عن ابن عمر أنّه كره أن يحرّش بين البهائم.[٢] قال الحليمي: ويحرم التحريش بين الكلاب والديوك؛ لما فيه من إيلام الحيوان بلا فائدة. وقال ابن سراقة في أدب الشهود: ويحرم ترقيص القرود؛ لأنّ فيه تعذيباً لهم، وفي معناه الهراش بين الديكين والنطاح بين الكبشين، واعلم أنّه يحرم التفرّج على هذه الأشياء المحرّمة؛ لأنّ فيه إعانة لهم على الحرام، وكذلك على من يلعب بالعصفور، ويجمع الناس عليها.[٣]

٩. لا يجوز للمسلم أن يحمّل الدّابّة فوق طاقتها، بل عليه أن يرفق بها، ولو استأجرها فحمّلها المؤجر ما لا تطيق لم يجز للمستأجر موافقته.[٤] ودليل ذلك:

- حديث شداد بن أوس –رضي الله عنه– أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم–قال: «إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء».[٥]
- ولقوله –صلى الله عليه وسلم–: «لا ضرر ولا ضرار».[٦]
- ولحديث سهل بن عمر –رضي الله عنه– قال: مرّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ببعير قد لحق ظهره ببطنه فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة».[٧]

ويستحب أن يريح دابته بالنزول عنها غدوة وعشية، وعند عقبة ونحوها، ويتجنّب النوم على ظهرها، عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا صلّى الفجر في السفر مشى –زاد فيه غيره– قليلاً وناقته تقاد.[٨]

وأمّا المكث على ظهر الدابة وهى واقفة، فإن كان يسيراً فلا بأس، وإن كان كثيراً لحاجة فلا بأس به، وإن كان لغير حاجة فهو مكروه. فعن أنس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «اركبوا هذه الدواب سالمة، وابتدعوها سالمة،[٩] ولا تتّخذوها كراسي».[١٠] وليس هذا النهي مخالفاً لجلوسه –صلى الله عليه وسلم– على ظهر ناقته للخطبة عليها بعرفة يوم عرفة، ويوم النحر بمنى؛ لأنّ النهي إنما هو للحديث الذي لا حاجة به فيه إلى ذلك.[١١]

١– رواه الترمذي،كتاب الجهاد، باب ما جاء في كراهية التحريش بين البهائم والضربِ والوسمِ في الوجه، سنن الترمذي، ٢١٠/٤. حديث رقم(١٧٠٨). قال المنذري: رواه أبو داود والترمذي متصلاً ومرسلاً عن مجاهد. وقال في المرسل: هو أصح. المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ، الطبعة الأولى تحقيق: إبراهيم شمس الدين،١٤٧/٣.

٢– البخاري، الأدب المفرد، باب التحريش بين البهائم، ص ٤٢٢.

٣– الرملي، أبو العباس أحمد الأنصاري، حاشية الرملي، بلا تاريخ، ٣٤٤/٤. الشربيني، مغني المحتاج ٤٢٨/٤.

٤– النووي، المجموع ٣٩٠/٤.

٥– سبق تخريجه.

٦– سبق تخريجه.

٧– رواه أبو داود،كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ٢٣/٣، حديث رقم (٢٥٤٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، مشكاة المصابيح ٢٦٦/٢.

٨– رواه البيهقي،كتاب الحج، باب النزول للرواح، سنن البيهقي الكبرى، ٢٥٥/٥، حديث رقم (١٠١١٨). قال الحافظ العراقي: إسناده جيد. المناوي، فيض القدير ١٤٨/٥.

٩– المعنى اتركوها وخفّفوا عنها إذا لم تحتاجوا إليها. القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عيتاني ٤٨٦/٦.

١٠– رواه الحاكم،كتاب الجهاد، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين ١٠٩/٢. حديث رقم (٢٤٨٦). قال الشيخ الألباني: صحيح. الألباني، السلسلة الصحيحة٥٩/١.

١١– أبو المحاسن، يوسف بن موسى الحنفي، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، مكتبة سعد الدين، بيروت، القاهرة، دمشق، ٢٤٤/٢.

١٠. دعا إلى الحفاظ على الثروة الحيوانية وخاصّة المنتجة منها، وذلك للمصلحة العامّة في توفير الغذاء وضمان تدفقه واستمراره، فعن أبي هريرة أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قال للأنصاري حين أخذ المُدية (السكين) وهمّ بذبح الشاة: «إياك والحلوب».[١] والحلوب: ذات اللبن.[٢] وعن جابر دخل عليّ رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– فعمدت إلى عنز لأذبحها، فثغت، فسمع ثغوتها فقال: «يا جابر لا تقطع دراً ولا نسلاً». فقال: يا نبي **الله** إنما هي عتودة[٣] علفتها البلح والرطبة حتى سمنت.[٤]

قال ابن رشد: (منع ذبح ذوات الدر من الغنم للمصلحة العامّة للنَّاس فَتُمْنع المصْلحة الخاصَّة).[٥]

النوع الثاني: **الغذاء النّباتي**: وهو الغذاء المستمد من النباتات كالحبوب والفواكه والخضراوات وغير ذلك، وهذه الأغذية ضرورية لجسم الإنسان حيث تزوّده بالعناصر الأساسية لنموّه، كالبروتينات والفيتامينات والحديد وغير ذلك، وهذه نعمة عظيمة من **الله** تعالى أمرنا بالعناية بها، وعدم التعرّض لها بما يلحق بها الضرر، فالإضرار بها تدمير للإنسانية، وإفساد للبيئة، وتعطيل للحياة، وقد ذكرت الآيات القرآنية كثيراً من فوائد النباتات في حياة الإنسان والحيوان، ومن هذه الفوائد ما يأتي:

١. النباتات مصدر هام من مصادر الغذاء للإنسان والحيوان: قال تعالى: «كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى» .[٦]
٢. وسيلة هامة من وسائل إنتاج الطاقة والتدفئة: قال تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ».[٧]
٣. هي حضن دافىء لإيواء الحشرات والطيور وبعض الحيوانات، قال تعالى: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ».[٨]
٤. وسيلة للتفكّر وطريق للهداية والإيمان، قال تعالى: «انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ».[٩]
٥. وسيلة للزينة والاستمتاع والراحة والاستظلال بها: «فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».[١٠] قوله تعالى: «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ» أي: إلى ظل شجرة[١١]

١– رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك وبتحققه تحققاً تاماً واستحباب الاجتماع على الطعام. صحيح مسلم ١٦٠٩/٣. حديث رقم (٢٠٣٨).
٢– شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٤/١٣.
٣– عَتُود": من أولاد المعز وهو ما رعى وقوي وشب. ابن منظور، لسان العرب ٢٧٥/٣. المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت،٢٦٩/١.
٤– مسند أحمد بن حنبل ٣٩٦/٣. حديث رقم (١٥٣٠١). قال الهيثمي: فيه من لم أعرفه. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥٢/٢.
٥– الحطاب، مواهب الجليل ٤٣/٩.
٦– (طه: ٥٤).
٧– (يس: ٨٠).
٨– (النحل: ٦٨).
٩– (الأنعام: ٩٩).
١٠– (القصص: ٢٤).
١١– الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بلا تاريخ، ص ٨١٦.

٦. تعمل الأشجار على تلطيف الجو والمناخ، وتخفيض درجات الحرارة، وإنتاج الأوكسجين، وامتصاص المركبات السامّة، وتصفّي الهواء من الملوّثات العالقة به؛ ولذلك أوصت البحوث العلمية بزراعة مائة شجرة أمام كل سيارة نقل، وعشر شجرات أمام كل سيارة صغيرة. وأن يقوم كل مصنع بزراعة شجرة أمام كل لتر من الوقود الذي يستخدم في إدارة المعدات.[١] وقد ثبت علمياً أنّ درجات الحرارة في المناطق الخضراء المحيطة بالمدن تقل عنها داخل المدن، كما أنّ الظل الكثيف من النباتات والأشجار حول المباني يخفّض درجات الحرارة.

٧. الحصول على الخشب من الأشجار واستخدامه في صناعات مختلفة، مثل الأثاث والسفن وغيره. قال تعالى: «وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ».[٢] المراد: وحملناه على سفينة ذات ألواح أي: من الخشب.[٣]

٨. استخدامات أخرى للأشجار في الأدوية والعلاج وصحة الإنسان، مثل استخدام قلف أشجار الصفصاف في العلاج، والمسواك (من شجرة الأراك) والزيتون لتنظيف الأسنان، كما تدخل في كثير من الصناعات الغذائية.

٩. تعمل الأشجار كمصدات للرياح في الأراضي الصحراوية لحماية الزرع والنباتات، قال تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً» .[٤] قوله تعالى: « وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ»: أي جعلنا النخل محيطة بهما مؤزراً بها كرومهما.[٥] فكان النخل المحيط بالبساتين جدار حماية للزرع والعنب داخل البستان.

أسباب التلوّث الغذائي وعلاجه

تتعدّد أسباب التلوّث الغذائي كما يأتي:

السبب الأول: بعض الأغذية تتلوّث بسبب تلوّث مياه البحار والأنهار والمحيطات الناتج عن إلقاء المواد الكيماوية السامّة والغازات والنفايات فيها، وكذلك بسبب اختلاط مياه الصرف الصحي بالمياه العذبة، أو الإفراط في استخدام المبيدات الحشرية والأسمدة الكيميائية للنبات والحيوان، ويمكن أن تصل الغازات السامّة والإشعاعات الضارّة إثر الانفجارات الناتجة عن التجارب النووية، حيث تصل هذه الإشعاعات إلى الإنسان عن طريق الأسماك والنباتات وسائر الأغذية فتلحق الضرر به.[٦]

١- شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص ٥٦. عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلويث البيئة ص ٨٨.
٢- (القمر: ١٣).
٣- الشنقيطي، أضواء البيان ٤٧٨/٧.
٤- (الكهف: ٣٢).
٥- تفسير أبي السعود ٢٢١/٥.
٦- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٧.

السبب الثاني: تؤثّر بعض الحشرات والحيوانات في تلوّث غذاء الإنسان مثل القوارض والخنازير والكلاب والبعوض والجراد، وتسبب بعض الأمراض مثل الطاعون والملاريا والكوليرا، كما تضر بطعام الإنسان وشرابه، وتضر بالنباتات والأشجار، حيث تصل نسبة الخسارة في الغذاء بسبب الحشرات والقوارض في الدول الفقيرة ما يعادل أو يزيد عن (٣٠٪).[١]

السبب الثالث: ومن أسباب تلوّث الغذاء تلك المواد الملوّنة والمنكّهة والحافظة والمحلّية التي تضاف إلى الغذاء، حيث أنّ هذه المواد تصبح سامّة إذا تجاوزت الحد اللازم المسموح به، وبعضها ضار للإنسان حتى في التراكيز المخفّضة جداً.[٢]

السبب الرابع: تفاعل الغذاء مع الأواني المستخدمة في الطبخ أو الحفظ مثل بعض أنواع الألمنيوم والبلاستيك، مما يؤدّي إلى ارتفاع نسبة المعادن عن الحد المقرّر والتي قد تكون سامّة للإنسان.[٣]

وللحد من التلوّث الغذائي شرع الإسلام بعض التدابير والوسائل الوقائية والعلاجية كما يلي:

الوسيلة الأولى: نهى عن كل ما يؤدّي إلى تلويث النبات والحيوان؛ لأنّ من شأن ذلك أن يتسبّب في تلويث غذاء الإنسان وطعامه وشرابه، فلا يجوز إلقاء المواد السامّة بجميع أنواعها في البحار، وكذلك مياه الصرف الصحي، ولا يجوز التبوّل وقضاء الحاجة في المياه وظلال الأشجار والطرق والشوارع، قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الملاعن الثلاثة: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل».[٤] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار».[٥]

الوسيلة الثانية: أمر الإسلام بالتخلّص من كل ما يسبّب هذا التلوّث الغذائي، فأمر بقتل الفأرة والكلب العقور، والحشرات السامّة، ففي الحديث عن حفصة –رضي **الله** عنها– قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «خمس من الدواب لا حرج على من قتلهن: الغراب، والحدأة، والفأرة، والعقرب، والكلب العقور».[٦] وقد ثبت علمياً أنّ الفئران تسبب مرض أغشية المخ الليمفاوي وهو مرض قاتل، كما تحمل فيروسات الحمى النزيفية حيث تفرزه في برازها أو في البول أو اللعاب، فينتقل الفيروس للإنسان من طعام ملوّث بلعاب هذا الفأر أو برازه أو بوله، كما تنقل فيروس الجدري والحمى القلاعية وفيروس التهاب الدماغ والقلب.[٧] ويمكن التخلّص من القوارض باستخدام السموم سريعة المفعول مثل أكسيد الزنك، أو استعمال المصائد التقليدية، وكذلك يجب تعفير جحورها لقتل ما بها من حشرات كالبراغيث والقمل والقراد؛ حتى لا تنتقل منها إلى الإنسان.[٨] وهنا تظهر حكمة الإسلام في إجازة أكل الجراد وعدم اعتباره ميتة يحرم أكلها، إذ أنّ أكله يخفّف من أعداده الهائلة التي تضر بالنباتات وتتلفها بشكل كبير. فعن عبد **الله** بن عمر قال

١– ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص ٦٧٨– ٦٧٩.
٢– السعود، الإنسان والبيئة ص١٠٤.
٣– المرجع السابق ص١٠٤.
٤– سبق تخريجه.
٥– سبق تخريجه.
٦– رواه البخاري، كتاب الحج، باب ما يقتل المحرم من الدواب. صحيح البخاري ٦٤٩/٢. حديث رقم (١٧٣١).
٧– طنطاوي، حماية البيئة من الفيروسات ص ١٨٢–١٥٨.
٨– المرجع السابق ص١٨٧.

رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– : «أحلّت لكم ميتتان ودمان. فأمّا الميتتان فالحوت والجراد، وأمّا الدّمان فالكبد والطحال».[١]

الوسيلة الثالثة: نهى الإسلام عن إيذاء الحيوانات والطيور والإضرار بها وإتلافها لغير فائدة؛ لأنّ من شأن ذلك أن يخل بالتوازن البيئي، قال تعالى: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ».[٢] الحرث: وهو محل نماء الزروع والثمار، والنسل: وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما.[٣] فإفسادهما تدمير للإنسانية، وإفساد للبيئة، وتعطيل للاقتصاد، وهدر للغذاء.

وقد نهى النبي–صلى **الله** عليه وسلم– عن ذبح الحيوان لغير مأكلة.[٤] وجاء في وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان: «ولا تعقرنّ شاة ولا بعيراً إلاّ لمأكلة».[٥] وظاهر النص السابق يدل على حرمة قتل الحيوان لغير مسوغ شرعي.

وعن عبد **الله** بن عمر قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «من قتل عصفوراً بغير حقّه سأله **الله** عنه يوم القيامة قيل: وما حقّه؟ قال: «أن تذبحه فتأكله».[٦]

إنّ قتل الطيور وإزهاق أرواحها لغير فائدة ومنع تكاثرها من شأنه أن يخل بالتوازن البيئي الذي أراده **الله** تعالى في هذا الكون، ففي الصين تعرضّت مزارع كثيرة لهجوم من قبل العصافير والطيور في أكل حبات الزرع (البذور) ممّا أثر على إنتاجهم، فاستخدموا وسيلة قرع الطبول للقضاء على الطيور وعدم اقترابها من مزارعهم، وفعلاً هربت هذه الطيور باستثناء القليل منها، وشاء **الله** أن تتعرّض هذه المزارع إلى موجة من الجراد التي لا يمكن القضاء عليها إلاّ بالطيور، فاضطروا إلى البحث عن الطيور حتى في السماء لجلبها إلى مزارعهم؛ كي تنقذهم من حشرة الجراد، وهذا دليل على أنّ كل شيء تمّ خلقه من الباري –عز وجل– بقدر موزون، ولا يمكن العبث بالقياسات والمقادير التي خصّصها **الله** لمخلوقاته.[٧]

وقد سار القانون الدولي على منهج الإسلام في ضرورة حماية الحيوانات خاصّة زمن الصراعات والحروب، فقد نصّت المـادة الرابعة عشرة من البروتوكول الإضافي الثاني على حماية الأعيان التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة ومنها الماشية.[٨]

١– رواه ابن ماجة،كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال. سنن ابن ماجه ١١٠٢/٢. حديث رقم (٣٣١٤). قال الشيخ الألباني: صحيح. مشكاة المصابيح ٤٣٩/٢.

٢– (البقرة: ٢٠٥).

٣– تفسير ابن كثير ٣٣٢/١.

٤– ابن قدامة، المغني ٥٠٦/١٠.

٥– سبق تخريجه.

٦– رواه الدارمي،كتاب الأضاحي، باب من قتل شيئاً من الدواب عبثاً. الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١١٥/٢. حديث رقم (١٩٧٨). قال حسين سليم أسد: إسناده جيد. نفس المرجع والصفحة. وقال الشيخ الألباني: حسن. صحيح الترغيب والترهيب ٢٧٥/٢.

٧– ميهوب، مقالة بعنوان:: «الحفاظ على البيئة من صميم الإسلام».على الموقع الالكتروني: http://www.startimes2.com/f.aspx. 28 آذار (مارس)/ 2009.

٨– الملحق «البروتوكول» الثاني الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢/ آب أغسطس/ ١٩٤٩المتعلّق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية. على الموقع الالكتروني:www.icrc.org .

الوسيلة الرابعة: نهى عن قطع الأشجار وإتلاف النباتات والزروع والثمار والأغذية وحرق الغابات لغير مسوغ شرعي؛ لأنّ من شأن ذلك أن يؤدّي إلى قلة الغذاء، وموت الحيوانات، وتلويث البيئة، عن ابن طاووس عن أبيه قال: نهى رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– عن عضد الشجر. قال: إنّه حتمة للدواب في الجدب.[١] وفي وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان: «ولا تحرقنّ نخلاً ولا تغرقنّه».[٢]

الوسيلة الخامسة: نهى عن الإسراف في تناول الأطعمة والأشربة؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى استنزافها وإهدارها في غير فائدة، والتشريعات في ذلك كثيرة:

– قال تعالى: «وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِين».[٣]

– وقال ابن عباس: «كل ما شئت، والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة»[٤].[٥]

– وجاء رجل إلى علي–رضي **الله** عنه– فقال: أتيت أرضاً قد خرجت، وعجز عنها أهلها، فكريت أنهاراً وزرعتها قال: «كل هنيئاً وأنت مصلح غير مفسد، معمّر غير مخرّب».[٦]

ومن التبذير والإسراف أنّ شركات السوء تقوم بطمر آلاف الأطنان من الأغذية والتخلّص منها خوفاً من هبوط سعرها في السوق، لا يدفعهم إلى ذلك إلاّ الجشع والطمع وحب الثراء على حساب المحتاجين والفقراء.

وتشير بعض الدراسات التي أجريت في الكويت أن ما يلقى ويتلف من مواد غذائية ويوضع في صناديق القمامة كبير إلى الحد الذي قد تبلغ نسبته في بعض الحالات ٤٥٪ من حجم القمامة. وفي مدينة الرياض أظهرت دراسة أعدتها أمانة مدينة الرياض عن نفايات المدينة أن كمية النفايات اليومية لكل فرد من نفايات المواد الغذائية تبلغ ١٠٦٠ جراماً. والملاحظ في دول الخليج العربي أن كمية المواد الغذائية التي تلقى في القمامة كبيرة جدا بالمقارنة مع غيرها من دول العالم.[٧] ونجد أن صناديق القمامة تشهد أكياساً من الزبالة وألواناً من النفايات المنزلية أشبه بالتلال نتيجة الاستهلاك المنزلي الشره، وصدق من قال إن الاستهلاك هو طوفان التلوث القادم.[٨]

الوسيلة السادسة: حثّ الإسلام على الزراعة وبناء الحدائق والمتنزهات الخضراء، فمثل هذه المناظر الخلابة تسترعي انتباه المشاهد، وتبث في نفسه الاطمئنان، وتلطّف المناخ، قال تعالى: «وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ **اللهِ**

١– سبق تخريجه .
٢– سبق تخريجه.
٣– (الأنعام:١٤١).
٤– مَخِيلة: كبر. الرازي، مختار الصحاح ص ١٩٦.
٥– رواه البخاري تعليقاً، كتاب اللباس .صحيح البخاري ٢١٨٠/٥.
٦– القرشي، يحيى بن آدم،كتاب الخراج، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، ١٩٧٤هـ، الطبعة الأولى ١٦٨/١. شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص ٢٠.
٧– عبد القادر، محمد، الإسراف وتأثيره على البيئة، ص ٥٥–٥٦.
٨– مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والأربعون، ص٣٩٤، المملكة العربية السعودية / الرياض، ١٤١٧هـ.

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ».[١] فهذه الآية دعوة صريحة لانتشار الحدائق والبساتين والتشجير وزيادة الخضرة، ومعروف ما هو الأثر النفسي الذي تتركه النباتات الخضراء خاصّة عند رؤية الزهور ذات الشّذى الطيب والرائحة العطرة، والألوان الزاهية، والأشكال الجميلة، وهذا مدلول قوله تعالى: «حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ». قال قتادة وعكرمة «ذات بهجة»: أي ذات حسن ورونق. والبهجة هي الحسن الذي يبتهج به.[٢]

وعن جابر أنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال لها: «من غرس هذا النخل؟ أمسلم أم كافر ؟» فقالت: بل مسلم. فقال: «لا يغرس مسلم غرساً، ولا يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلاّ كانت له صدقة».[٣]

ولا ريب أنّ الزراعة توفّر الغذاء المناسب للإنسان والحيوان، وهي تشجّع الصناعة والتجارة، كما تساهم في تحقيق الاستقرار الوطني والازدهار الاقتصادي، وهذا ينعكس إيجاباً على البيئة بشكل عام وشامل.

الوسيلة السابعة: تشريع الخراج:[٤] فإنّه لما ازدادت الفتوحات الإسلامية واتسعت دولة الإسلام رأى الخليفة عمر–رضي الله عنه– أن لا يقسّم الأرض المفتوحة عنوة بين الفاتحين، بل يجعلها وقفاً لجميع المسلمين، ويضرب على من يقوم بزراعتها خراجاً معلوماً.[٥] وكان يهدف من ذلك عمارة الأرض بالزراعة وعدم تعطيلها؛ لأنّ أهل الأرض أقدر من الغانمين على ذلك؛ لتوفّر الخبرة والقدرة على الزراعة؛ ولذلك قال عمر في أهلها: «يكونون عمّار الأرض فهم أعلم بها وأقوى عليها».[٦]

الوسيلة الثامنة: أحل الإسلام صيد البر والبحر، لقوله تعالى: «وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا».[٧] وقال تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ».[٨]

وعن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الصيد قال: «إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله، فإن وجدته قد قتل فكل إلاّ أن تجده قد وقع في ماء فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك».[٩]

١– (النمل: ٦٠).
٢– الشوكاني، فتح القدير ١٤٦/٤.
٣– رواه مسلم،كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع. صحيح مسلم ١١٨٨/٣. حديث رقم (١٥٥٢).
٤– الخراج: ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدّى عنها. شبير، محمد عثمان، أحكام الخراج في الفقه الإسلامي، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، ص١٤٦.
٥– حاشية ابن عابدين ١٧٨/٤. عمر شبير، أحكام الخراج في الفقه الإسلامي ص٢٢.
٦– شبير، أحكام الخراج في الفقه الإسلامي ص٣١.
٧– (المائدة: ٢).
٨– (المائدة: ٩٦).
٩– رواه مسلم،كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصيد بالكلاب المعلمة.صحيح مسلم ١٥٣١/٣. حديث رقم (١٩٢٩).

وأمّا محل الصيد فإنهم أجمعوا على أنّ محلّه من الحيوان البحري وهو السمك وأصنافه، ومن الحيوان البري الحلال الأكل غير المستأنس.[١] أمّا الحكمة من إباحته فإنّه لو منعه **الله** تعالى لأدّى ذلك إلى تكاثر الطيور والحيوانات بشكل يخل بالتوازن البيئي وربما ماتت جوعاً، فكانت سبباً في تلويث الأرض، وعدم صيدها قد يضر بمصالح الناس الزراعية وغيرها، لكنّ الصيد يجب أن يكون بحكمة وبقصد الانتفاع به عند الحاجة، ولا يقصد منه الإبادة.

وإذا كان الصيد بالكلاب المعلّمة فيجب غسل موضع ظفر الكلب ونابه سبع مرات إحداهن بالتراب كما قال الشافعية.[٢]

الوسيلة التاسعة: أرشد الإسلام الإنسان إلى طعامه وشرابه، فأحل له الغذاء الطيب، وحرّم عليه كل ما يغير جسمه وعقله ويضر بهما، كالميتة لما فيها من أمراض، والدم الذي هو أصلح بيئة لنمو الميكروبات، ولحم الخنزير، حيث ثبت طبياً أنّ تناول لحم الخنزير يسبّب كثيراً من الأمراض الفتّاكة مثل أنفلونزا الخنازير، ويسبّب القرحات وآلام المعدة، والدمامل فوق الوجه، ويسبّب السرطان وبعض طفيليّات الخنزير ثنائية الرأس، وتعيش في الأوردة الدموية، وتصل إلى العينين وتسبب العمّى، وإن وصلت إلى الأذّن تسبب الصمم، وتسبب ضعف الذاكرة والصلع، ويحفّز تناول لحم الخنزير الأوجاع القديمة مثل الروماتيزم وداء الرّبو.[٣] قال تعالى: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ **اللّه** بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ».[٤]

كما حرّم الإسلام كل ذي ناب من السباع كالأسد والنمر والدب، وكل ذي مخلب من الطير كالعقاب والصقر والبازي؛ لأنها جميعاً من الخبائث، فقد روى ابن عباس –رضى **الله** عنهما– أنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير[٥] قال الإمام النووي: (ولا يحل ما يتقوّى بنابه ويعدو على الناس وعلى البهائم، كالأسد والفهد والذئب والنمر والدب؛ لقوله تعالى: «ويحرم عليهم الخبائث».[٦] وهذه السباع من الخبائث؛ لأنها تأكل الجيف ولا يستطيبها العرب).[٧]

ونهى الإسلام عن استهلاك الغذاء الذي تعرّض للتلوّث؛ لما فيه من أضرار صحية، فعن ابن عباس عن ميمونة أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– سئل عن فأرة سقطت في سمن فقال: «ألقوها وما حولها فاطرحوه وكلوا سمنكم».[٨] فأمر بإلقاء ما حولها بسبب تنجسه وتلوّثه. قال العيني:

١– حاشية ابن عابدين ٦/٤٦١. ابن رشد، بداية المجتهد ١/٣٣٢. الشربيني، مغني المحتاج ٤/٢٦٥. ابن قدامة، المغني ٩/٢٩٢.
٢– النووي، المجموع ٩/١٠٣.
٣– سيد سابق، فقه السنة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هــ، ١٩٨٣م، ٣/٢٥١.
٤– (المائدة: ٣).
٥– سبق تخريجه.
٦– (الأعراف: ١٥٧).
٧– النووي، المجموع ٩/١٤.
٨– رواه البخاري،كتاب الطهارة باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء.صحيح البخاري ١/٩٣. حديث رقم (٢٣٣).

(يستنبط منه أنّ السمن الجامد إذا وقعت فيه فأرة أو نحوها تطرح الفأرة، ويؤخذ ما حولها من السمن ويرمى به، ويقاس على هذا نحو العسل والدبس إذا كان جامداً).[١] وأمّا إن كان مائعاً فيلقى ولا يؤكل؛ لتحقّق النجاسة في جميعه. فعن أبي هريرة قال: قال: رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «إذا وقعت الفأرة في السمن، فإن كان جامداً فألقوها وما حولها، وإن كان مائعاً فلا تقربوه».[٢]

كما حرّم الإسلام شرب الخمر فهي مفتاح كل شر، وكذا تعاطي المخدّرات بأنواعها المختلفة، وكذا الدخان وسائر المفتّرات وهي كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف كالحشيشة، وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريمها وأنّ من استحلها فقد كفر.[٣] والأدلة على تحريم المسكرات كثيرة منها:

أ.قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ».[٤] أمّا وقوع العداوة في الخمر أنّ شاربيه إذا سكروا عربدوا وتشاجروا.[٥] ولأنّ الخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وتلك المنازعة ربما أدّت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث أشد العداوة والبغضاء.[٦]

ب.عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنّ أباه قال: سمعت عثمان –رضي **الله** عنه– يقول: «اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث».[٧] قال ابن الجوزي: فمن شربها قتل النفس وزنى وربما كفر.[٨]

جـ.ما رواه مسلم عن ابن عمر–رضي **الله** عنهما– أنّ رسول–صلى **الله** عليه وسلم– قال: «كل مسكر خمر وكل خمر حرام».[٩] فالإسكار هو علّة التحريم.[١٠] والعلّة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً، فحيثما وجدت العلّة وجد الحكم وهو التحريم، وهذه الأحاديث السابقة تدل على حرمتها، فالنهي عن الشيء دليل حرمته.

١– العيني، عمدة القاري ١٦٢/٣.
٢– رواه أبو داود، كتاب العلم، باب في الفأرة تقع في السمن، سنن أبي داود ٣٦٤/٣. حديث رقم (٣٨٤٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي ٢٥٦/٤.
٣– الهيثمي، ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، ٤١٧/١. غنيم، خالد إسماعيل، أضرار المخدرات المكتبة الوطنية، عمان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٧.
٤– (المائدة: ٩٠).
٥– السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، دار الوطن، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، ٦٢/٢.
٦– الرازي، التفسير الكبير ٦٧/١٢.
٧– رواه النسائي، كتاب الأشربة، ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر من ترك الصلوات ومن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن وقوع على المحارم. سنن النسائي الكبرى ٢٢٨/٣. حديث رقم (٥١٧٦). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف سنن النسائي ١٦٦/١٢.
٨– ابن الجوزي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، ص٤٢١.
٩– رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، صحيح مسلم، ١٥٨٨/٣ حديث رقم (٢٠٠٣). ورواه الترمذي، كتاب الأشربة، باب ما جاء في شارب الخمر، سنن الترمذي ٢٩٠/٤ حديث رقم (١٨٦١).
١٠– شرح النووي على صحيح مسلم ١٤٩/١٣.

والخمر لها أضرار كثيرة في الدين والجسم والعقل نبه الإسلام إليها، أمّا ضررها في الدين فهي تصد عن ذكر الله وعن الصلاة والذكر وسائر العبادات؛ وتدفع إلى الزنا والمنكرات؛ وتنزع منه الإيمان عند موته؛ ولهذا جعلها الله تعالى من عمل الشيطان، والشيطان لا يأتي منه إلا الشرور والآثام.[1] وأمّا ضررها على الجسم فقد أثبت الطب الحديث علاقة الخمر بكثير من الأمراض والأدواء المزمنة القاتلة وبالأخص القرحة المعدية.[2] وقد ذكر الدكتور محمد علي البار في كتابه «الخمر بين الطب والفقه» كثيراً من هذه الأمراض أذكر منها[3]:

١. الذبحات الصدرية، وجلطة القلب، فالخمر سبب في تضخم عضلة القلب بسبب زيادة احتياجاتها من الدم، وهذا يؤدّي إلى قصور نسبي في الدورة التاجية.
٢. قرحة المعدة، وهذا بسبب تهيج الأغشية المخاطية لجدارها، مما يزيد من إفراز الحوامض التي بدورها تساعد في حصول القرحة.
٣. فقدان القدرة على أداء العمل الجنسي؛ لأنّ لها تأثيراً على الجهاز العصبي التعاطفي.
٤. ضمور خلايا المخيخ وتآكلها وفسادها، مما يؤدّي إلى السقوط المستمر على الأرض وعدم القدرة على الوقوف.
٥. الصرع والهلوسة والهذيان الارتعاشي.
٦. تقرحات الفم والتهابات اللسان، وقد يؤدّي هذا إلى موت المريض.
٧. التهاب البنكرياس المزمن، ويحدث عادة بعد الالتهابات التي تكون الخمر سببها.
٨. فقر الدم بسبب نقص فيتامين (ب)، والتهاب المعدة يسبب هذا النقص.
٩. سرطان المعدة، ومن يصاب به يعيش لمدة خمس سنوات لا يتجاوزها إلاّ بإذن الله تعالى.
١٠. الخلل في وظائف الكبد، بحيث يقل سكر الدم عند الحاجة إليه، وهذا بدوره يؤدّي إلى إصابة المدمن بنوبات إغماء وارتعاش مزمن.

هذه بعض الأمراض والأخطار الناجمة عن شرب الخمر وغيرها من المسكّرات، ولو أردت التحدّث عن جميع ما تسببه من أمراض لاحتاج ذلك إلى مجلد ضخم، وهذا يعزّز حكمة الشرع وصدقه في النهي عنها وتحريمها.

وأمّا ضررها على العقل فهي تزيله، فالخمر هو السكر؛ لأنّ السكر يغطّي العقل، ويمنع من وصول نوره إلى الأعضاء، فيزول المانع من إظهار الكامن من الضغائن والمناقشة والمحاسدة، فربما أدّى ذلك إلى حروب طويلة وأمور مهولة.[4]

١- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد الحنفي، تنبيه الغافلين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص١١٠-١١١. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد، ذم المسكر، دار الرياض، السعودية، ص٧٤.

٢- البار، د.محمد علي، الخمر بين الطب والفقه، دار الشروق، بلا تاريخ، ص٤٩-٥٠.

٣- البار، محمد علي، الخمر بين الطب والفقه، ص٤٩-١٣٢. أبو غزالة، محمد حلمي، يسألونك عن الخمر دار الأرقم، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، ص٢٦ وما بعدها. سيد سابق، فقه السنة ٣١٧/٢. الشريف، د. عدنان، من علم الطب القرآني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص٢٢٧ وما بعدها.

٤- الرازي، التفسير الكبير ٣٧/٦.

وذكر ابن أبي الدنيا أنه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول: الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً.[1] فانظر ما أثرها في الإنسان، وكيف تسلبه عقله، فيجعل الحقّ باطلاً، والباطل حقّاً. وصدق الشاعر حين سمّاها إثماً فأنشد:

شربت الإثم حتى ضلّ عقلي　　كذاك الإثم يذهب بالعقول[1]

وأمّا المخدرات فبالإضافة إلى أضرارها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية فإنّ لها أضراراً صحية خطيرة تتمثّل فيما يأتي:

١. التأثير على الجهاز التنفسي، حيث يصاب المتعاطي بالنزلات الشعبية والرئوية وكذلك بالدرن الرئوي وانتفاخ الرئة والسرطان الشعبي.

٢. تعاطي المخدرات يزيد من سرعة دقات القلب، ويتسبّب بالأنيميا الحادّة وخفض ضغط الدم،كما تؤثّر على كريات الدم البيضاء التي تحمى الجسم من الأمراض.

٣. يعاني متعاطي المخدّرات من فقدان الشهية وسوء الهضم، والشعور بالتخمة خاصّة إذا كان التعاطي عن طريق الأكل، مما ينتج عنه نوبات من الإسهال والإمساك، كما تحدث القرح المعدية والمعوية، ويصاب الجسم بأنواع من السرطان لتأثيرها على النسيج الليفي لمختلف أجهزة الهضم.

٤. تأثير المخدرات على الناحية الجنسية، فقد أيدت الدراسات والأبحاث أنّ متعاطي المخدرات من الرجال تضعف عندهم القدرة الجنسية، وتصيب المرأة بالبرود الجنسي.

٥. التأثير على المرأة وجنينها، وهناك أدلة قوية على ذلك. فالأمهات اللاتي يتعاطين المخدرات يتسببن في توافر الظروف لإعاقة الجنين بدنياً أو عقلياً.

٦. الأمراض النفسية كالقلق والاكتئاب النفسي المزمن وفقدان الذاكرة.

٧. تؤدّي المخدرات إلى الخمول الحركي لدي متعاطيها.

٨. ارتعاشات عضلية في الجسم مع إحساس بالسخونة في الرأس والبرودة في الأطراف.

٩. احمرار في العين مع دوران وطنين في الأذن، وجفاف والتهاب بالحلق والسعال.

١٠. تدهور في الصحة العامّة وذبول للحيوية والنشاط.[2]

هذه جملة من أضرار الخبائث التي نهى الله تعالى عنها، فهو أعلم بما ينفعنا وما يضرنا، وهو أعلم بما يصلحنا وما يفسدنا، فيا له من تشريع عظيم ! ويا لها من رسالة عظيمة ! لو استقام الناس عليها لسعدوا في دنياهم وآخرتهم.

١- الرازي، التفسير الكبير ٦/ ٤٠. الهيثمي، الزواجر ٢/٨٠٣.

٢- غنيم، أضرار المخدرات ص٦٧. سيد سابق، فقه السنة ٣٢٩/٢. علوان، تربية الأولاد في الإسلام ٢٣٠/١.

الوسيلة العاشرة: ومن وسائل معالجة التلوث الغذائي إزالة الملوّثات الغذائية أو تقليل آثارها عن طريق تحسين الصحة الشخصية.[١]

الوسيلة الحادية عشرة: استخدام مواسير المياه المأمونة والصحية وتغييرها باستمرار.[٢]

الوسيلة الثانية عشرة: المحافظة على صحة الحيوان وتطعيمه وعزل المريض منه أو التخلّص منه.[٣] ولهذا جاء النهي النبوي الشريف عن اختلاط الحيوان المريض بالحيوان السليم في قوله عليه الصلاة والسلام: «لا عدوى»[٤] يعني بذلك: لا يعدو داء ذي الداء إلى غيره بدنوه منه وقربه.[٥] كما حثّ النبي على اختيار الحيوان السليم الصحيح من الأمراض في الأضاحي والهدي وغير ذلك.

عن أبي الضحاك عبيد بن فيروز قال: قلت للبراء حدثني عما نهى عنه رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– من الأضاحي. قال: قام رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– ويدي أقصر من يده فقال: «أربع لا يجزن، العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تُنْقِي[٦]».[٧]

الوسيلة الثالثة عشرة: استخدام البسترة[٨] كوسيلة تكنولوجية حديثة لمنع تلوّث الغذاء.[٩]

المطلب الرابع – التلوّث الصناعي:

وهو الذي يتشكّل نتيجة لعبث الإنسان في البيئة، وهو ناتج عن المخلّفات الصناعية، ووسائل المواصلات، والنفايات البشرية وغيرها. ويتمثّل في الفضلات الصلبة والسائلة التي تنتج عن النشاط الصناعي والتجاري والزراعي من زيوت ودهون صناعية ومواد كيماوية ومياه عادمة وبترول متسرّب، وهذه المخلّفات تؤدّي إلى انتشار الروائح الكريهة، وتوالد الحشرات والقوارض والحيوانات الضالّة وتكاثرها، وهذا بدوره يؤدّي إلى تلوّث التربة والهواء والغذاء والمياه الجوفية والسطحية، حيث يحتوي الماء الخارج من المصانع على مواد معلّقة ومواد صلبة ذاتية أو كيميائيات وأحماض ومعادن ثقيلة وزيوت وأصباغ تسمم الماء، كما تؤدّي المخلّفات إلى انتشار البكتيريا والفيروسات والطفيليات الضارّة، وتلوّث الأطعمة[١٠]

١– شرف، طريح، التلوث البيئي حاضره ومستقبله ص١٤٩.

٢– المرجع السابق ص١٤٩.

٣– المرجع نفسه ص١٤٩.

٤– سبق ذكر الحديث وتخريجه.

٥– الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تهذيب الآثار، بلا طبعة، ١٥/٤.

٦– لا تُنْقي: أي التي لا مخ لها لضعفها وهُزالها. ابن منظور، لسان العرب ٣٣٨/١٥.

٧– رواه ابن ماجه، كتاب الأضاحي، باب مَا يُكْرَهُ أَنْ يُضَحَّى بِهِ، سنن ابن ماجه ٤٣٦/٩، حديث رقم (٣٢٦٤). قال الألباني: صحيح. الألباني، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ١٤٤/٧.

٨– البسترة: هي تعريض كل قطرة من الحليب لحرارة مرتفعة لمدة معينة ثم تبريدها فجائياً. حميض، محمد على وآخرون، حفظ وتصنيع الأغذية، المطبعة العربية الحديثة، فلسطين، ط ٢٠٠٠، ص ٧٤٨.

٩– شرف، طريح، التلوث البيئي حاضره ومستقبله ص١٤٩.

١٠– ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٦٨٩– ٦٩٠ . صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص ١٧٠. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص ٤١٩. عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلويث البيئة ص٩٧.

موقف الإسلام من التلوّث الصناعي: موقف الإسلام من هذا التلوّث واضح بيّن، فقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن التبوّل في المياه كما ذكرت سابقاً، وإذا كان هذا في البول فكيف الأمر بالنفايات السامّة الخطيرة التي هي أشدّ ضرراً من البول والغائط ؟ وبناء عليه يحرم شرعاً إلقاء هذه النفايات في المياه الصالحة أو التربة الزراعية كما تفعل بعض الدول الصناعية، ولا بد من التخلّص منها بطريقة لا تترك ضرراً على البيئة وما فيها من ماء وغذاء وهواء؛ لأنّه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام، والضرر يزال.

إنّ التخلّص من هذه النفايات ومعالجتها دون إلحاق الضرر بمصالح الناس واجب شرعي، لأنّ المحافظة على البيئة واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإيذاء المسلمين حرام، والوسيلة إلى الحرام حرام. ومن الأدلّة على ذلك ما يأتي:

١. عن أبي هريرة –رضي **الله** عنه– قال: قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا **الله** وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١] ولا شك أنّ هذه النفايات من أشد أنواع الأذى والضّرر، فوجب إزالتها والتخلّص منها بطريقة علمية صحيحة لا تشكّل خطراً على البيئة.

٢. وعن أبي ذر قال: قال عليه الصلاة والسلام: «عرضت عليّ أعمال أمتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها إماطة الأذى عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة».[٢] فإذا كان عدم دفن النخاعة وعدم التخلّص منها بطريقة لا تؤذي المسلمين من مساوىء الأعمال فكيف بعدم دفن النفايات السامّة وعدم التخلّص منها ؟ إنه بلا ريب أكثر سوءاً عند **الله** تعالى ورسوله والمؤمنين.

٣. وعن أبي هريرة أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «اتقوا اللّعانين». قالوا: وما اللّعانان يا رسول **الله** ؟ قال: «الذي يتخلّى في طريق الناس أو في ظلهم».[٣] الذي يتخلّى في طريق الناس معناه: يتغوّط في موضع يمر به الناس، وإنما نهى عنه في الظل والطريق لما فيه من إيذاء المسلمين بتنجيس من يمر به ونتنه واستقذاره.[٤] فإذا كان التغوّط في الطريق وظل الأشجار التي يستريح الناس تحتها، ويستظلّون بظلّها يوجب اللعنة على فاعله فكيف حال من يلقي أطناناً من النفايات السامّة في مياه البحار والأنهار وغيرها من الأماكن التي ينتفع بها الناس شرباً وطعمة وزراعة واستجماماً ؟

علاج التلوّث الصناعي: لعلاج هذا النوع من التلوّث يمكن استخدام الوسائل التالية:

أولاً.التخلّص من النفايات الصلبة بطرق علمية صحيحة لا تترك أثراً سلبياً على البيئة. فهناك طرق حديثة تم ابتكارها للتقليل من خطر هذه النفايات تتناسب مع طبيعتها:

أ. **إيجاد البدائل**: فبالنسبة للنفايات المنزلية والصلبة استطاع العلم إيجاد أنواع من البلاستيك تتحلّل بالأشعة، وأخرى بالضوء، وأخرى بالماء، ولعلّ حل هذه المعضلات يكون بالاقتصاد في استعمالها، ومحاولة إيجاد بدائل لها قدر الإمكان أو إعادة استخدامها للحد من تراكمها.[٥]

بدران، عبد الحكيم، أضواء على البيئة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٢، ص٤٩. عبد الحميد هموم الإنسان والبيئة ص ٩٤.

١– سبق تخريجه.

٢– سبق تخريجه.

٣– رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلّي في الطرق والظلال. صحيح مسلم ٢٢٦/١. حديث رقم (٢٦٩).

٤– شرح النووي على مسلم ١٦٢/٣.

٥– علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٨ .

ب.تكنولوجيا الحرق: والمقصود هنا الحرق في أفران خاصّة وليس الحرق الظاهري المكشوف لما له من أضرار وخيمة على البيئة، وهذه الطريقة تفيد في التخلّص من النفايات بطريقة سريعة غير مكلفة،لا تسبب تلوثاً للبيئة، حيث يمكن بهذه الطريقة إنتاج الطاقة بعملية تحويل النفايات إلى طاقة.[1] وفي اليابان وبالتحديد في مدينة «اوزاكا» أقيمت محرقة للقمامة ذات مقاييس مضبوطة من ناحية تلوّث الهواء، ويستفاد من الحرارة الناتجة من الفضلات في توليد الكهرباء[2] وقد تم تطوير جهاز يقوم بحرق الفضلات الخاصّة بـ ٧٠٠ ألف نسمة، ويباع البخار الناتج عن عملية الاحتراق إلى بعض الهيئات لاستخدامه في التدفئة، ويباع الرماد كسماد، وتباع الخردة المنصهرة كمواد خام، حصل هذا في مدينة «دوسلدورف» لؤلؤة نهر الراين في غرب ألمانيا حيث تزهو «دوسلدورف» بجمالها وتتفاخر بغناها، احتلت هذه المدينة المرتبة الأولى على مستوى ألمانيا والسادسة على مستوى العالم في قائمة أفضل المدن من حيث جودة المعيشة، وذلك وفقاً للمسح الذي أجرته مؤسسة «ميرسر» عام ٢٠٠٩م.[3]

جـ.تدوير الصناعات: وهو يفيد في التخلّص منها ودعم الاقتصاد[4] الوطني، فيمكن فصل المواد عن بعضها كالزجاج والورق، وهذه الطريقة مستخدمة في كثير من الدول الأوروبية حيث يوضع برميل للنفايات الزجاجية وآخر للورقية ثمّ يعاد تصنيعها.[5] والإطارات المطاطية يمكن إعادة تصنيعها واستعمالها من جديد، والعاطلة منها كلياً يمكن تقطيعها إلى أجزاء صغيرة تدخل في صناعة البسط، كما تستخدم لأغراض زراعية حيث تصنع على أشكال جميلة ثمّ يوضع فيها التراب، وتزرع فيها النباتات بعد دهنها وتلوينها.[6] أمّا السيارات الخردة فيتم فصل ما يمكن إعادة استعماله من قطع الغيار والباقي يصهر ويعاد استعماله.[7]

د.الطمر وإعادة التجميل: في ألمانيا تمّ تشكيل حدائق بأشكال هندسية فوق أرض كانت مكاناً للقمامة، حيث طمرت على أشكال سفوح وهضاب، وزرعت بالأزهار والأشجار، وتحوّلت إلى حدائق غنّاء يتنزّه فيها الناس.[8]

هـ.الشفط من المنازل: وصمّم مهندسون في السويد شبكة لامتصاص النفايات من داخل البيوت كما هي الحال في مجاري الصرف الصحي، حيث توضع القمامة في فتحة خاصّة في البيوت، ويتم سحبها بالشفط نحو مستودع مركزي، حيث تحرق في أفران وينتج عنها الغازات والزيوت.[9]

١- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٩ . شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٢٨. عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، طبعة ٢٠١٠، عمان، الأردن، ص١٢١.
٢- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٩ .
٣- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٤٠ .الموقع الالكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki .
٤- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٢٨. علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٩.
٥- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٤٠ .
٦- المرجع السابق ص ٢٤٠ .
٧- نفس المرجع ص ٢٤٠ .
٨- نفس المرجع ص ٢٣٩ .
٩- نفس المرجع ص ٢٣٩ .

ثانياً.تصميم المصانع الحديثة على أساس النظافة الصناعية بحيث تنتج مزيداً من السلع وقليلاً من المخلّفات والنفايات، أو مخلّفات يمكن إعادة استخدامها في عمليات إنتاجية أخرى.[١]

ثالثاً.استخدام طريقة الطمر الصحي في مكان النفايات الصناعية، وتجنّب إلقائها إلاّ في الأماكن المخصّصة لها.[٢] أو معالجتها كيميائياً أو حيوياً لتقليل نسبة المواد السامّة فيها، وليس الحل بنقلها للدول النامية ودفنها فيها كما تفعل أوروبا.[٣]

رابعاً.إلزام شركات التعدين أن تعيد الأتربة على شكل منحدرات بسيطة ومساطب لتضمن عدم انهيارها، وزرعها بالنباتات والأشجار لتثبيت التربة، وخاصّة تلك القريبة من المناجم والمحاجر.[٤]

خامساً.التخلّص من الأحجار الكبيرة في المحاجر والمناجم، والتي تلوّث منظر البيئة، وتخرّب جمالها الطبيعي، وتلوّث الماء والهواء والتربة، وقد تنهار على الناس حال حدوث زلازل وبراكين[٥] ويكون ذلك بإعادة ترتيبها وصفّها أو هرسها للاستفادة منها في تعبيد الشوارع والطرقات.

المطلب الخامس ـ التلوّث النّفطي:

وهو من أخطر أنواع التلوّثات التي ابتلي فيها الناس في هذا الزمان؛ لما له من تأثير سيء على البشر والحيوان والنبات وغير ذلك، ومن أسبابه ما يأتي:

١. التسرّب النّفطي: حيث تتسرب زيوت النفط ومشتقاته إلى المياه نتيجة انفجار ناقلات النفط التي تمخر عباب البحار والمحيطات،أو بسبب غرق بعض البواخر،أو تنظيف خزاناتها، وطرح مياه الغسيل المشبع بالبترول في البحار.[٦] ومن الحوادث والكوارث التي أدّت إلى تلوّث النفط حادثة الناقلة العملاقة «توری كاينون» التي كانت تحمل مائة ألف طن من البترول، حيث ارتطمت بالصخور، فانشطرت إلى نصفين بتاريخ ١٨/ مارس/١٩٦٧م، وتدفّقت حمولتها إلى الماء مكوّنة واحدة من أخطر عمليات التلوّث المائي بالبترول في العالم.[٧] وكذلك ما حدث في كارثة خليج «ألاسكا» عام ١٩٨٩م حيث تدفّق ٢٤٠ ألف برميل من النفط مسبّبة بذلك أسوأ كارثة بحرية.[٨]

٢. قذف المحروقات والمنتجات الصناعية ومنتجات مصافي النفط في المياه، ممّا يؤدّي إلى إلحاق الضرر بالأحياء المائية.[٩]

٣. حفر آبار البترول على الشواطئ أو تحت سطح الماء.[١٠] حيث يؤدّي ذلك إلى تلوّث الأماكن القريبة بفضلات هذه الآبار ومنتجاتها.

١- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٩٣.
٢- المرجع السابق ص ٢٩٤.
٣- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٣٧.
٤- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص ٢٩٤.
٥- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٥٢. أبو صالح، محمد ذياب، «المحاجر وأثرها في منطقة الخليل»، بحث منشور في كتاب أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني حول البيئة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩، ص ١٠٦.
٦- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص ٢٩٣.
٧- عامر، محمد أمين وآخرون، تلوّث البيئة مشكلة العصرص٢٣٠.
٨- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٣.
٩- السعدي، علم البيئة ص ٣٦٦.
١٠- عامر، محمد أمين وآخرون، تلوّث البيئة مشكلة العصرص٢٣٠.

٤. وقد ينشأ هذا التلوّث بسبب استهداف أنابيب وخزانات وآبار النفط وناقلاته في الحروب، أو لجوء الجيوش العسكرية إلى تعمّد حرق هذه الآبار؛ لإعاقة تقدّم العدو، أو تأمين انسحابها كما فعل الجيش العراقي عند انسحابه من الكويت في حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١م، حيث دمرت القوات العراقية حوالي ٧٥٠ بئراً نفطية في الكويت أي ما نسبته ٨٥٪ من الآبار الكويتية، وهذا يؤدي إلى انسكاب وحرق ملايين البراميل من النفط الخام، وتصاعد الأبخرة الكيماوية وسحابات الدخان المحمّلة بكثير من الملوّثات الخطرة.[١] أمّا في نزاعات كولومبيا، فكانت هناك أمثلة صارخة على الانتهاكات البيئية، حيث دمّرت أنابيب النفط، وتم سكب ملايين البراميل من النفط الخام في الأنهار، وتلوّثت مياه الشرب ومياه الري، ونفقت الأسماك والأحياء الأخرى، واحترقت مساحات كبيرة من الغابات، وتلوّث الهواء الجوي، وقدّرت قيمة النفط المنسكب في أنهار كولومبيا بحوالي ٢٦ مليون دولار أميركي، وحيث إن الأضرار البيئية لا تعترف بالحدود الدولية، فقد تسلّل التلوث النفطي إلى أنهار فنزويلا حيث تواجه الحكومة هناك صعوبات في آلية التعامل مع التلوث النفطي.[٢]

وفي الحرب العالمية الثانية قامت القوات الأمريكية بإغراق ناقلات البترول الداعمة للقوات اليابانية، حيث أغرقت ما يقرب من ١٩٨٠ سفينة كانت تحمل على متنها ما يقرب من مليوني طن من النفط.[٣]



صورة تظهر التلوّث البيئي الناشىء عن حرق آبار النفط

١- ذياب، عماد محمد، البيئة حمايتها تلوثها مخاطرها، ص ٥١. هيكل، محمد حسنين، حرب الخليج، مركز الأهرام، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٦١.

٢- مقالة بعنوان: «البيئة وصراعات القوى». على الموقع التالي: .http://www.greenline.com.kw/env&pol/015.asp

٣- خضر، هشام، الحرب العالمية الثانية، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠١٠م، ص ٥٤٩.

آثار التلوّث النّفطي:

للتلوّث النفطي آثار وخيمة على البيئة المحيطة، ولا يقتصر أثره على الجماد، بل يتعدّاه إلى كل مخلوق على وجه الأرض، ومن هذه الآثار ما يأتي:

١. التلوّث بالنفط يعرّض آلاف من الحيوانات والطيور لخطر الانقراض، وكذلك أنواع عديدة من النباتات.[١]

٢. أثّر التلوّث النفطي الناتج عن حرب الخليج الأولى والثانية على موارد دول الخليج الطبيعية والنظام الأيكولوجي فيها.[٢] ومن ذلك:

أ. تلوّث الجو بآلاف الأطنان من السناج الأسود المحمول على غاز ثاني أكسيد الكربون مصحوباً بغازات أخرى سامة وضارة بالصحة.

ب. ارتفاع نسبة أمراض الحنجرة والصدر والجهاز التنفسي والعيون خاصّة عند الأطفال.

ج. الخسارة الاقتصادية الكويتية من عمليات إطفاء الحرائق.

د. سقوط أمطار سوداء لم تعرف سابقاً في إيران والعراق ودولة الإمارات العربية المتحدة وذلك في غير موسم الأمطار.[٣]

هـ. تكثف الأمطار الحمضية.

٣. تلويث مياه الشرب ومياه الري والبحار والأنهار، ذلك أن البترول مادة غنية بالعناصر والمركبات، وكثير منها يذوب في الماء، وبعضها يتحلّل في ضوء الشمس ويتحوّل إلى مواد سامة،ممّا يؤدّي إلى نفوق الأسماك والأحياء البحرية الأخرى، واحتراق مساحات كبيرة من الغابات، وتلوّث الهواء الجوي بسبب تصاعد الأبخرة الكيماوية وسحابات الدخان المحمّلة بكثير من الملوّثات الخطرة.[٤]



صورة تظهر أثر التلوّث النفطي على الطيور

١- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٦٣.
٢- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ١٧.
٣- القاسمي، خالد بن محمد. البيعي، وجيه جميل، أمن وحماية البيئة، دار الثقافة العربية، الشارقة، ١٩٩٧، ص١٢٩-١٣٠.
٤- ذياب، عماد محمد، البيئة حمايتها تلوّثها مخاطرها، ص ٥١.

علاج التلوّث النّفطي:

يكافح الخبراء التلوّث البحري بالنفط عن طريق وسائل تكنولوجية حديثة كالحرق، أو إغراقه في البحر، واستخدام المنظّفات الصناعية وغير ذلك.[1] إلاّ أنّ استخدام المواد الكيماوية في تجميع النفط قد يزيد المشكلة سوءاً؛ لأنّه سيساهم في تسمّم مياهه المغلقة، والضرر لا يزال بمثله، وتضم المواد الكيماوية السامّة عشرين نوعاً، وآثار هذه المواد على البيئة البحرية أسوأ من آثار النفط عليها، فالأفضل استعمال الطرق الميكانيكية.

ومن الطرق الأخرى التي ابتكرها العلم ويمكن بها مكافحة التلوّث النفطي:

١. استخدام الحواجز الطافية لتسييج البقعة النفطية للحيلولة دون انتشار النفط المكوّن منها.

٢. استعمال المواد الماصّة التي تعرقل حركة البقعة النفطية جزئياً مثل الصوف الزجاجي والمايكا، وتُرشّ هذه المواد من قوارب صغيرة، ثمّ يتم جمعها بواسطة شبكات دقيقة، وتنقل إلى حيث يمكن التخلّص منها إمّا حرقاً في أفران خاصّة، أو يتم استخلاص النفط الموجود فيها ويعاد استعمالها من جديد.

٣. استعمال طريقة المصّ بواسطة أجهزة خاصّة تمصّ البقع النفطية مثل المكانس الكهربائية، وبذلك يتمكّن من فصل النفط عن الماء.

٤. استعمال أجهزة تقوم بقشط طبقة النفط السميكة الطافية فوق سطح المياه، ويتم تجميع النفط المقشوط وسحبه باستخدام المضخّات.

٥. استخدام أجهزة الحزام الناقل، وذلك بتمرير حزام معدني عبر طبقة النفط اللزجة، حيث يلتصق النفط بالحزام، ويمكن التخلّص منه لاحقاً.

٦. ويمكن مكافحة التلوّث النفطي بواسطة البكتيريا، فقد وجد بعض العلماء أنّ عدداً من الأحياء الدقيقة المجهرية التي تستطيع تحليل المواد النفطية في الوقت نفسه تستطيع تحويل البُقع النفطية إلى قطرات دقيقة جداً في الماء، وقد استخدمت بعض شركات البترول والمختبرات الكيماوية المتخصّصة في بعض البلاد الغربية هذه الأحياء المجهرية على نطاق واسع في معالجة البقع النفطية في البحار والمحيطات التي تَسرَّب النفط إليها ولكن يبقى لهذه الطريقة سلبياتها أيضاً، والتي منها بطء فعاليتها في حالة الكوارث النفطية الكبيرة التي تغطّي مساحات مائية واسعة، كما أنّ لهذه الأحياء آثاراً جانبية ضارة تتمثّل في استهلاكها لكميات كبيرة من الأوكسجين في أثناء قيامها بعملية التحليل، وهو ما يؤدّي إلى اختناق الأحياء المائية الأخرى الموجودة تحت البقع النفطية خصوصاً الأحياء المائية الصغيرة جداً، والتي هي طعمة سائغة للحيوانات الكبيرة في البحر مثل الحيتان والأسماك وما أشبه ذلك.

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٣. شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٦١. عامر، محمد أمين، سليمان، مصطفى محمود، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص ٢٣٠-٢٣١.

٧. يمكن استخدام البكتيريا في مكافحة التلوّث النفطي للتربة، مثل استعمالها في البقع النفطية البحرية، حيث تستخدم أنواع خاصة من البكتيريا القادرة على أكسدة النفط وتحليله، وتكون البكتيريا في شكل مستحضر تضاف إليه توليفة من الأملاح المعدنية كغذاء، ويُرشّ هذا المستحضر بواسطة الطائرات المروحية أو سائر الوسائل، وذلك فوق التربة الملوّثة بالبقعة النفطية. وهناك تجارب في هذا المجال أُجريت في روسيا حيث استخدمت نحو غرامين من هذا المستحضر لمعالجة مساحة ملوّثة بالنفط بلغت مساحتها (ألف كيلومتر مربع)، ويمكن للبكتريا المذكورة في هذا المستحضر أن تلتهم ما يربو عن عشرين عنصراً من العناصر النفطية بما في ذلك المواد الإسفلتية.[١]

موقف الإسلام من التلوّث النّفطي:

إنّ النفط نعمة عظيمة من نعم الله على الناس، وهو يدرّ على الدول المنتجة له أرباحاً طائلة ساعدت في نمو هذه الدول اقتصادياً وثقافياً وغير ذلك، ووفّرت لشعوبها الرخاء والرفاهية وفرص العمل والحياة الرغيدة، لكنّ أطماع الغرب في خيرات المسلمين حوّل هذه النعمة إلى نقمة، فاشتعلت في منطقتنا الحرب تلو الأخرى للسيطرة والهيمنة على هذا المنتج الثمين، وهذه الحروب لا يلتزم صانعوها بقانون دولي أو اتفاقية أممية، ولهذا كانت نتائجها كارثية على الإنسان والبيئة.

لقد وضع الإسلام للحرب قواعد وأحكام تساهم في حفظ البيئة ومواردها الهامة من حيوان ونبات ونفط وغير ذلك، وأوجب على المسلمين الالتزام بهذه القواعد الأخلاقية، إظهاراً لسماحة الإسلام من جهة، وحفاظاً على البيئة ومواردها من جهة أخرى، فلا ينبغي لنا أن ندخل عناصر البيئة في أتون هذه الحروب، لأنّ الخسارة ستصيب الجميع، ولن يقتصر تأثير هذه الحرب على الدولة المعتدى عليها أو المهزومة، بدليل أنّ استخدام أمريكا لليورانيوم المخضب في حروب الخليج أثّر على جنودها، فقد أصيب كثير منهم بأمراض السرطان وغيرها، حيث اكتشفت هذه الحالات بعد عودتهم إلى ديارهم، وهم يطالبون الدولة بحقوقهم المالية وغير المالية، بل إنّهم يكلّفون الدولة أموالاً قد تصل تكاليفها مع الأيام إلى أكثر من تكاليف الحرب ذاتها.

إن ّفلسفة الإسلام في دوافع الحروب وأسبابها تختلف اختلافاً كلياً عن فلسفة القوى الأخرى، فليس الهدف من القتال في الإسلام السيطرة الاقتصادية أو السياسية، ولا التدمير وإزهاق الأرواح والأنفس، ولا التسلّط القائم على النفع الذاتي والاستبداد والانتقام، بل إن الهدف منها هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومد يد العون لهم لاختيار الدين الحق الذي فيه نجاتهم؛ ولهذا كانت حروب المسلمين رحمة كلّها وعدل، فهي تمنع كل إجراء من شأنه أن يلحق الضرر بهذه الأرض الطيبة التي تعجّ بالخيرات والنعم، فحفاظاً على البيئة نهى الإسلام عن تقطيع الأشجار وحرقها وإتلاف الحيوان وتدمير العمران إلاّ في حالات خاصّة، ويدخل في عموم هذا النهي تدمير

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٣. السعدي، علم البيئة ص ٣٦٧.

آبار النفط وحرقها، فقد جاء في حديث أبي بكر ووصيته للمقاتلين: «ولا تقطعنّ شجراً مثمراً، ولا تخربنّ عامراً، ولا تعقرنّ شاة ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقنّ نخلاً ولا تغرقنّه».[١] ولأنّ في القطع والتحريق إتلافاً محضاً، فلم يجز.[٢] وقد سار القانون الدولي على هذا النهج، لكنّ الدول التي وضعته هي أول من خرقته، فقد نصّت المادة الرابعة عشرة من البروتوكول الإضافي الثاني على حماية الأعيان التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة على ما يلي: (يحظر مهاجمة أو تدمير أو نقل أو تعطيل الأعيان والمواد التي لا غنى عنها لبقاء السكان المدنيين على قيد الحياة ومثالها المواد الغذائية والمناطق الزراعية التي تنتجها والمحاصيل والماشية ومرافق مياه الشرب وشبكاتها وأشغال الري).[٣] ولكنّ هذه الدول الاستكبارية نقضت هذه العهود، وخانت هذه الوعود، فأهلكت بأسلحتها المدمّرة والحارقة الضرع والزّرع، وأحرقت الأخضر واليابس، واستهدفت آبار النفط وخزاناته وناقلاته للضغط على أعدائها ودفعهم إلى الاستسلام.



صورة منصّة نفطية إيرانية في الخليج العربي تحترق

المطلب السادس ـ التلوّث الإشعاعي:

وهو التلّوث الناتج عن تسرب اليورانيوم المشع بسبب انفجار المفاعلات النووية أو استخدام الأسلحة الذرية وغيرها من الأسلحة المحرّمة دولياً، وهذه الإشعاعات تنطلق إلى الهواء، ثمّ تسقط مع الأمطار على الأعشاب، حيث تتناولها الحيوانات، وتصل إلى الإنسان عن طريق استهلاك لحوم

١- سبق تخريجه.
٢- ابن قدامة، المغني٨/٥١٠.
٣- الموقع الالكتروني:www.icrc.org . بعنوان: الملحق "البروتوكول" الثاني الإضافي إلى اتفاقيات جنيف المعقودة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩المتعلق بحماية ضحايا المنازعات المسلحة غير الدولية.

الحيوانات وألبانها، وقد تتسرّب عن طريق المياه أو تدخل عبر الجهاز التنفّسي للإنسان، وتؤثّر هذه الإشعاعات على صحة الإنسان من حيث تساقط الشعر والتهاب الجلد، وتحطيم الخلايا الدموية، وفقر الدم، والسرطانات،كما ثبت تأثيرها على طبقة الأوزون التي تمتص الإشعاعات فوق البنفسجية الضارّة على الكائنات الحية حيث تعمل على تحطّم حزام الأوزون الواقي، ومن شأن الإضرار بطبقة الأوزون أن يؤدّي إلى السرطان، وإصابة العين والجلد، وموت النباتات أو تخفيض إنتاجها.[١] كما يؤدّي إلى حدوث أمراض متعدّدة في الجهاز التنفسي والنزلات الصدرية والأزمات الصدرية وضعف جهاز المناعة عند الإنسان، وحدوث تلف في الحامض النووي (DNA) المسئول عن نقل الصفات الوراثية في الإنسان.[٢] ويقول الخبراء: إنّ الإشعاع النووي الأولي يؤدّي إلى قتل المخلوقات البشرية في بقعة تبلغ مساحتها حوالي خمسة عشر كم٢.[٣] وهذا يعني تدميراً هائلاً للحياة البشرية في المناطق المنكوبة بهذا النوع من الإشعاعات.ومن أبرز الأمثلة على ذلك انفجار مفاعل «تشرنوبيل» الروسي الذي نقل خطره الإشعاعي إلى أراضي الدول الأوروبية ومياهها عن طريق الأمطار، فأثر ذلك على المواد الغذائية النباتية والحيوانية في تلك الدول التي تنبّهت لذلك، وامتنعت عن تناول تلك الأطعمة، وقامت بتصديرها إلى الدول النامية في إفريقيا وآسيا.[٤] وهذا دليل على غياب الحس الأخلاقي والقيمي لدى تلك الدول الرأسمالية التي تفضّل الدولار على النفوس البريئة، فلا تبالي بإزهاقها وقتلها ما دام ذلك يخدم مصالحها الاقتصادية.

وتقوم هذه الدول كذلك بدفن نفاياتها النووية في مدافن سرية في هذه الدول كما فعلت ذلك إسرائيل في موريتانيا، حيث دفنت أطناناً من النفايات السامّة، وجعلت من دول المسلمين مكباً لهذه النفايات الخطرة يساعدها في ذلك بعض الأنظمة الحاكمة الفاسدة.

موقف الإسلام من التلوّث الإشعاعي:

إنّ استخدام مثل هذه الأسلحة لا يجوز شرعاً؛ لما فيها من أضرار هائلة تؤدّي إلى هلاك الأبرياء والمدنيين والعزل الذين لا يشتركون في القتال أصلاً، ثمّ إنّ ضررها لا يقتصر على الإنسان، بل يتعدّاه إلى الحيوان والبنيان والأرض والنبات والهواء والماء وغير ذلك، وفي استخدامها هدر للموارد الطبيعية وتلويث للبيئة، وقد يطول تأثيرها إلى سنوات طوال، ولا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

إنّ تأثير هذه الإشعاعات وخاصّة النووية على البيئة لا ينتهي، وهو كارثي على كل شيء فيها، ولا أدل على ذلك ممّا وقع في مدينتي (هيروشيما وناجازاكي) التي ألقيت عليهما قنبلتان نوويتان عام (١٩٤٥م)، وكانت النتيجة مقتل أكثر من مئة ألف شخص في ثوان معدودة، وتدمير (٧٥٪) من مباني المدينتين، حيث ارتفعت القطاران كأنها لعب أطفال، واحترق الأخضر واليابس فيهما، وما زالت أجزاء من تربة المدينتين لا تنبت شيئاً.[٥]

١- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص ٧٠٨- ٧١٨. صباريني، وآخرون التربية البيئية ص٤٠. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص ٣٩٩. شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص٩٧.

٢- السعود، الإنسان والبيئة ص٧٤. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٩٥.

٣- العلوم والصحة وطرائق تدريسها ص٢٣٢.

٤- عامر، محمد أمين، سليمان، مصطفى محمود، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص١٤.

٥- درويش، د.فوزي، اليابان الدولة الحديثة والدور الأمريكي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٨٤. ربيع وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص ٧٠٨-٧١٨. صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص٤٠. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص ٣٩٩. شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص٩٧. لاوند، رمضان،



صورة القنبلة النووية التي ألقيت على مدينة هيروشيما

أمّا بالنسبة لموقف القانون الدولي من هذه المسألة، فقد نصّت الاتفاقيات الدولية على تحريم صناعة وإنتاج واستخدام هذه الأسلحة؛ لما فيها من أضرار هائلة وخطيرة يشمئز منها الضمير العالمي، فقد نصّت المادة الأولى من اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة (البكتريولوجية) البيولوجية والتكسينية (السامّة) على ما يأتي:

تتعهّد كل دولة من الدول الأطراف في هذه الاتفاقية بأن لا تعمد أبداً في أي ظرف من الظروف إلى استحداث أو إنتاج أو تخزين ما يلي، ولا اقتنائه أو حفظه على أي نحو آخر:

أ. العوامل الجرثومية أو العوامل البيولوجية الأخرى، أو التكسينات أياً كان منشؤها أو أسلوب إنتاجها من الأنواع، وبالكميات التي لا تكون موجهة لأغراض الوقاية أو الحماية أو الأغراض السلمية الأخرى.

ب. الأسلحة أو المعدّات أو وسائل الإيصال الموجّهة لاستعمال تلك العوامل أو التكسينات في الأغراض العدائية أو المنازعات المسلحة.[1]

والجدير بالذكر أنّ بروتوكول جنيف لسنة (١٩٢٥م) الذي صادقت عليه أخيراً مائة وتسع وأربعون دولة، حرّم فقط "الاستعمال الأول" للأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وسمح للبلدان تطوير الأسلحة الكيماوية وتخزينها لأغراض دفاعية، ولم يحرّم القانون الرد بالأسلحة الكيماوية.[2]

الحرب العالمية الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٧٩، ص ٥٨٠.

١- الموقع الالكتروني:www.icrc.org ، تحت عنوان: "اتفاقية حظر استحداث وإنتاج وتخزين الأسلحة(البكتريولوجية) البيولوجية والتكسينية".

٢- برنغل، بيتر، تحت عنوان: «جرائم الحرب، الأسلحة الكيماوية» على الموقع الالكتروني: www.crimesofwar.org.

ومن المعاهدات الدولية التي تحرّم استخدام هذه الأسلحة معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية التي توفّر إطاراً أمنياً جماعياً تتعهّد ضمنه قرابة مائة وتسعين دولة بالتزامات عدم انتشار متبادلة لهذا النوع من الأسلحة.[١] لكنّ العالم الذي أبرم هذه الاتفاقات لم يلتزم بها، وبقيت حبراً على ورق، فقد أكّدت مؤسسة «الضمير» لحقوق الإنسان أنّ قوات الاحتلال الإسرائيلي ألحقت أضراراً شاملة وخطيرة بالبيئة الفلسطينية خلال عدوانها الأخير على قطاع غزة، مؤكّدة استخدام مختلف أنواع الأسلحة الكيماوية والمشعّة والمحرّمة دولياً ضد المدنيين، مثل الفوسفور الأبيض واليورانيوم المخضّب والعناصر المشعّة والأسلحة الغريبة التي تستخدم لأول مرّة وتجرّب على المواطنين المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين.[٢]

المطلب السابع- التلوّث الضّوضائي أو السّمعي:

سأتحدّث في هذا الباب عن نوع من التلوّث المعنوي الذي يعيش معه الإنسان قهراً، وهو التلوث الناشئ عن الصخب والضجيج والأصوات المرتفعة المزعجة؛ نتيجة لانتشار ورشات العمل، والآلات الصناعية والزراعية، وأصوات السيارات والطائرات، والقنابل والانفجارات الضخمة التي تحدث ذبذبات تزيد على المعدل الطبيعي المسموح للأذن التقاطه وتوصيله إلى الجهاز العصبي.[٣]

ويقصد بالتلوّث السمعي: مجموعة الأصوات التي تتجاوز في مستواها المستوى المقبول غير الضارّ بالإنسان.[٤] حيث يكون الصوت مسموعاً عند الإنسان إذا كانت شدته عشرين (ديسيبل[٥] أمّا أقصى شدّة صوت يمكن لأذن الإنسان أن تسمعه دون أن تحدث ألماً في الأذنين فهو مائة وعشرين (ديسيبل). وأوضحت بعض الدراسات أنّ الأصوات التي تفوق في شدّتها ستين (ديسيبل) تدخل ضمن دائرة التلوّث السمعي الضارّ بالإنسان.[٦] كما أنها تؤدي إلى تناقص قدرة الكثيرين على السمع في الوقت الحاضر.[٧]

وقد كثر الكلام في الوقت الحاضر عن التلوّث السمعي وما يسببه للإنسان من أضرار على صحته الفسيولوجية والعصبية والنفسية والذهنية أثبتتها عديد من الدراسات العلمية المعاصرة، وما يسببه من أمراض تدمّر مستقبله، ومن ذلك التوتّر العصبي، وحدّة الغضب، وتغير نبضات القلب، وصعوبة التنفس، وارتفاع ضغط الدم، وتقلّص العضلات والارتباك الهضمي، والغثيان،

١- جاكي وولتون ساندرز، مقالة بعنوان: «كيف نعزّز معاهدة الحد من انتشار الأسلحة النووية». على الموقع الالكتروني:http//:usinfo.state.org .

٢- مؤسسة الضمير، مقالة بعنوان: «الاحتلال استخدم أسلحة كيماوية ومشعة دمّرت عناصر البيئة الفلسطينية لأجيال مقبلة". على الموقع الالكتروني:http://www.alquds.com/node.

٣- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٧٠٢- ٧٠٥. صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص١٦٦. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص٣٩٨. شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة ص١٠٢. السعود، الإنسان والبيئة ص١١٣. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٤٤.

٤- السعود، الإنسان والبيئة ص١١١.

٥- ديسيبل: وحدة لقياس شدة الصوت ابتكرها العالم الفيزيائي الكسندر كراهام بيل. المرجع السابق ص١١١.

٦- السعود، الإنسان والبيئة ص١١١. العلوم والصحة وطرائق تدريسها ١٦٣. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٨.

٧- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص١٦٣.

والشعور بالدوران والصداع وعدم الاتزان، وزوغان الرؤية.[١] قال الإمام الرازي: (رفع الصوت يؤذي السامع، ويقرع الصماخ بقوّة، وربما يخرق الغشاء الذي داخل الأذن).[٢]

كما أنّ لشدّة الصوت آثاراً نفسية كالشعور بالضيق، والانزعاج، وفتور الإحساس والأرق في النوم، وغير ذلك.[٣]

وقد أثبت العلم الحديث تضرّر حواس الإنسان بالصوت المرتفع، وما شابه ذلك من منبهات السيارات وأجهزة الكاسيت، والآلات الموسيقية الصاخبة، وإطلاق النار في الأعراس والمناسبات، وإطلاق الألعاب النارية والمفرقعات، حيث أثبتت الدراسات العلمية أنّ ظاهرة المفرقعات النارية التي تزايدت في الآونة الأخيرة تؤثّر سلباً على صحة الصغار والكبار. وقال استشاري أمراض القلب والشرايين الدكتور"فخري العكور": إنّ هذه الظاهرة غير الحضارية والممنوعة في كثير من دول العالم تعمل على إيذاء صحة البشر نتيجة إحداثها لأصوات مرعبة ومفاجئة تسبب الخوف والفزع، ممّا يؤدّي إلى تسارع في دقّات القلب، وارتفاع في الضغط الشرياني، ومشكلات في الأذن والسمع، وحدوث سلس بولي عند الأطفال. وأضاف أنّ هذه الظاهرة تشكّل خطراً على النساء الحوامل خاصّة في الأشهر الأولى والأخيرة من الحمل، الأمر الذي قد يؤدّي إلى حدوث مضاعفات تهدّد حياة الأم والطفل، وأكّد أنّ الدراسات أثبتت أنّ هناك مخاوف من حدوث مرض السكري عند بعض الأشخاص ممّن لديهم استعداد لذلك، إضافة إلى أنّ هذه الأصوات الضخمة تسبب القلق واضطراب النوم خاصّة عند الأطفال، وبيّن أنّ المفرقعات تحدث تلوثاً بيئياً كبيراً نتيجة لتصاعد كميات كبيرة من الدخان الذي يحتوي على أكاسيد الكربون وعناصر كيماوية خطيرة على صحة الإنسان.[٤]

ولا يقتصر تأثير التلوّث الضّوضائي على الإنسان، بل يتعدّاه إلى الحيوان، حيث تنمو الحيوانات بسببه كئيبة غير قادرة على الاستجابة، ويؤثّر على مزارع الحيوانات من عمليات وضع البيض وعملية التزاوج.[٥]

موقف الإسلام من التلوّث الضوضائي:

نهى الإسلام عن التلوّث السمعي والبصري والعصبي التي تسببه الأصوات المرتفعة والضجيج اليومي، وشرع من التشريعات ما يمكن الإفادة منها في وضع خطة علاجية فعالة للقضاء على هذه الظاهرة أو التخفيف منها قدر المستطاع، ومن ذلك ما يأتي:

١- ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٧٠٢- ٧٠٥. صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص١٦٧. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص ٣٩٨. الريسوني، المحافظة على البيئة ص ١٤٢. السعود، الإنسان والبيئة ص١١١-١١٦.

٢- الرازي، التفسير الكبير ١٣٢/٢٥.

٣- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٤٣. ربيع، وآخرون، الصحة العامة وحماية البيئة ص٧٠٢- ٧٠٥ .صباريني، وآخرون، التربية البيئية ص١٦٧. الديسي، علم البيئة والعلاقات الحيوية ص٣٩٨. الريسوني، المحافظة على البيئة ص ١٤٢. السعود، الإنسان والبيئة ص١١١-١١٦. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٨.

٤- مقالة بعنوان: «أطباء القلب يحذّرون من خطورة استخدام المفرقعات في الأعراس». على الموقع الالكتروني: http://bagdady.com/vb/showthread.php?t=٣٢٨٧٥. ٢٨ /آذار (مارس) ٢٠٠٩.

٥- علياء بوران، علم البيئة ص٢٤١.

١. حثّ المسلم على تخفيض صوته على قدر السامع خوفاً من إيذائه، وهناك كثير من الآيات القرآنية والنصوص النبوية التي تحث المسلم على هذا الخلق الحسن أذكر منها:

أ. قال تعالى: «وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ».[١] أي أقبح الأصوات صوت الحمير، أوله زفير وآخره شهيق، فأمره بالاقتصاد في صوته.[٢] قال ابن زيد في قوله تعالى: «إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير»: لو كان رفع الصوت هو خيرًا ما جعله للحمير[٣]

وذكر النقّاش في سبب نزول هذه الآية أنّ أهل الجاهلية كانوا يتنافسون في شدّة الصوت، وكانوا يقولون: من كان أجهر صوتاً فهو أعزّ عند **الله**، وكانوا يجهرون بأصواتهم ويرفعونها بغاية الإمكان، فأنزل **الله** تعالى هذه الآية. ومعناه: أنّه ليست العزّة في شدّة الصوت، ولو كان من هو أشدّ أعزّ لكان الحمار أعزّ.[٤]

ب. وقال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ».[٥] عن قتادة: كانوا يجهرون بالكلام، ويرفعون أصواتهم فوعظهم **الله** ونهاهم عن ذلك.[٦]

جـ. وقال تعالى: «وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ».[٧] المكاء: التصفير بالفم. والتصدية: التصفيق باليد. وكانوا يفعلونهما إذا صلّى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم.[٨]وعلى قول مجاهد ومقاتل كان إيذاء للنبي عليه الصلاة والسلام.[٩] فهذا الضجيج والصخب كان الغرض منه إيذاء الآخرين، وهذا لا يجوز.

د. عن أبي موسى الأشعري –رضي **الله** عنه– قال: كنا مع النبي –صلى **الله** عليه وسلم–، فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا، فقال النبي –صلى **الله** عليه وسلم–: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنه معكم، إنه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جدّه».[١٠] قال الإمام ابن تيمية: (رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلاّ حيث جاءت به السنة كالأذان، والتلبية، ونحو ذلك، فالسنة للذاكرين والداعين ألاّ يرفعوا أصواتهم رفعاً شديدا).[١١]

١- (لقمان: ١٩).
٢- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٢١٦/١٠.
٣- المرجع السابق ٢١٦/١٠.
٤- تفسير السمعاني ٢٣٤/٤.
٥- (الحجرات: ٢).
٦- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٣٧٨/١١.
٧- (الأنفال: ٣٥).
٨- ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ٦٥/٢.
٩- التفسير الكبير ١٢٨/١٥.
١٠- رواه البخاري،كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير. صحيح البخاري ١٠٩٠/٣. حديث رقم (٢٨٣٠).
١١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ٣٢٢/١.

٢. نهت الشريعة الغراء عن كل صوت من شأنه إيذاء المسلمين وسرقة هدوئهم وراحتهم كالنياحة والغناء والصخب، فعن جابر بن عبد **الله** قال: أخذ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– بيد عبد الرحمن بن عوف، فانطلق به إلى ابنه إبراهيم، فوجده يجود بنفسه، فأخذه النبي–صلى **الله** عليه وسلم– فوضعه في حجره، فبكى فقال له عبد الرحمن: أتبكي؟ أولم تكن نهيت عن البكاء؟ قال:«لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند مصيبة خمش وجوه وشق جيوب، ورنة شيطان».[١] فنهى الحديث عن صوتين فاجرين: رنة شيطان عند نغمة ومرح، ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب. أمّا البكاء بغير نياح فلا بأس به عند جماعة العلماء، وكلّهم يكرهون النياحة ورفع الصوت بالبكاء والصراخ.[٢]

وفي النهي عن الصخب وصف **الله** تعال نبيّه في حديث عبد **الله** بن عمرو بن العاص –رضي **الله** عنهما– قائلاً: «أنتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ، وَلا غَلِيظٍ، وَلا سَخَّابٍ[٣] بِالأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ».[٤]

وعن أبي هريرة قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «إنّ **الله** يبغض كل جَعْظَرِيٍّ،[٥] جَوّاظٌ،[٦] صخّاب بالأسواق، جيفة بالليل حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة»[٧] وهذا الحديث والذي سبقه يدفعان إلى الاقتداء برسول **الله** عليه الصلاة والسلام في تخفيض أصواتنا وعدم إيذاء الآخرين بها.

وعن عبد **الله** بن أبي أوفى قال: قال رسول **الله** عليه الصلاة والسلام: «بشِّرُوا خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ مِنَ الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ ولاَ نَصَبَ».[٨] وهذا دليل على أنّ الصّخب والضجيج والصياح فيه إيذاء وضرر، وأنّ السكينة والهدوء راحة للنفس وطمأنينة للقلب؛ ولهذا وعدها بما لا يؤذيها ولا يضرها.

٣.نهى رسول **الله** عليه الصلاة والسلام عن ترويع المسلم بأي نوع من أنواع الترويع، فقال: «لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً».[٩]

١– رواه الترمذي،كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، حديث رقم (١٠٠٥). قال الترمذي: هذا حديث حسن. سنن الترمذي ٣٢٨/٣. وقال الشيخ الألباني: حسن. السلسلة الصحيحة ١٨٩/٥.
٢– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥٣/١٤. ابن عبد البر، التمهيد ٢٨٤/١٧.
٣– سخَّاب: الصَّخَب والسَّخَب الضَّجّة واختلاط الأصوات للخِصام. ابن منظور، لسان العرب ٥٢١/١. مادة (صخب).
٤– رواه البخاري، كتاب التفسير، باب إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، حديث رقم (٤٥٥٨)، صحيح البخاري ١٨٣١/٤.
٥– الجَعْظَرِيُّ: الفَظُّ الغليظُ أو الأَكولُ الغليظ. الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص٤٦٧. ابن منظور، لسان العرب ١٤١/٤. مادة (جعظر).
٦– الجَوَّاظُ: الكثير اللحم الجافي الغليظ الضخم المُخْتالُ في مِشْيَتِهِ. ابن منظور، لسان العرب ٤٣٩/٧. مادة (جوظ).
٧– رواه ابن حبان، كتاب العلم، ذكر الزجر عن العلم بأمر الدنيا مع الانهماك فيها والجهل بأمر الآخرة ومجانبة أسبابها. ابن حبان، صحيح ابن حبان ٢٧٣/١. حديث رقم (٧٢). قال الشيخ الألباني: سند صحيح رجاله كلّهم ثقات. الألباني، صحيح وضعيف الجامع الصغير ٢٠٦/٧.
٨– رواه البخاري،كتاب الحج، باب متى يحل المعتمر، صحيح البخاري ٦٣٦/٢. حديث رقم (١٦٩٩).
٩– رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح. سنن أبي داود ٧١٩/٢. حديث رقم (٥٠٠٤). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح الترغيب والترهيب للألباني ٤٢/٣.

وإيذاء المسلمين الآمنين وترويعهم في زماننا يجري بوسائل عديدة ومن ذلك إطلاق الرصاص والمفرقعات النارية في الأفراح، والحفلات الغنائية والموسيقى الصاخبة التي تزعج النائمين، وترعب الأطفال، وتسرق راحتهم، فتستمر حتى طلوع الفجر دون مراعاة لخواطر الآخرين وحقوقهم. يقول الإمام ابن قيم الجوزية: (ومن مكايد عدو الله ومصايده التي كاد بها من قلّ نصيبه من العلم والعقل والدين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين سماع المكاء والتصدية والغناء بالآلات المحرّمة الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان)[١]

علاج التلوّث السمعي:

إنّ مصادر التلوّث الضوضائي كثيرة ومتعدّدة وفي كل مكان، ولا يمكن السيطرة عليها بشكل محكم كما هو الحال في التلوّث المائي والهوائي، ولكن يمكن التخفيف من خطر هذه الظاهرة بما يأتي:

١. عدم إيذاء الآخرين بالأصوات الصاخبة المرتفعة، كالغناء والموسيقى وطرق الآلات وصوت الماكينات وغير ذلك، حتى لو استأجر شخص داراً للسكنى، لم يكن له أن يعمل فيها عمل الحدّادين والقصّارين،[٢] ولا أن يطرح الزبل فيها؛ لما فيه من إزعاج للآخرين[٣] وعلى الدولة مراقبة ذلك ومحاسبة المخالفين.

وقد ذكر أهل العلم أنّ الأصوات من الضرر الذي يجب الحكم بإزالته على الجار بقطعه عن جاره، كالحدّادين، والكمادين،[٤] والندافين[٥] وشبه ذلك.[٦]

والصحيح عند فقهاء الحنابلة أنّ الجار يمنع من التصرّف في ملكه بما يضر جاره كعمل دكان قصارة، أو حدادة، يتأذّى بكثرة دقه، أو رحى، ونحو ذلك.[٧]

٢. عزل المناطق الصناعية وكل ما يصدر أصواتاً صاخبة عن المناطق السكنية، وهذا منهج الخلفاء المسلمين في تاريخهم الغابر، فإنّه لما ابتنى المنصور مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة إزاء كل باب سوق، فلم يزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم رسولاً من عند الملك، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة حتى ينظر إليها ويتأمّلها، ويرى سورها وأبوابها وما حولها من العمارة، ويصعده السور حتى يمشي من أوله إلى آخره، ويريه قباب الأبواب والطاقات وجميع ذلك، ففعل الربيع

١- ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان ٢٢٤/١.
٢- القصارين: من قصر الثوب قصارة وقصره كلاهما حوره ودقّه ومنه سمي القصار. ابن منظور، لسان العرب ١٠٤/٥.
٣- النووي، روضة الطالبين ١٧٢/٥.
٤- يقال: كمدت فلاناً إذا وجع بعض أعضائه فسخنت له ثوباً أو غيره وتابعت على موضع الوجع فيجد له راحة. ابن منظور، لسان العرب ٣٨١/٣.
٥- ندف: الندف طرق القطن. ابن منظور، لسان العرب ٩/ ٣٢٥
٦- عليش، منح الجليل ٣٢٦/٦.
٧- الإنصاف للمرداوي ٢٦٠/٥. ابن قدامة، المغني ٣٤٧/٥.

ما أمره به، فلما رجع إلى المنصور، قال له: كيف رأيت مدينتي ؟ قال: رأيت بناء حسناً ومدينة حصينة.[1] فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوقة من المدينة، وتقدّم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفي وخراش بن المسيب اليماني بذلك، وأمرهما أن يبنيا سوقاً، وأن يجعلاها صفوفاً، ورتّب كل صف في موضعه، وقال: (اجعلا سوق القصّابين في آخر الأسواق فإنهم سفهاء وفي أيديهم الحديد القاطع). ثمّ أمر أن يبنى لهم مسجداً يجتمعون فيه يوم الجمعة ولا يدخلوا المدينة.[2]

وأمر معاوية بن أبى سفيان بجمع الصناع النجّارين، فجُمعوا ورتّبهم في السواحل. وكانت الصناعة في الأردن بعكا.[3] فانظر كيف حرص أئمة المسلمين على عزل الصناعات والأسواق وتنظيمها وترتيب المدن بحيث لا تتأذّى الرعية من آلات الصنّاع وأصحاب المهن وأدواتهم وأصواتهم، بل إنهم سبقوا الدول الحديثة المتقدّمة صناعياً والتي تحرص على إقامة التكتلات الصناعية بعيداً عن الأحياء السكنية والمواطنين.

٣. عدم رفع الصوت أكثر مما يحتاجه السامع، فإنّه رعونة وإيذاء، ورسولنا عليه الصلاة والسلام قدوتنا في ذلك، فلم يكن صخّاباً في الأسواق، والتوجيهات القرآنية والنبوية– كما مر سابقاً– تحثّنا على الاعتدال والتوسّط في الكلام حتّى في العبادات كالصلاة وتلاوة القرآن. قال ابن مسعود–رضي **الله** عنه–: «ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً سكّيتاً ليناً، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخّاباً ولا صيّاحاً».[4]

٤. إنشاء المطارات ومواقف الحافلات والسكك الحديدية خارج المدن وبعيداً عنها.

٥. استخدام عوازل للصوت داخل المباني، واستخدام سدادات للأذن، وكاتمات الصوت أثناء العمل حيث تعمل مثل هذه الآلات على توهين ذبذبات الأصوات المزعجة.[5]

٦. تجنيب الأطفال حضور حفلات الزفاف حيث ترتفع فيها أصوات الموسيقى الضارّة لما يفوق (٥٠٠ ديسيبل) مع أنّ (١١٥ ديسيبل) يولّد ألماً في الأذن وتلفاً في جهاز السمع إذا استمر فترة من الزمن.[6]

٧. تأسيس إدارات خاصّة لمراقبة مصادر الصوت ووضع معايير محدّدة له.[7]

١– الحموي، معجم البلدان ٤٤٨/٤.
٢– المرجع السابق ٤٤٨/٤.
٣– البلاذري، حمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، تحقيق: رضوان محمد،١٤٠/١.
٤– ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي، الهم والحزن، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ– ١٩٩١م، تحقيق: مجدي فتحي السيد، ص٩٢.
٥– السعود، الإنسان والبيئة ص١١٤.علياء بوران، علم البيئة ص٢٤١.
٦– عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ٤٤٣.
٧– شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص١٦٢.

٨. الإكثار من المتنزّهات الوطنية والأحزمة الخضراء والحدائق العامّة حول المدن؛ لأنّ لها تأثيراً نفسياً مميّزاً يساعد على تهدئة الأعصاب.[١] وقد حثّ الإسلام على ترويح القلوب وتهدئة النفوس لإبعاد الكلل والملل عنها، فعن حنظلة الأسيدي قال: قال رسول **الله**– صلى **الله** عليه و سلم–: «والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة». قالها ثلاث مرات.[٢] أي في ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفي ساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم.[٣] فالمطلوب من المسلم ساعة القوة والنشاط الإقبال على الطاعة والعبادة، أما ساعة الفتور والضعف فليروّح عن نفسه، وليشتغل بأمور دنياه، فدوام النفس على حالة واحدة يورثها الكلل والملل، وفي المزاوجة بين عمل الدنيا وعمل الآخرة تجديد للنشاط، وتقوية للعزائم والإرادات.

وعن الحسن البصري قال: «حادثوا هذه القلوب فإنّها سريعة الدثور[٤]».[٥] وقال قسامة بن زهير: «روّحوا القلوب تعي الذكر».[٦] وعن علي – رضي **الله** عنه–: «روّحوا القلوب ساعة فإنّها إذا أكرهت عميت».[٧]

٩. التخطيط السليم للمدن والشوارع والسيطرة على حركة التنقل وكثافتها.[٨]

المطلب الثامن ـ التلوّث الكهرومغناطيسي:

ويقصد به كل أشكال الأذى والإزعاج والضرر الذي تحدثه الموجات الكهرومغناطيسية للإنسان والحيوان والنبات.[٩] تلك الموجات التي ترسلها أجهزة الهواتف المحمولة، وأدوات التحكّم عن بعد، وأجهزة الاتصالات العسكرية والخاصّة، وما ترسله أيضاً أفران الموجات الصغرى (الميكروويف)، وأجهزة الحاسب الآلي، والرادارات وأجهزة كشف المعادن في المطارات، والأجهزة الكهربائية التي تستخدم في المنازل والمؤسسات والمرافق الخدمية لأغراض عدّة كالطّهو، والإنارة، والتبريد، والتدفئة، والنظافة والحياكة، والتصوير، والنسخ، والعلاج، والاتصال. ورغم الدور الإيجابي الذي لعبته تلك التقنية في رفاهية الإنسان في مختلف جوانب حياته إلاّ أنّ هذه الأجهزة صارت مصدراً أساسياً من مصادر التلوّث البيئي التي تهدّد صحة الأحياء؛ وذلك لأنّ

١– علياء بوران، علم البيئة ص٢٤١.
٢– رواه مسلم،كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، صحيح مسلم ٢١٠٦/٤، حديث رقم (٢٧٥٠).
٣– العظيم آبادي، تحفة الأحوذي ١٨٤/٧.
٤– الدثور: الخمول والكسل، ورجل دثور: خامل. وفلان دثاري: كسلان ساكن لا يتصرف. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، أساس البلاغة، بلا طبعة ١٣٠/١.
٥– البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،بلا طبعة، ١١٣/٦.
٦– مصنف ابن أبي شيبة ٢٤٤/٨. أثر رقم (١٢).
٧– الغزالي، إحياء علوم الدين ٢٧٠/٢.
٨– المرجع السابق ص٢٤١.
٩– السعيد، الإنسان والبيئة ص١٠٧. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٤٧.

المجالات الكهرومغناطيسية التي تتولّد عند تشغيل هذه الأجهزة تتسم بالقدرة على اختراق أجسام الأحياء والتفاعل مع الخلايا الحيّة، وإحداث تغييرات بيولوجية فيها بشكل ينتج خللاً واضطراباً في أداء أجهزة الجسم المختلفة وخصوصاً الجهاز الدوري والجهاز التناسلي والمخ والأعصاب، ويصل بعضها إلى شبكيات العيون، وطبقات الجلد الداخلية، وحتى العظام. وقد توصّل عدد كبير من العلماء بعد تجارب ودراسات علمية دقيقة إلى أنّ الاقتراب طويلاً من مجال الكهرباء هو سبب ارتفاع معدلات الإصابة بسرطان الدم وأورام المخ وإجهاض الحوامل. كما ثبت أنّ الإنسان يصاب بضعف في بصره إذا عمل لفترات طويلة أمام شاشات العرض المختلفة.[١]

وتأتي الأشعة ما فوق البنفسجية من الشمس والأشعة الكونية، كما تأتي من البرق ومن المصابيح الكهربائية، والتلحيم الكهربائي، ومن شاشات التلفزة والكمبيوتر وغيرها.[٢] كما أنّنا على تماس مع الأشعة السينية أشعة (X) المستخدمة في التشخيص الطبي والتي تخترق الأنسجة اللينة كاللحم والجلد والشرايين مثل زجاج شفاف بينما يمتصها العظم ويوقفها لما يحتويه من معادن.[٣]

أمّا عن موقف الإسلام من هذا التلوّث، فإنّ الإسلام أمر بإزالة الضرر عند وقوعه ومنعه قبل ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «لا ضرر ولا ضرار».[٤] وإذا ثبت ضرر هذه الأجهزة فعلى ولي الأمر أن يتصرّف بما تقتضيه السياسة الشرعية ومصلحة الأمّة.

والإنسان مسئول يوم القيامة عن جسمه فيما أبلاه، فعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».[٥] وإذا كان الإسراف في استخدام هذه الأجهزة الخطيرة من شأنه أن يضر بجسده وسائر أعضائه فعليه تجنّب ذلك والاقتصار في استخدامها للحاجة الملحّة عند فقدان البدائل.

علاج التلوّث الكهرومغناطيسي

وأمّا علاج هذا التلوّث فيما يأتي:

١. التقليل من استخدام الأجهزة التي يمكنها إرسال موجات كهرومغناطيسية من شأنها إلحاق الضرر بالإنسان.

٢. عدم نصب الأبراج الخاصّة بهذه الموجات بالقرب من المنازل والأحياء السكنية المكتظة؛ لأنّ من شأنها إلحاق الضرر بالناس، ولا ضرر ولا ضرار، والضرر يزال.

١- السعيد، الإنسان والبيئة ص١٠٧- ١٠٩. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص٤٨٧. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٤٧.
٢- السعيد، الإنسان والبيئة ص١٠٧.
٣- المرجع السابق ص٩٩.
٤- سبق تخريجه.
٥- رواه الترمذي،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، باب في القيامة. قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن. سنن الترمذي ٦١٢/٤. وقال الشيخ الألباني: صحيح لشواهده. مشكاة المصابيح ١٢٦/٣.

٣. استخدام البدائل الآمنة لمثل هذه الأجهزة الضارّة، كاستخدام الأفران التقليدية في تسخين الأطعمة بدلاً من «الميكرويف»، واستخدام الهاتف الأرضي (السلكي) بدلاً من الهاتف المحمول، وهكذا. فالنبي عليه الصلاة والسلام ما خيّر بين أمرين إلاّ اختار أخفهما ضرراً وأيسرهما. عن عائشة –رضي **الله** عنها– أنها قالت: ما خيّر رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– بين أمرين إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– لنفسه إلاّ أن تنتهك حرمة **الله** فينتقم **لله** بها.(١)

٤. تجنيب الأطفال الهواتف المحمولة لعظم خطرها على الدماغ، فقد أظهرت الأبحاث التي أجرتها جامعة "نوتنجهام" البريطانية أنّ الهاتف المحمول يمنع آليات الدماغ والمقاومة الطبيعية في الجسم من العمل بشكل ملائم.(٢) ومن المؤسف أنّ بعض العائلات الثريّة تعطي مثل هذه الأجهزة لأطفالها في دور الحضانة للتواصل معهم غير عابئة بنتائجها الخطيرة عليهم.(٣) فليتقوا **الله** في أطفالهم فهم أمانة في أعناقهم، وليتركوا هذا البذخ والتّرفه الذي لا طائل منه.

٥. تجنيب الأطفال الجلوس الطويل على أجهزة الكمبيوتر والتلفاز، فمثل هذه الأجهزة لها أضرار على العين من الإشعاعات التي تنبعث منها.(٤)

٦. عدم اقتراب الجمهور لمسافة تقل عن ستة أمتار من الهوائي فوق أسطح العمارات.(٥)

٧. عدم اقتراب العمال لمسافة تقل عن ثلاثة أمتار من الهوائي فوق أسطح العمارات، وتحديد هذه الأماكن لتعريفها للعاملين بعدم الاقتراب منها.(٦)

المطلب التاسع – تلوّث التربة:

تعتبر التربة مصدراً للخير والثمار، وهي التي توفّر للإنسان الغذاء والماء الأساسيين له ولعائلته، ولسائر الكائنات الحيّة الأخرى. قال تعالى: «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا»(٧) أضف إلى ذلك ما تحويه التربة من معادن وفلزّات ثمينة في باطنها، هذه المعادن التي قامت عليها صناعات الإنسان وتجاراته وزراعاته، ومع ذلك فقد جنى عليها الإنسان وأساء إليها بالتلويث وغيره.

والتربة بيئة صالحة وضرورية لنمو النبات والإنتاج الزراعي.(٨) وهي عامل مهم وأساسي لنمو الكائنات الحية وانتشارها، فالنباتات تمتد جذورها في التربة، فتحصل على الماء والعناصر

١- رواه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي عليه الصلاة والسلام، صحيح البخاري ١٣٠٦/٣. حديث رقم (٣٣٦٧). صحيح البخاري ١٣٠٢/٣.
٢- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص٤٦٦.
٣- المرجع السابق ص٤٤٣.
٤- المرجع نفسه ص٤٤٥.
٥- المرجع نفسه ص ٤٥٣.
٦- المرجع نفسه ص ٤٥٣.
٧-(النازعات: ٣١).
٨- الخطيب، السيد احمد، النظام البيئي والتلوّث ص ٧٠.

الغذائية، قال تعالى: «فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ».[1] والمعنى: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها المطر من السماء اهتزّت يقول: تحركت بالنبات، (وَرَبَتْ) يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث.[2] كما تعد التربة موطناً للأحياء المجهرية وبعض الحيوانات.[3]

أسباب تلّوث التربة: تطوّرت الزراعة في هذا العصر بشكل كبير، لكنّ سلبيات التكنولوجيا تظهر بعد مدّة من الزمن، وقد نجم عن ذلك تلوّث كبير بالتربة كان التقدّم التكنولوجي أحد أسبابه، لكنّ هناك أسباب أخرى تؤدّي إلى تلوّث التربة منها ما يأتي:

1. الاستخدام المفرط لمياه الري مع سوء الصرف الصحي يؤدّي إلى الإضرار بالتربة وزيادة نسبة الأملاح بها، وبالتالي ضعف الإنتاج الزراعي.[4]
2. انجراف الطبقة السطحية من التربة بفعل السيول والرياح أو الإنسان.
3. استخدام الكيماويات والمنظّفات الصناعية والمبيدات على نحو مفرط، وهذه المبيدات تستخدم لتعقيم التربة، وحماية المحاصيل والأشجار من الآفات بهدف زيادة الإنتاج، ومن سلبياتها أنه لا يزول أثرها عن التربة إلاّ بعد عشرة أعوام.[5] وتظهر تقارير منظمة الصحة العالمية وقوع نحو نصف مليون حالة تسمّم بالمبيدات في العالم سنوياً ١٪ منها إصابتهم قاتلة.[6] كما أنّ لها تأثيراً على حياة الطيور ولو في أماكن بعيدة عنها.[7]
4. التوسّع العمراني الذي أدّى إلى تجريف وتبوير الأراضي الزراعية.
5. التلّوث بواسطة المواد المرسبة من الهواء الجوي في المناطق الصناعية.
6. التلوّث بواسطة المواد المشعّة والأسلحة الكيماوية،كغازات الأعصاب وغاز الخردل.
7. التلوّث بالمعادن الثقيلة كالرصاص.
8. التلوّث بواسطة الكائنات الحية ومخلّفات الحيوانات.[8]
9. التلوّث بواسطة مواد مسرطنة كالأسبستوس وبعض المركبات العضوية، والمواد البلاستيكية التي تعيق نمو النباتات بشكل طبيعي، وتشوّه منظر الطبيعة الخلاّب، وقد تنقل بواسطة المياه فتؤدّي الى تلوّث البيئة البحرية.[9]

١- (الحج: ٥).
٢- الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن ٥٧١/١٨. الشوكاني، فتح القدير ٦٢٤/٣.
٣- السعدي، علم البيئة ص١١٧.
٤- أرناوؤط، محمد السيد، الإنسان وتلوّث البيئة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٦، ص ٢٣٩.
٥- عامر، محمد أمين، سليمان، مصطفى محمود ، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص٢٦٧. علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٤. عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية ص ١١٦-١١٧.
٦- عامر، محمد أمين وآخرون، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص٢٦٨.
٧- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله ص٤٣.
٨- السعيد، الإنسان والبيئة ص ١٠١-٨٩. الخطيب، السيد أحمد النظام البيئي والتلوّث ص ١٢٧-١٢٨.
٩- عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية ص ١١٦.

١٠. التسرّب من الخزانات والأنابيب مثل أنابيب النفط ومنتجاته.

١١. المخلّفات العضوية الناتجة عن التصنيع الزراعي، ومخلّفات الحيوانات والصرف الصحي.[١]

١٢. الإفراط في استخدام المخصّبات الزراعية[٢] وهي نوعان:

أ. مخصّبات طبيعية: كروث الحيوانات ومخلّفات الطيور(الزبل الطبيعي)، وهذه إن استخدمت بشكل طبيعي متوازن لا ينجم عنها إخلال بالنّظام البيئي، وعدم استخدامها بشكل طبيعي ومعالجتها مسبقاً يؤدّي إلى انتقال الأمراض عبر المنتجات الزراعية ومياه الشرب، وقد تؤدّي إلى تكاثر الحشرات كالذباب والبعوض وغيره.[٣]

ب. مخصّبات كيماوية: وهي منتشرة بشكل واسع، وتمتاز بسرعة ذوبانها وسهولة امتصاصها من قبل النبات، وتنتقل بالماء عبر التربة بسهولة، من هنا كان الإسراف في استخدامها واختيار الوقت الخاطئ يؤدّي إلى انتقال محتوياتها إلى باطن الأرض والإضرار بالمياه الجوفية فيها.[٤]

١٣. مخلّفات الآلات العسكرية والحروب.[٥]

١٤. ملوثات ناتجة عن خلل في البنية التحتية: كتلك الناتجة عن خدمات الإنشاءات كتمديد شبكات المياه، وشبكات الصرف الصحي، وشبكات الكهرباء والاتصالات. [٦]

١٥. التلوث الناتج عن المياه العادمة: وهي مياه ناتجة عن النشاط الإنساني سواء في السكن أو المصنع أو المزرعة، وهي تحتوي على جراثيم ومواد عضوية وغير عضوية مسببة للأمراض، وينتج عن تدفقها في الأودية والمناطق المنخفضة بالإضافة إلى تلوّث التربة ما يلي:[٧]

أ. تلوّث المياه السطحية.

ب. تلوّث المياه الجوفية.

جـ. تكاثر الحشرات الضارة.

د. انتقال الملوّثات إلى المحاصيل الزراعية.

هـ. انتشار الروائح الكريهة.

١٦. التصحّر: ومن أسبابه:[٨]

أ. تدهور المراعي وقلة الغطاء النباتي الصيفي.

ب. نمو وزحف الرمال المتحرّكة.

١- الخطيب، السيد أحمد النظام البيئي والتلوّث ص ١٢٧-١٢٨.
٢- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٣٤ .
٣- عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية ص ١١٦.
٤- المرجع السابق ص ١١٦.
٥- عماد محمد ذياب ص١٢٩.
٦- عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية ص ١١٨.
٧- المرجع السابق ص ١١٩.
٨- أبو الفتح، البيئة الصحراوية ص ٢٥٨.

ت. ارتفاع نسبة الملوحة في التربة.

ث. قلة المخزون المائي الجوفي والسطحي.

جـ. قطع الأشجار من أجل الخشب وتحويل الغابات إلى مزارع ومراعي.

حـ. الزحف العمراني والزراعي.

خـ. أسلحة الدّمار الشامل بأنواعها الكيميائية والنووية والبيولوجية والملوّثات الصناعية.

د. تعرية التربة بفعل السيول السطحية والرياح.

ذ. إغراق الأرض بكميات كبيرة من الماء بسبب أساليب الري الخاطئة وجعلها غير صالحة للزراعة.

ولخطورة التصحّر على البيئة لجأت كثير من الدول إلى إنشاء أحزمة خضراء حول المدن مثل دبي وأبو ظبي في دولة الإمارات العربية المتحدة، والإحساء في المملكة العربية السعودية؛ وذلك للحد من هذه الظاهرة وإضفاء منظر جميل للبيئة.[١]

الآثار المترتبة على تلوث التربة:

لتلوّث التربة أضرار كثيرة على الإنسان والحيوان والحياة برمتها أذكر منها ما يأتي:

١. نقص وانحسار الأراضي الزراعية بسبب هذا التلوّث، فمن المعلوم أنّ الأراضي القابلة للزراعة لا تتعدّى مساحتها (٣٪) من مساحة اليابسة، والتزايد السكاني مستمر بوتيرة سريعة، وهذا بدوره أدّى إلى نقص المواد الغذائية اللازمة لبناء الإنسان ونمّوه، وعلى نحو أعم مسئولة عن حياته على سطح الأرض.[٢]

٢. انقراض مجموعات نباتية وحيوانية، وهجرة كثير من الطيور إلى مناطق أخرى.

٣. تلوّث المياه الجوفية خاصّة إذا كان تلوّث التربة ناجماً عن الإشعاعات النووية.[٣]

٤. الإضرار بالشُعب المرجانية، والتي بدورها تؤثّر علي الجذب السياحي وفي نفس الوقت على الثروة السمكية، حيث تتخذ العديد من الأسماك من هذه الشعب المرجانية سكناً وبيئة لها.[٤]

علاج تلوّث التربة: تعالج التربة الملوّثة بالطرق الآتية:

١. اللجوء إلى استخدام المبيدات العضوية التي لا يحتوي تركيبها على المواد الكيميائية والابتعاد عن المبيدات الكيميائية بأنواعها المختلفة من مبيدات الأعشاب والحشرات والفطريات قدر الاستطاعة.

١- محمد عماد، البيئة حمايتها وتلوثها ص٣٠.
٢- السعيد، الإنسان والبيئة ص ٩٥.
٣- أرناوؤط، الإنسان وتلوث البيئة ص ٢٥٥. السعيد، الإنسان والبيئة ص ١٠٢.
٤- المراجع السابقة.

٢. عدم استخدام النجاسات في تسميد الأرض، وقد صرّح الفقهاء بعدم جواز التسميد بروث الكلب والخنزير.[١]

٣. معالجة مياه الصرف الصحي وإعادة تكريرها للاستفادة منها في الزراعة.

٤. حماية الأراضي الزراعية من التوسّع العمراني، وسن قوانين تمنع البناء عليها.

٥. مكافحة التصحّر وإيقاف زحف الرمال، وذلك بالطرق التالية:[٢]

أ. إزالتها بواسطة الجرافات.

ب.حفر خنادق بأعماق مختلفة لكسر حدّة تدفق الرمال.

جـ.إنشاء حواجز كاسرات رياح قرب المناطق المراد حمايتها.

د.تغطية الكثبان بالزيت الخام أو خليط الاسمنت والرمل بنسبة ١–٥.

هـ. رش الكثبان الرملية بمواد كيميائية كالبترول الخام أو أنواع خاصّة من النباتات.

و. تطوير التشجير وزراعة النباتات البرية في المناطق الصحراوية، ومن ذلك ما قام به الخبراء العاملون في مركز دراسات الصحراء التابع لجامعة الملك سعود في الرياض، حيث أجريت تجارب على استزراع أنواع مختلفة من أشجار الغاف البرية، فأثبتت نجاحاً كبيراً في نموها في بيئات صحراوية قاسية، وهذه الزراعة تفيد فيما يلي:[٣]

- زيادة الغطاء الخضري.
- تثبيت التربة ومنع انجرافها خاصّة الكثبان الرملية المتحرّكة.
- توفير العلف للحيوانات.
- توفير أحطاب الوقود والأخشاب.
- تشجير الشوارع والطرق والمتنزهات.
- أزهارها تساعد في إنشاء المناحل وإنتاج العسل.
- تحسين التربة من النواحي الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية.
- إقامة مصدّات للرياح وأحزمة خضراء لحماية المزارع والمدن وتوفير الظلال.

٦. استخدام المعارف المتاحة، والتّعاون مع كافّة الجهات الدولية والإقليمية التي تملك خبرات متقدّمة في هذا المجال، فالحكمة ضالّة المؤمن.

١– الشرواني، عبد الحميد، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الفكر، بيروت، ٣/٣٣.
٢– أبو الفتح، البيئة الصحراوية ص ٢٦٧.
٣– المرجع السابق ص ٢٦٨.

٧. استصلاح الأراضي وزراعتها وكرائها (إجارتها) لهذا الغرض، لأنّ عدم زراعاتها يحوّلها إلى مكب للنّفايات السامّة، ولهذا الغرض شرعت المزارعة[١] والمساقاة[٢] حتى لا تظل الأرض بوراً. فعَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ –رضى الله عنهما– كَانَ يُكْرِي مَزَارِعَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَصَدْرًا مِنْ إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ[٣] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِنَّ أَمْثَلَ مَا أَنْتُمْ صَانِعُونَ أَنْ تَسْتَأْجِرُوا الأَرْضَ الْبَيْضَاءَ مِنَ السَّنَةِ إِلَى السَّنَةِ».[٤]

وأمّا النهي الوارد عن كراء الأرض فمحمول على ما إذا أُكْريت بشيء مجهول وهو قول الجمهور. وقد أطلق ابن المنذر أَنَّ الصَّحابة أَجمعوا على جواز كِراء الأرض بـالذَّهب والفضَّة ، ونقل ابن بَطَّال اتفاق فقهاء الأمصار عليه.[٥]

٨. استنباط سلالات نباتية تكون أكثر مقاومة للآفات الزراعية من النباتات الحالية.[٦]

٩. خفض تركيز المبيد في التربة عن طريق غسلها أو زراعة النباتات التي تجمع المبيدات، أو إضافة المواد العضوية.[٧]

المبحث الرابع ـ دور الحروب والاحتلال في تلويث البيئة:

في عام (١٩١٤م) تنبأ «لا نشستر» أحد رواد الطيران بأنّ طائرات المستقبل سوف يتم تزويدها بأسلحة ذات قوّة تدميرية هائلة لحسم الحروب بسرعة، فبدلاً من أن يفكر العلماء والعسكريون في وسائل حماية المدنيين والأرض فإنهم لا يفكرون إلا في الوسائل القادرة على تدميرها.[٨]

لقد اندفع الإنسان في العصر الحديث اندفاعاً محموماً نحو إشباع شهواته ونزواته من كل ما تقع عليه عيناه، وطمع في الهيمنة والاستيلاء على الموارد الطبيعية بشتى أنواعها، فتولّد عن ذلك حروب طاحنة خاصّة في منطقتنا العربية الغنية بالموارد الطبيعية الهامّة لحياة الإنسان وحضارته ومدنيّته وتقدّمه في جميع المجالات، فلجأت هذه القوى العدوانية إلى استخدام القوّة المسلّحة للسيطرة على هذه الثروات الثمينة وتدميرها إن عجزت عن وضع يدها الخبيثة عليها؛ حرماناً لأصحابها من الاستفادة منها، وتكريساً للتبعية السياسية والاقتصادية والفكرية لها. فالحرب العالمية الثانية على سبيل المثال أودت بملايين الأشخاص من الناس الذين تركوا

١- المزارعة: هي عقد على الزرع ببعض الخارج. ابن نجيم، البحر الرائق ١٨١/٨.

٢- المساقاة: هي معاقدة دفع الأشجار إلى من يعمل فيها على أنّ الثمرة بينهما. ابن نجيم، البحر الرائق ١٨٦/٨.

٣- رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب مَا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي – صلى الله عليه وسلم – يُوَاسِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي الزِّرَاعَةِ وَالثَّمَرَةِ، صحيح البخاري ٤٢١/٨، حديث رقم (٢٣٤٣).

٤- رواه البخاري، كتاب المزارعة، باب كراء الأرض بالذهب والفضة، صحيح البخاري٤٢٩/٨، رقم (١٩).

٥- فتح الباري لابن حجر ٢٠٣/٧.

٦- الخطيب، السيد احمد، النظام البيئي والتلوّث ١٣٧-١٣٨. عامر، محمد أمين، سليمان، مصطفى محمود، تلوّث البيئة مشكلة العصر ص ٢٦٩.

٧- الخطيب، السيد احمد، النظام البيئي والتلوّث ١٣٧-١٣٨.

٨- سوزان كاتر، البيئة الأخطار ص ٣٦٤.

مزارعهم وأراضيهم ومساكنهم وممتلكاتهم، فانتشر القحط والجفاف والجوع، وفي فيتنام ألحق الجيش الأمريكي دماراً بالمدن والقرى والمزارع والغابات بشكل يفوق ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية، وبشكل متعمّد، وبقصد إبادة كل أنواع الحياة على الأرض الفيتنامية مستخدماً في ذلك أحدث ما تحويه ترسانة الأسلحة الأمريكية من القنابل الكيماوية التي تدمّر الغابات والمزروعات والإنسان وقنابل "النابالم" التي كان أكثر ضحاياها من المدنيين.[١] وكانت النتائج تدمير آلاف المباني، وقتل آلاف البشر، واحتراق آلاف الكيلومترات مربعة من الأرض، وتلويث البحار والأنهار بالنفط وغيره واستخدام المواد المشعة والكيميائية التي تقضي على كل شيء حي.[٢]

كما أدّت كثير من الحروب والصراعات الداخلية إلى إبعاد جماعي للمدنيين، ومن تداعياتها تعطيل مصالح البلاد في جميع المجالات، كما جرى في الحرب العالمية الثانية ما بين الفترة (١٩٣٩م – ١٩٤٥م) حيث أصبح أكثر من أربعين مليون أوروبي ينتمون إلى إحدى وعشرين دولة من المهاجرين.[٣] ولا ينسى العالم ما قامت به إسرائيل في غزّة تحت اسم «الرّصاص المصبوب»، وما حدث في لبنان تحت اسم «جرد الحساب»، وكذلك ما حدث من حروب طاحنة في العراق ولبنان وأفغانستان وباكستان وغيرها من الدول تحت مسمّيات سادية تدل على وحشية هذه الدول وذهاب أخلاقها وقيمها إن كانت لها قيم. وأدّت هذه الصراعات والحروب المتتالية والتنافس في استعراض الأسلحة وتطويرها أدّت إلى تلويث البيئة تحت مسمّيات كثيرة مثل: استراتيجيات الإبادة، وسياسة الأرض المحروقة، وبرامج السلام، ومحاربة الإرهاب، وحروب الاستنزاف، وبناء شرق أوسط جديد، ونظام عالمي جديد، فمثل هذه الحروب ساهمت في تدمّير القوى البشرية والعناصر البيئية بشكل هائل.[٤] فهي لم تبن شرقاً أوسطياً جديداً، ولم تصنع نظاماً عالمياً عتيداً، ولم تصنع سلاماً مزعوماً، ولا أمناً معدوماً، بل صنعت الخراب والدّمار، والضياع والفقر، والأمراض وانتهاك الأعراض، ونتج عنها أضرار بيئية وصحية واجتماعية واقتصادية خطيرة بسبب التلوّث الناتج عن استخدام المواد الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والفسفور الأبيض والمتفجرّات الهائلة وغير ذلك من أسلحة الدّمار الشامل الفتاكّة، وتزداد الخسائر الفادحة التي تتعرّض لها البيئة في حالات الحروب بمدى الخطورة والشراسة التي تتّصف بها الأسلحة المستخدمة من قبل الجيوش المتحاربة. يقول «روبرت واسون» رئيس مركز المصادر والدراسات البيئية في جامعة أستراليا الوطنية: «إنّ مجموع تكاليف البرامج العالمية للعلوم والتقنية التي يقوم بها المجلس العالمي للعلوم في أربع سنوات يساوي قيمة أربعة صواريخ أُطلقت في حرب الخليج في أقل من ساعة»!، مشيرًا إلى أنّ ميزانيات الدفاع اليومية في دول العالم مجتمعة تصل إلى مليارى دولار يومياً!!، وفي المقابل تخصص الدول الصناعية ما بين ٤ إلى ٥٪ من ميزانياتها للبحوث العلمية والتقنية، فيما لا تخصّص غالبية الدول النامية إلاّ أقل من ١٪ لذلك.[٥]

١- المرجع السابق ص ٣٦٠.
٢- المرجع نفسه ص ٣٦٣.
٣- المرجع نفسه ص ٣٦١
٤- المرجع نفسه ص ٣٦٠.
٥- صهيب جاسم، مقالة بعنوان:»محاور الخطر في قمة الأرض الثانية». موقع «إسلام اون لاين» الالكتروني، الثلاثاء ٢٧/مارس/ ٢٠٠٧.

ومن الجدير ذكره أنّه وبموجب القرار رقم ٤/٥٦ بتاريخ ٥ نوفمبر ٢٠٠١م أعلنت الجمعية العامّة للأمم المتحدة يوم السادس من نوفمبر من كل عام يوماً دولياً لمنع استخدام البيئة في الحروب والصراعات العسكرية، وهي بهذا تضع في اعتبارها أنّ الضرر الذي يصيب البيئة في أوقات الصراعات العسكرية يتلف النظم الأيكولوجية والموارد الطبيعية لفترة طويلة بعد فترة الصراع، وغالباً ما يتجاوز الضرر حدود الأراضي الوطنية والجيل الحالي. والسؤال: هل طبق ذلك على الأرض؟

لقد ازدادت الخسائر الفادحة التي تتعرّض لها البيئة في حالات الحروب بمدى الخطورة والشراسة التي تتّصف بها الأسلحة المستخدمة من قبل الجيوش المتحاربة، ولذا نجد أنّ المناطق منزوعة السلاح بين الدول المتحاربة هي أكثر المناطق ازدهاراً بالنباتات والحيوانات البرية، وأغناها في التنوع البيولوجي، فالشريط منزوع السلاح بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية الذي يبلغ عرضه حوالي ٤ كم يمتاز بغطاء نباتي كثيف وتربة مستقرة وبيئة غنية، حيث لا يوجد به أي نوع من أنواع الأنشطة البشرية المدمّرة للبيئة مثل الرعي الجائر أو صيد الحيوانات أو الحركة العشوائية للسيارات، وينطبق ذلك على المنطقة منزوعة السلاح بين الكويت والعراق، حيث تعتبر هذه المنطقة في الوقت الحالي محمية طبيعية بكل المقاييس، ممّا ينعكس إيجاباً على النوعية البيئية في دولة الكويت.(١)
ومن الأسلحة المتنوّعة التي تستخدم في الحروب العسكرية ولها تأثير سلبي على البيئة ما يأتي:(٢)

١. الأسلحة الثاقبة: وهي أسلحة بدائية كانت تستعمل في المعارك وجهاً لوجه، ومنها: القوس، والسهم، والرمح، والحربة، والسيف، والسكين، والفأس، وقد تطوّرت هذه الأسلحة إلى نوع مألوف هو سلاح ناري يدفع قذيفة صغيرة حادة الرأس بسرعة كبيرة، وهذه الأسلحة لا تترك أثراً ملموساً في البيئة ما لم تستعمل على نطاق واسع جداً.
٢. الأسلحة المتفجّرة: ويتم تصميمها لإحداث ضرر مادي بواسطة نبضات قوية من الطاقة المنبعثة من مركبات كيميائية تخضع لتفاعلات احتراقية، وقد تنتقل الطاقة إلى الهدف في شكل موجة صدمية أو شظايا سريعة من مادة تغلف المركّب المتفجر.
٣. الأسلحة الحارقة: وقد صمّمت أصلاً لإشعال حرائق في أجسام مستهدفة، أو لإحداث إصابات حارقة في كائنات حية، بفعل الحرارة أو اللهب اللذين يصدرهما تفاعل كيميائي لمادة تقذف إلى هدف، ومن هذه الأسلحة الحارقة المخيفة: سلاح «النابالم» الذي استخدمته القوات الأمريكية في حرب فيتنام، حيث أدى إلى اشتعال أكبر الحرائق التي شوهدت على الأرض، ومن شدة الحرارة الناتجة عن هذه القنابل اضطر الطيّارون إلى تغيير مسرى طيرانهم حول وفوق ألسنة اللهب وأعمدة الدخان التي ارتفع بعضها آلاف الأمتار عن سطح الأرض، وهكذا تحوّلت تلك الغابات البديعة الغناء موطن أصناف لا تعد ولا تحصى من النبات والحيوان إلى طبقة من الرماد والحجر.(٣)

١- مقالة بعنوان: «البيئة وصراعات القوى». على الموقع التالي:
.http://www.greenline.com.kw/env&pol/015.asp

٢- السيد محمد الفقي، الحرب والإسلام، دار الراية للنشر، ١٩٩٥، ص١٣. صابية فاروق وآخرون، تقرير بعنوان: «استمرار الأضرار الجانبية التأثيرية الصحية والبيئية للحرب على العراق».منظمة ميراكت الطبية العالمية، ٢٠٠٤،ص١٢.

٣- سيمور، جون، بعيداً عن الفردوس، ص ١٧٤.

٤. الأسلحة الكيميائية: وهي تعتمد على مواد كيميائية غازية أو سائلة أو جامدة ذات تأثيرات سامّة ومباشرة على الإنسان والحيوان والنبات، ويستعمل سمّها أحياناً لإحداث تأثيرات آنية، لشل حركة جند العدو وإنهاكهم مؤقتاً، أو إسقاط أوراق الأشجار قبل الأوان، وتستعمل أحياناً أخرى كآلية قاتلة.

٥. الأسلحة البيولوجية: وتعتمد على وسائط جرثومية، كالبكتريا والفيروسات، أو على سموم أو مواد ممرضة تنتجها كائنات حية، ومن أغرب ضروب هذه الأسلحة قنبلة جرثومية عرقية تطورها إسرائيل حالياً، يقال: إنها تحوي جزئيات جرثومية معدّلة وراثياً يمكن أن تصيب العرب دون اليهود.

٦. الأسلحة الإشعاعية: وهي تشبه الأسلحة الكيميائية في ما عدا أنّ المواد المستخدمة فيها يكون مفعولها إشعاعياً، أو سمّياً – إشعاعياً، وليس سمّياً كيميائياً.

٧. الأسلحة النووية: وهي التي ينتج مفعولها من تفاعلات متسلسلة لانصهار نووي حراري، أو انشطار نووي، وتجمع في تأثيرها بين الأسلحة الحارقة والمتفجّرة والمشعة ذات القوة الهائلة. وتعتبر الأسلحة الثاقبة والمتفجّرة والحارقة أسلحة تقليدية، أمّا الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية والنووية فتعتبر من أسلحة الدمار الشامل.

٨. القنابل والألغام: حيث إنّ هذه الأسلحة تستخدم بشكل غير قانوني ولها العديد من التأثيرات على البيئة التحتية، وأيضاً على البيئة العامّة مثل: القنابل العنقودية التي تحتوي على (١٤٧) ذخيرة حية، وقنابل أصغر حجماً ضد الدروع، وأيضاً قنابل النابالم، وهذه القنابل تحتوي على (٧٧) قنبلة حارقة يستخدم فيها الكيروسين، كما يستخدم اليورانيوم المنضّب والألغام الأرضية التي تؤثّر تأثيراً مباشراً على البيئة.

الآثار التي تتركها الحروب في البيئة:

يستطيع من يتمعّن في قراءة تاريخ الحروب والصراعات منذ القدم وحتى عصرنا الحالي أن يخلص إلى حقيقة هامّة، وهي أنّه في معظم الحروب والنزاعات كانت البيئة الضحية الأولى التي لا يلتفت إليها أي طرف من أطراف الصراع، فبعد سكوت المدافع، وتوقف آلة الحرب، وعودة العسكر إلى ثكناتهم، وإعلان المنتصر والمنكسر، وإسدال الستار على فصل من مسلسل الصراعات الإنسانية التي ليس لها نهاية، يبدأ الإنسان في النظر من حوله ليرى ما تسبّبه الصراعات، وأوهام النصر، وأحلام القوّة من دمار بيئي. ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية أشعلت آبار نفط، وأحرقت غابات، ودمّرت مساحات شاسعة من الأراضي بما عليها من أخضر ويابس لمنع تقدم القوات وإحراز نصر على حساب بيئة مغلوبة على أمرها.

إنّ الآثار التي تتركها الحروب المعاصرة في البيئة لا يمكن حصرها في أوراق مكتوبة، فآثارها تظهر في العالم المنظور لا في الكتاب المسطور، ولا يمكن التنبؤ بمدى تأثيرها زماناً ومكاناً وكمّاً وكيفاً، فآثارها لا تحصى ولا تعد، لكنّني سأذكر بعضها، وسأضرب بعض الأمثلة في السياق ليتعرّف القارئ العزيز على هذه الأخطار والآثار الهائلة ومنها:[١]

١– مقالة بعنوان: «الحروب العسكرية وأثرها على فساد البيئة». محمد مرسي محمد مرسي، مجلة الجندي المسلم، العدد (١٢٠)، ٢٠٠٥/٠٧/٠١.

١. لجميع الحروب تقريباً إستراتيجية أساسية واحدة هي: تدمير النظم المؤازرة للحياة بحيث تذعن الجيوش والشعوب. وهي تستخدم القصف الشامل للمدن والبُنى التحتية والحرق والتدمير الكيميائي والآلي للغابات والمحاصيل، والتدابير التي تجعل الحياة مستحيلة في مساحات كبيرة، يؤكّد ذلك ما صرح به رئيس هيئة الأركان الأميركية المشتركة الجنرال "ريتشارد مايرز" من أنّ كل الأسلحة في الترسانة أو في أي مرحلة من مراحل التطوير يمكن أن تستخدم، فقد حان الوقت لتجربة أسلحة الدّمار الجديدة!

ولم ينتظر مسئولو البنتاغون نهاية الحرب ليعلنوا عن استخدام قذائف اليورانيوم المستنفد، لأنها أكثر فعالية في خرق المصفّحات، ولها آثار إشعاعية مدمّرة على الناس والكائنات والبيئة، فحين ترتطم بهدفها، تتحوّل تحت تأثير الحرارة العالية إلى جسيمات دقيقة من أكاسيد اليورانيوم، وتنتشر على شكل ضباب يلوّث المنطقة المحيطة، وهي تسبب أنواعاً من السرطانات، خاصّة اللوكيميا، إضافة إلى تشوّهات جسدية وتدهور في وظائف الكُليتين. ونذكّر الذين ما زالوا يشكّكون بمدى أخطار اليورانيوم المستنفد بحادثة حصلت مع مراسل شبكة (سي.إن.إن) «وولتر رودجرز» الذي كان يرافق الجنود الأميركيين خلال الزحف على بغداد، ففي رسالة مباشرة بعد ظهر الخامس من نيسان قال حرفياً: «لم يُسمح لنا بالذهاب إلى مواقع المصفّحات العراقية المدمّرة، لأنّ المكان كان مليئاً بالإشعاعات الخطيرة من قذائف اليورانيوم المستنفذ التي ضربتها. فهل تريدوننا أن نصدّق أنّ خطر اليورانيوم المستنفد محصور بالعجم ولا يصيب العرب؟»[١]

٢. يؤدّي استخدام الأسلحة الكيميائية إلى تعرية واسعة المدى للتربة، وإفناء الحياة البرية الأرضية، وخسائر في أسماك المياه العذبة، وتدهور في الثروة السمكية البحرية الساحلية، ويتفاوت التأثير على البشر من حالات التسمّم العصبي إلى الإصابة بالالتهاب الكبدي وسرطان الكبد والإجهاض التلقائي والتشوّهات الخلقية.

٣. أسفرت الحرب التي دارت على أراضي الكويت عام (١٩٩١م) عن انسكاب نفطي كبير وحرائق شاسعة في آبار النفط وانبعاثات غازية انتشرت فوق مساحة كبيرة من الخليج، مما أدّى إلى تلوّث الهواء ، وألحق هذا الانسكاب أضراراً بالمناطق الساحلية في بعض البلدان، وأثّر في الحياة البرية والأحياء المائية، فقد تسمّمت الطيور البحرية والأسماك والأعشاب والأحياء الدقيقة والشعاب المرجانية في القاع.[٢]

٤. تبقى بعد توقف المعارك ملايين الألغام البحرية والأرضية والشراك الخداعية وأنواع الذخائر والقنابل التي لم تنفجر، ولا يتوافر عموماً سوى مقدار ضئيل جداً من المعلومات عن عدد هذه المخلّفات ومواقعها، ممّا يجعل تطهيرها مهمّة صعبة وخطيرة ويعرّض الناس والثروة الحيوانية والحياة البرية للخطر، ويعوق تنمية مساحات شاسعة من الأرض.

١- مقالة بعنوان: «الحرب على البيئة أمثلة من العراق ولبنان وفلسطين». المهندس عماد سعد،على الموقع التالي: http://amjad68.jeeran.com/archive/2009/7/902297.html. مقالة بعنوان: «الحروب العسكرية وأثرها على فساد البيئة». محمد مرسي، مجلة الجندي المسلم، العدد (١٢٠) ٢٠٠٥/٠٧/٠١.

٢- خالد بن محمد القاسمي ووجيه جميل البيعي، أمن وحماية البيئة، دار الثقافة العربية، الشارقة، ١٩٩٧، ص ١٢٩-١٣٠.

5. خلّفت الحروب والمنازعات ملايين اللاجئين في العالم يعانون خسائر اقتصادية وتمزّقاً في نسيجهم الاجتماعي وحياتهم اليومية، ويعيش كثير منهم في مخيمات المناطق الحدودية، حيث تقسو الظروف المعيشية، وتنتشر الاضطرابات الاجتماعية، وفي بعض الحالات تصبح عودتهم إلى أماكنهم الأصلية مستحيلة، فيواصلون العيش في بؤس لعدّة أجيال.
6. تؤثّر الحروب على طبقة الأوزون، حيث إنّ تركيزه في الجو الطبيعي للأرض يكون حوالي ٥٠ جزءاً من البليون، أمّا إذا زاد هذا التركيز فإنّه ستزداد معه مستويات مخاطره، وإذا تجاوز تركيزه مستوى (١٠٠) جزء من البليون أصبح هذا الغاز خطراً على الحياة، وعند انخفاضه عن مستواه الطبيعي ستتعرض الحياة على الأرض لمخاطر كبيرة؛ ولذلك يجب المحافظة على التوازن الديناميكي لهذا الغاز في الطبيعة كما قال تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» .[١] ولا شك أنّ ما تخلّفه الحروب يخل بهذا القدر والتوازن.[٢]
7. المفاعلات النووية، ومفاعلات الغوّاصات، وحاملات الطائرات، والفرقاطات التي تجوب مياهنا، وتمخر عباب البحر منذ عقود طويلة، لا شك أنّها تدمّر البيئة وتلوّثها، أضف إلى ذلك ما ينجم عنها من حوادث كحادثة الغواصة الروسية «سورك» في المياه الدولية، حيث أدّى انفجارها إلى انتشار أمراض قاتلة، كالسرطان، والتشوّهات الخلقية الناتجة عن التأثيرات الجانبية على الجينات الوراثية والحامض النووي (DNA).[٣] أضف إلى ذلك أنّ ترليون دولار أنفقت على هذه الحروب بدل أن تنفق على البيئة،[٤] وقد أدت سحب الدخان إلى حجب الشمس، وانخفاض درجاتها في السعودية وباقي دول الخليج وبلاد الشام وتركيا،[٥] وأصيبت الثروة السمكية والنباتات والحيوانات البرية بأسوأ أنواع الأضرار، فقد شُوّهدت بعض الطيور والحيوانات وهي تتساقط على الأرض بسبب المواد الكيميائية والتلوّث، وكذلك أفراخ الطيور، وفشل فقس البيض في أعشاشها، كما لوحظت بعض التشوّهات في هذه الحيوانات والنباتات، وبعضها هرب من الهلع والخوف إلى مناطق نائية.[٦]
8. أضاف إدخال الأسلحة النووية إلى الحروب أبعاداً جديدة وهي تمثّل زيادة هائلة في القوّة التدميرية، وبالرغم من الإدانة الواسعة للأسلحة النووية فإنّ إنتاجها واختبارها مستمران، وتتنبأ بعض الدراسات بآثار نشوب حرب نووية واسعة النطاق، ومنها ستغطّي السماوات المسودّة مساحات كبيرة من الأرض لأسابيع وشهور عديدة، وستنخفض درجات الحرارة إلى ما دون درجة التجمّد، وستؤثّر هذه التغيّرات المناخية على الزراعة والنظم الأيكولوجية، مع حدوث آثار عميقة على إنتاج الأغذية وتوزيعها.[٧]

١- (القمر: ٤٩).
٢- ذياب، عماد محمد ذياب، البيئة حمايتها تلوّثها مخاطرها ص٦٩.
٣- المرجع السابق ص٨٠.
٤- المرجع نفسه، ص٨٤.
٥- المرجع نفسه، ص٨٦.
٦- المرجع نفسه، ص٨٧.
٧- المرجع السابق ص٨٧.

ولإظهار مدى ما خلّفته الحروب من مآسٍ بيئية على العالم بأسره أذكر الأمثلة الآتية:[١]

١. اليابان: فقد دمّرت الصين أحد سدود المياه العملاقة لمنع القوات اليابانية من التقدّم، وضاعت المياه حاملة معها كل ما يعترض طريقها من زرع وضرع وتربة. ولا ننسى أن نذكر هنا هجوم الولايات المتحدة ضد اليابان في مدينتي "هيروشيما" "وناجازاكي" خلال المراحل الأخيرة للحرب العالمية الثانية باستخدام قنبلة نووية بسبب رفض استسلام اليابان استسلاماً كاملاً بدون أية شروط، ممّا دفع الولايات المتحدة إلى إطلاق السلاح النووي على مدينة "هيروشيما" يوم الاثنين الموافق ٦ أغسطس عام ١٩٤٥م، ثم تلاها إطلاق قنبلة أخرى على مدينة "ناجازاكي" في التاسع من شهر أغسطس، وكانت هذه الهجمات هي الوحيدة التي تمت باستخدام الأسلحة النووية في تاريخ الحرب. وقد قتلت القنابل ما يصل إلى (١٤٠،٠٠٠)شخص في "هيروشيما"، و (٨٠،٠٠٠) في "ناجازاكي" ، حيث مات ما يقرب من نصف هذا الرقم في نفس اليوم الذي تمّت فيه التفجيرات، واحترق الناس في الشوارع والحدائق العامّة والمنازل في ساعات قليلة، ومن بين هؤلاء مات (١٥-٢٠ ٪) متأثّرين بالجروح، أو بسبب آثار الحروق، والصدمات، والحروق الإشعاعية، يضاعفها الأمراض، وسوء التغذية والتسمم الإشعاعي الذي ما زال ينشر أمراض السرطان وغيره بين الناس هناك.[٢]



صورة لمدينة هيروشيما يظهر فيها الدّمار الشامل بعد إلقاء القنبلة النووية عليها

١- مقالة بعنوان: «الحرب على البيئة أمثلة من العراق ولبنان وفلسطين». المهندس عماد سعد،على الموقع التالي: http://amjad68.jeeran.com/archive/2009/7/902297.html. مقالة بعنوان: «الحروب العسكرية وأثرها على فساد البيئة». محمد مرسي محمد مرسي، مجلة الجندي المسلم، العدد (١٢٠) ٢٠٠٥/٠٧/٠١.

٢- خضر، هشام، الحرب العالمية الثانية ص ٥٦٥. لاوند، رمضان، الحرب العالمية الثانية ص٥٨٠. الهجوم النووي على هيروشيما وناجازاكي، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الموقع التالي: http://ar.wikipedia.org/wiki



صورة الرجل الوحيد الذي نجا من الموت في هيروشيما بعد إلقاء القنبلة النووية

٢. فيتنام: أمّا في حرب فيتنام فقد حدث ما يفوق الخيال، حيث استغلّت القوات الأمريكية تفوقها التكنولوجي في إسقاط أمطار صناعية لإحداث سيول جارفة لقتل وتشريد آلاف الفيتناميين، وإهدار آلاف الأطنان من التربة الخصبة، وضاعت إلى الأبد كما ضاع معها أبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ.[١] كما استخدمت قنابل النابالم الحارقة لحرق الغابات وغيرها، أضف إلى ذلك استخدام محاليل تعرية الأشجار من أوراقها لكشف تحرّكات الثوار، وذلك عل مساحة ٢٥٠ ألف فدان، وبعد ما حلّ بالأشجار ما يكفي من اليباس والجفاف، بحيث تصبح قابلة للاشتعال، أشعلت النار في قسم من الغابة المستهدفة بواسطة إطارات الشاحنات القديمة والزيوت.[٢]

وبعد انتهاء حرب فيتنام ولد حوالي نصف مليون طفل مشوّه بسبب غاز "الديوكسين" المتصاعد أثناء العمليات الحربية استنشقته الأمهات الحوامل آنذاك.

٣. السلفادور: في صراعات السلفادور استخدمت قنابل الفوسفور الأبيض واستغل "النابالم" في حرق الغابات، مما أدى إلى دمار كبير في البيئة هناك.

٤. كولومبيا: أمّا في نزاعات كولومبيا، فكانت هناك أمثلة صارخة على الانتهاكات البيئية، حيث دمّرت أنابيب النفط، وتم سكب ملايين البراميل من النفط الخام في الأنهار وتلوّثت مياه الشرب ومياه الري، ونفقت الأسماك والأحياء الأخرى، واحترقت مساحات كبيرة من الغابات وتلوّث الهواء الجوي. وقدّرت قيمة النفط المنسكب في أنهار كولومبيا بحوالي (٢٦) مليون دولار أميركي، وحيث إن الأضرار البيئية لا تعترف بالحدود الدولية فقد تسلّل التلوّث النفطي إلى أنهار فنزويلا حيث تواجه الحكومة هناك صعوبات في آلية التعامل مع التلوّث النفطي.[٣]

١- مقالة بعنوان: «البيئة وصراعات القوى». على الموقع التالي:
.http://www.greenline.com.kw/env&pol/015.asp

٢- سيمور، جون، بعيداً عن الفردوس، ص ١٧٤.

٣- المرجع نفسه.

٥. فلسطين: ومن المؤكد أنّ الأراضي الفلسطينية قد تضرّرت بشكل مباشر من ممارسات الاحتلال المتمثّلة في القصف المتكرّر للأراضي وتجريفها، وبسبب الجدار العازل، خصوصاً تلك الأراضي القريبة من الحدود مع خط الهدنة، وبلغت مساحة الأراضي المجرّفة من قبل الاحتلال التي تأثّرت بالتخريب المباشر وغير المباشر في قطاع غزّة ما يزيد عن (١٠٠) كيلو متر مربع أي بنسبة تصل حوالي (٢٧٪) من إجمالي مساحة قطاع غزّة، كما تعطّل عمل محطات معالجة المياه العادمة، وتم ضخ هذه المياه دون معالجة إلى الكثبان الرملية ممّا أحدث تلوثاً مباشراً وخطيراً للتربة والأراضي، أدّى ذلك إلى نقص حاد في كمية الخضراوات والفواكه المزروعة في قطاع غزة[١]

كما بلغت مساحة الأراضي المجرّفة من أملاك السلطة الفلسطينية حوالي (١٢٩٦) دونماً تركّز معظمها في محافظة جنين، بينما بلغت مساحة الأراضي المجرفة من الأملاك الخاصة حوالي ٢١٠٠٢ دونماً، تركز معظمها في محافظة القدس؛ حيث كانت معظم الأراضي المجرفة مزروعة بالزيتون والمحاصيل الحقلية ثم الحمضيات.[٢]

وقد تسبّب الجدار العازل الذي أقامته إسرائيل في الأراضي الفلسطينية في تدمير القطاع الزراعي والمائي، كما تسبب في تدمير المعالم والمآثر التاريخية والحضارية، ففي القطاع الزراعي أدى إلى اقتلاع آلاف الأشجار والمزروعات، وتحويل الأراضي التي صودرت إلى مناطق جرداء بعد أن كانت مناطق خضراء، حيث دمّر أكثر من (٨٣) ألف شجرة، و(٣٧ كم) من شبكات الري، و(١٥ كم) من الطرق الزراعية، ودمّر صناعة زيت الزيتون، وأثّر على إنتاج الفاكهة والخضراوات.[٣]

وقد عمل الاحتلال الإسرائيلي على تلويث المياه في فلسطين عبر دفنه للنفايات وخاصّة السامّة منها بالقرب من التجمعات الفلسطينية، وعبر المياه العادمة ومخلّفات المصانع، وللمستوطنات الصهيونية دور في هذا التلوّث الذي نشر الأمراض السرطانية القاتلة في المناطق القريبة من هذه الملوّثات.[٤]

١- تفكجي خليل، الاستيطان ومصادرة الأراضي، بلا طبعة ص١٣. يوسف أبو صفية، تقرير وزارة البيئة الفلسطينية لعام ٢٠٠٤م، ص ٨. برنامج غزّة للصحّة النفسية يعقد مؤتمراً بعنوان:تداعيات الحصار على المواطنين في قطاع غزّة وتأثيراته على الصحّة النفسية"، Jan.٣١، ٢٠٠٨ ، على الموقع الالكتروني: http://www.gcmhp.net/File. الريس ناصر، جدار الفصل والقانون الدولي ص ١٥. مقالة بعنوان:"حرب الاحتلال غير المعلنة على البيئة الفلسطينية"، على الموقع الالكتروني:
http://www.beaah.com/home/Env-articles/envNews/2007/8-may-palestime.html.

٢- ملحس، غانية، «جدار الفصل العنصري الإسرائيلي»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد٥٥، ٢٠٠٣م، ص ٧١.الأزعر، محمد خالد، «سور إسرائيل غير العظيم وعقلية الجيتو»، على الموقع: http://www.islamonline.net.

٣- طميزة عبد الحليم، حقوق المياه واستخداماتها التقليدية وانعكاساته على البيئة ص ٢٨٦. مؤسّسة الضمير: "الاحتلال استخدم أسلحة كيماوية ومشعة دمّرت عناصر البيئة الفلسطينية لأجيال مقبلة".على الموقع الالكتروني: http://www.alquds.com/node.

٤- طميزة عبد الحليم، حقوق المياه واستخداماتها التقليدية وانعكاساتها على البيئة، دراسة مقارنة (السودان، اليمن، فلسطين)،٢٠٠٧، ص ٢٨٦.

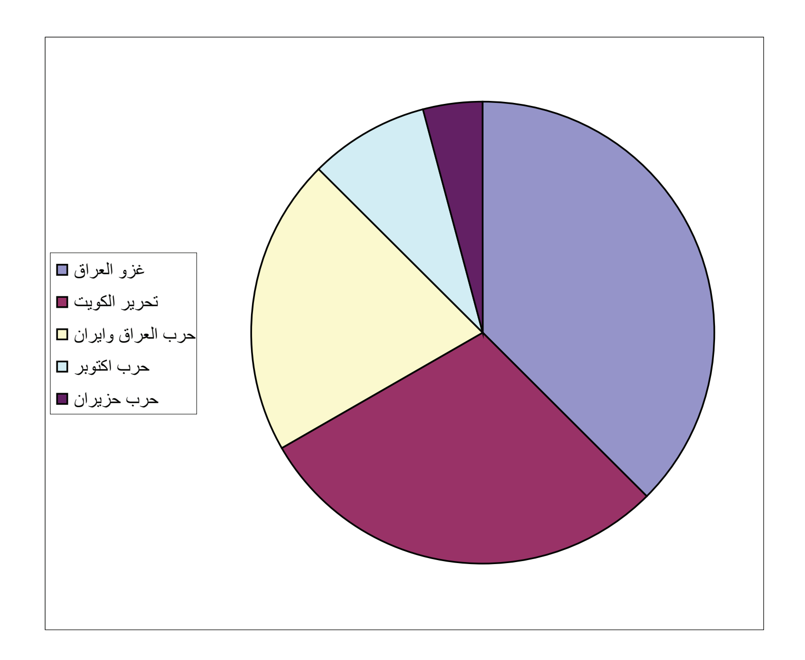
٦. العراق: كانت منطقتنا من أقل الأماكن تلوّثاً في العالم حتى أواخر عقد السبعينات من القرن العشرين، ثم تضاعف مستوى الملوّثات مع معارك الخليج خاصّة الثانية عام (١٩٩٠م) والثالثة عام (٢٠٠٣م)، فانفجارات الصواريخ والقنابل والقذائف ولّدت تلوّثاً واضحاً للهواء في أجواء البيئة، فضلاً عن المنشآت والمصانع والمعامل وآبار النفط التي شملتها العمليات العسكرية وقد أدى القصف بأنواعه المختلفة من قبيل قوات الاحتلال وحرق الجيش العراقي لمنشآت وآبار نفطية، وسكب كميات منه في الخليج إلى تصاعد الأبخرة الكيماوية وسحابات الدخان التي تحتوي على غازات سامّة وخطرة.[١]



صورة تظهر آثار تسرّب النفط على البيئة

لقد تمّ قذف العراق بحوالي (١٥٠) ألف طن من المتفجّرات في الحرب الأولى، و(٢٠٠) ألف طن في الحرب الثانية، وتمّ قصفه بقذائف اليورانيوم المنضّب وغير المنضب ممّا أدى إلى تدمير البنية التحتية والاقتصادية والزراعية والصناعية والثقافية والاجتماعية لهذا البلد الذي كان مرتعاً وموطناً لسياح العالم بسبب جماله الطبيعي الساحر الخلاّب.[٢] والمخطط التالي يبيّن تقديرات حجم التلوّث وانعكاساته على بيئتنا بسبب بعض المعارك الحربية خلال خمسة عقود من الزمن، حيث يلاحظ ازدياد حجم التلوث الناجم عن الحروب اللاحقة عنه في الحروب السابقة بسبب تطوّر الأسلحة والوسائل القتالية وخاصّة غير التقليدية.

١- ذياب، عماد محمد ذياب، البيئة حمايتها تلوّثها مخاطرها ص ٤٩-٥١.
٢- المرجع السابق ص٥٣- ٥٤.



إنّ استخدام قذائف اليورانيوم أدّى إلى آثار إشعاعية مدمّرة على الناس والكائنات والبيئة، فحين ترتطم هذه القذائف بهدفها، تتحوّل تحت تأثير الحرارة العالية إلى جسيمات دقيقة من "أكاسيد اليورانيوم"، وتنتشر على شكل ضباب يلوّث المنطقة المحيطة. وهي تسبب أنواعاً من السرطانات، خاصّة "اللوكيميا"، إضافة إلى تشوّهات جسدية وتدهور في وظائف الكلى.(١)

وقد أكدّت دراسة حملت اسم «واقع البيئة العراقية خلال سنوات الاحتلال» وأعدّتها لجنة البيئة في المنظمة العراقية للمتابعة والرصد (معمر) أنّ قوات الاحتلال قد قامت باقتلاع أكثر من (١١) مليون شجرة ونخلة، وكشفت الدراسة أنّ مئات الآلاف من الحيوانات والطيور والأسماك هلكت طوال السنوات الثلاث المنصرمة،كما أنّ تقلّص المساحات الزراعية وزيادة مخاطر التصحّر بلغ مستوى خطيراً لم يشهد العراق مثله سابقاً.(٢)

ولم يقتصر أثر الحرب على العراق فقط، بل تأثّرت بذلك جميع دول المنطقة وخاصّة دول الخليج العربي، حيث تمّ سكب ملايين البراميل من النفط الخام في مياه الخليج العربي، ممّا أدّى إلى تلوث شواطئها ليكون أكبر تلوّث نفطي يشهده العالم.

١- طميزة عبد الحليم، حقوق المياه واستخداماتها التقليدية وانعكاساته على البيئة ص ٢٨٦. مؤسّسة الضمير: "الاحتلال استخدم أسلحة كيماوية ومشعة دمّرت عناصر البيئة الفلسطينية لأجيال مقبلة".على الموقع الالكتروني:http://www.alquds.com/node.

٢- صابية فاروق وآخرون، تقرير بعنوان: «استمرار الأضرار الجانبية التأثيرية الصحيّة والبيئية للحرب على العراق ٢٠٠٣». تقرير منظمة «ميراكت» الطبية العالمية، ٢٠٠٤، ص ١٢.مقالة بعنوان: «العراق خلال سنوات الاحتلال يفقد ١١ مليون شجرة والميلشيات تستخدم مزارع الدولة لإنتاج المخدرات والحشيش». كتبها: المنظمة العراقية للمتابعة والرصد(معمر)/ الرصد العراقي، في ٣/كانون الثاني/٢٠٠٧ .



صورة تظهر آثار أسلحة الدّمار الشامل على مواليد مدينة الفلوجة العراقية

٧. لبنان: تأثّرت البيئة اللبنانية خصوصاً منذ عام (١٩٧٥م) تأثراً مباشراً بالعمليات العسكرية والصراعات الداخلية والاجتياحات الإسرائيلية المتتالية، ونتج الضرر البيئي عن التدمير المباشر بالنيران والانفجارات وشق الطرق العسكرية، ومن تدمير غير مباشر نتيجة الفوضى التي عانتها البلاد، ولقد كانت الحرب سبباً مباشراً في تدمير البيئة الطبيعية اللبنانية والبنية التحتية، فالغابات احترقت بالنيران والقذائف، والزراعة أهملت لهجر الأراضي، والتحاق الشباب بالمليشيات، وشبكات المياه والجسور دمرت بإصابات مباشرة، ففي بيروت مثلاً دمرت الحرب (٦٠٪) من موارد المياه، وأدى تلف الشبكة إلى إهدار مياه الشرب واختلاطها بمياه المجاري أحياناً، كما أدى رمي النفايات المنزلية والصناعية عشوائياً وفي مكبات غير سليمة إلى تلوث التربة والمياه الجوفية.(١)

٨. مصر: تعتبر مصر من أكثر دول العالم وأول دولة عربية وإسلامية تضرّراً من مشكلة الألغام التي تتأثّر بها البيئة في مصر تأثيراً سلبياً على الأفراد والجماعات وعلى المجتمع ككل، حيث يبلغ عدد الألغام والأجسام القابلة للانفجار والمنتشرة في البيئة المصرية نحو (٢٢) مليون لغم تمثّل ما يزيد على ٢٠٪ من إجمالي الألغام المزروعة في العالم، كما يبلغ إجمالي المساحة المزروعة بالألغام نحو (٢٤٨) ألف هكتار، وقد نشأت

١- تقرير وزارة البيئة اللبنانية لعام ٢٠٠٣، ص ٢٧. مجموعة من المؤلفين، ٣٣ يوم حرب على لبنان، ترجمة احمد أبو هدبة، مركز الدراسات الفلسطينية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٣٧/٢١٥.

المشكلة الرئيسة للألغام في مصر بفعل مخلفات الحرب العالمية الثانية عام(١٩٤٢م). ولقد أدّى وجود تلك الألغام والأجسام القابلة للانفجار إلى العديد من المشكلات البيئية والاقتصادية والاجتماعية لمصر؛ حيث تسبّبت تلك الألغام في عدم إفادة مصر على مدى أكثر من(٦٠) عاماً من مناطق وعرة مزروعة بالألغام، وتوقف استصلاح نحو مليون فدان صالحة للزراعة.[١]

أقول: إنّ العلاج الناجح لأي خلل في البيئة العالمية ممّا تعانيه اليوم من هذه الحروب وغيرها إنما يكون بكف الأذى ورفع الأيدي عن النواميس الطبيعية التي أودعها **الله** سبحانه وتعالى في هذا الكون، وأنه لن تستطيع التقنية المعاصرة ولا الثراء العريض، لن يستطيع كل هذا أو غيره توفير سبل التغلّب على مشكلات الإنسان جميعاً بما فيها مشكلات البيئة ما لم تصدر هذه التقنيات عن وجهة نظر إسلامية تحترم السنن الكونية التي أودعها **الله** سبحانه وتعالى في خلقها، وتتفاعل وتتعامل مع مقوّمات البيئة على أنها نعم تستوجب شكر المنعم، ولن يكون ذلك أولاً وأخيراً إلاّ بإيمان حقيقي بـ**الله** تعالى تنقشع بفضله هذه الظلمات: «ولا تبغ الفساد في الأرض إن **الله** لا يحب المفسدين...».[٢]

المبحث الخامس ـ الانفجار السكاني وتلويث البيئة:

من الطبيعي أن يرافق هذا العدد الهائل من البشر زيادة في الطلب على الموارد البيئية الذي بدوره يؤدّي إلى رفع الإنتاج الزراعي والصناعي وتنشيط الحركة التجارية، وذلك لتوفير الأمن الغذائي لهذه الأعداد السكانية التي تتزايد باستمرار. ومع هذه الزيادة المتسارعة للناس وما صاحب ذلك من نتائج الثورة الزراعية والصناعية أخذ الإنسان يستنفذ ما في البيئة من موارد وطاقات وخاصّة استنزاف الموارد غير المتجدّدة كالبترول والمعادن.[٣]

ومع ازدياد المصانع والمرافق الزراعية ازدادت الملوّثات التي ساهمت في تردّي البيئة المحيطة بنا وما ترتّب عليها من تلوّث الهواء والماء والتربة.[٤]

ويقدّر الخبراء أن يصل عدد السكان عام (٢٠٢٥م) إلى (١٤،٢) مليار نسمة إذا استمر معدّل النمو السكاني على الوتيرة الحالية، حيث يقدّر عدد السكان اليوم بأكثر من خمسة مليارات نسمة.[٥]

أما أخطار التزايد السكاني على البيئة فتتلخّص في النقاط الآتية:

١. الاكتظاظ السكاني وما ينتج عنه من مشاكل بيئية واجتماعية وصحية.
٢. الهجرة من الريف إلى المدينة، وتفريغ الريف من المزارعين، وتدهور التربة.

١- تقرير وزارة البيئة، مصر لعام ٢٠٠٤م.
٢- المرجع السابق.
٣- علياء بوران، علم البيئة ص٢٤٣.
٤- المرجع السابق ص٢٤٤.
٥- المرجع نفسه.

٣. توسيع المدن وبناء المصانع والمنازل على حساب الأراضي الزراعية المنتجة، فيقل التشجير الذي يساهم في امتصاص الغازات السامّة التي تنبعث من المصانع والمعامل.

٤. الاستعمال المفرط والخاطىء للمخصّبات والمبيدات الزراعية من قبل المزارعين، وذلك لتوفير أكبر قدر من الغذاء في فترة سريعة ووجيزة لسد احتياجات السكان.[١]

٥. ازدياد السكان يشكل عبئاً على خصوبة الأرض الزراعية وعلى المراعي.[٢]

٦. الضغط السكاني يعطّل المنظومات البيئية، ففي موريتانيا وغيرها من البلدان المحاذية للصحراء تحوّلت ٨٠٪ أو أكثر من المراعي التي يعتاش منها البدو الرّحل وقطعانهم إلى صحراء.[٣]

ولمواجهة مشكلة التزايد السكاني لجأت بعض الدول كالصين إلى تحديد النسل بحيث يمنع على الأسرة إنجاب أكثر من فرد واحد، ويتم محاكمة من يتجاوز القانون المنصوص عليه في هذه الدول لتحقيق هذه الغاية، كما لجأت بعض الدول إلى وضع خطط واستراتيجيات لمواجهة ذلك من خلال الدعوات المتكرّرة لتنظيم النسل عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ومراكز الرعاية والأمومة، وحث الأسر عن طريق محفّزات معينة لدعم هذا التوجّه.

ولا شك أنّ الإسلام لا يمنع تنظيم النسل في ظروف خاصّة، ولأسباب صحية وشخصية يتفق عليها الزوجان، والدليل على ذلك ما جاء عن جابر قال: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ –صلى **الله** عليه وسلم– وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ».[٤] وعنه قال: «كُنَّا نَعْزِلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ **اللَّهِ** – صلى **الله** عليه وسلم– فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِي **اللَّهِ** – صلى **الله** عليه وسلم– فَلَمْ يَنْهَنَا».[٥] أمّا تحديد النسل وهو منع الإنجاب بحيث لا تؤدّي الأعضاء التناسلية وظيفتها التي خلقت من أجلها لغير ضرورة شرعية فلا يجوز شرعاً،[٦] ودليلهم على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد **الله** بن عمرو قال: جاء رجل إلى رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– فقال: يا رسول **الله** ائذن لي أختصي؟ فقال رسول **الله**: «خصاء أمّتي الصيام والقيام».[٧] فنهاه عليه الصلاة والسلام عن الرهبانية، وأرشده إلى ما يقوم مقامها في حصول الثواب، بل هو أعظم منها فيه وأيسر، وهو الصيام والقيام في الصلاة، يعني التهجد في الليل فإنّ الصوم يضعف الشهوة ويكسرها، والصلاة تذبل النفس، وتكسب النور، وبذلك ينكسر باعث الشهوة، فتذل النّفس وتنقاد إلى ربها.[٨]

١– المرجع نفسه ص ٢٤٦.

٢– جون سيمور، وهربرت جيرارد، بعيداً عن الفردوس، ترجمة: عفيف تلحوق، دار الحمراء، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٧١.

٣– المرجع السابق ص ١٤٢.

٤– رواه البخاري، كتاب النكاح، باب العزل، صحيح البخاري١٧/٣٢٧، حديث رقم (٥٢٠٩).

٥– رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، صحيح مسلم ٩/٢٨٠، حديث رقم (٣٦٣٤).

٦– للاستزادة انظر بحث الدكتور محمود السرطاوي بعنوان: «تنظيم النسل في الإسلام»، منشور في مجلة دراسات وأبحاث في القضايا السكانية، وزارة العمل، ١٩٨٥، الأردن.السرطاوي، محمود، الأحوال الشخصية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ص١٩ وما بعدها، ط١، ٢٠٠٠م، عمان، الأردن.

٧– مسند أحمد ١٤/٣٠٠. حديث رقم(٦٧٧١). الحديث رجاله ثقات وفي بعضهم كلام .الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/٢٩٣.

٨– المناوي، فيض القدير٣/٤٤٠.

الفصل الرابع
رؤية الإسلام في تجميل البيئة

المبحث الأول ـ نظرة تاريخية:

اهتم الإنسان منذ القدم بتجميل البيئة حوله، فقد شهدت منطقتنا بداية الحضارات الإنسانية في اليمن والجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام، وقام الإنسان بحفر الأنهار والجداول، وإقامة السدود، وتنفيذ شبكات الري والأبنية.[١] فالفراعنة مثلاً كانت مساكنهم منظّمة، مبنية من الطين. كما اتصف قدماء المصريين بالأناقة والنظافة، وكذلك منازل الفلاحين كانوا يقومون بكنسها ورشها وعملوا على القضاء على الحشرات المنزلية والفئران والبعوض والذباب.[٢]

واشتهر الرومان باتخاذ إجراءات هامّة لمعالجة أمور المياه والمجاري والنفايات.[٣]وكانت حياة الحيوانات محمية بقانون العقوبات عند قدماء المصريين، حيث كان يعاقب بالإعدام من قتل حيواناً عمداً.[٤]وهذا كلّه يساهم في تحسين البيئة وتجميلها وتنميتها.

ونجد في التاريخ أيضاً أنّ أهل مدينة «بابل» قد جلبوا لبيئاتهم المختلفة نباتات المناطق الجبلية والمرتفعة، ونفّذوا فيها وسائل متقدّمة لرفع المياه إلى ارتفاعات تقدّر بعشرات الأمتار، كما جلبوا الحيوانات التي تمّ أقلمتها مع هذه البيئة الجديدة، كما جلب سكان الرافدين الحيوانات المختلفة من العالم كالفيلة والأسود والنمور والتماسيح، وأقاموا لها البيئات المناسبة لمعيشتها وتكاثرها، فعملوا ما يشبه حدائق الحيوانات المفتوحة والمغلقة، وهنالك في مدينة تدمر في سوريا والبتراء في الأردن من المناظر البيئية الخلاّبة التي تسر النّاظرين.[٥]

ولا يفوتنا أن نذكر الفردوس المفقود (الأندلس) وما فيها من مناظر جميلة أدهشت العالم في غرناطة وقرطبة وغيرها من المدن التي بناها المسلمون هناك زمن عزتهم وقوتهم.

المبحث الثاني ـ أهميّة الجمال في الإسلام:

لا شك أنّ الجمال أمر يحبه **الله** تعالى، فهو الجميل الذي يحب الجمال، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:

- عن عبد **الله** بن مسعود عن النبي– صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال: «إنّ **الله** جميل يحب الجمال».[٦]

١– ذياب، عماد محمد ذياب، البيئة حمايتها تلوّثها مخاطرها ص ص٢٧.
٢– الوهاب، احمد عبد، التشريعات البيئية، الدار العربية للنشر، ط١، ١٩٩٥، القاهرة، ص ٣٤.
٣– المرجع السابق ص٣٥.
٤– المرجع نفسه ص٣٥.
٥– عماد محمد، البيئة حمايتها وتلوّثها ص ٢٧–٢٨.
٦– رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه. صحيح مسلم ٩٣/١. حديث رقم (٩١).

- وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنّ الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى نعمته على عبده ويبغض البؤس [1] والتباؤس[2]».[3]
- وعن مالك بن مرارة الرهاوي قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا يدخل الجنة مثقال حبة خردل من كبر، ولا يدخل النار مثقال حبة خردل من إيمان، فقلت: يا رسول الله إني أحب أن أتجمل بنقاء ثوبي وبطيب طعامي، وبحسن مركبي، أفمن الكبر ذاك؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إني أعوذ بالله من البؤس والتباؤس». ثم قال: «ليس ذلك في الكبر، ولكن الكبر بطر الحق وغمض الناس».[4]

والسبب في عدم جعل التجمّل من الكبر؛ لأنّه إنّما أعطاه ما أعطاه ليبرزه إلى جوارحه ليكون مكرماً لها، فإذا منعه فقد ظلم نفسه، ويكره البؤس وهو شدّة الحال والفاقة. والتباؤس: إظهار الفقر والحاجة.[5] وقد أشارت كثير من الآيات القرآنية إلى تجميل البيئة وأهميّة ذلك بالنسبة للإنسان، وإليك تفصيل ذلك:

1. نجد أنّ كثيراً من الآيات تحدثّت عن الحدائق والبساتين وكيف أنّ هذه الحدائق تدخل البهجة والسرور إلى نفوس الناظرين إليها قال تعالى: «وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ».[6]
2. وتحدثت بعض الآيات عن الجنان والبساتين الكثيفة بأشجارها والتي تعطي البيئة منظراً ساحراً مؤثّراً، قال تعالى: «وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً».[7]

المبحث الثالث ـ التشريعات الإسلامية في تجميل البيئة:

حرص الإسلام على أن تكون البيئة جميلة حسنة خالية من كل شيء يؤثّر في جمالها ورونقها؛ ليستفيد منها الإنسان كما أراد الله تعالى له، وحتى تظل البيئة جميلة شرع الإسلام بعض التشريعات التي تساهم في ذلك:

1. حارب التصحّر، وذلك بالحثّ على تعمير الأرض وإحيائها واستصلاحها وتشجيرها؛ حتى لا تظل جرداء قاحلة، فعن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق». قال عروة: قضى به عمر -رضي الله عنه- في خلافته.[8]

١- البؤس: الشدة والفقر. ابن منظور، لسان العرب ٢٠/٦.

٢- التباؤس: إظهار الفقر وشدة الحاجة. المناوي، فيض القدير ٢٠٢/٢.

٣- القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. باب إنّ الله جميل يحب الجمال. حديث رقم (١٠٦٧)، ١٤٣/٢. قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح وضعيف الجامع الصغير٧٠/٧.

٤- مسند الشاميين ٤٢٣/١. حديث رقم (٧٤٥).

٥- المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. ٢٤٣/١.

٦- (النمل: ٦٠).

٧- (النبأ: ١٦).

٨- رواه البخاري،كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً. صحيح البخاري ٨٢٣/٢. حديث رقم (٢٢١٠).

٢. شرع المزارعة والمساقاة لحاجة الناس إليهما؛ وحتى لا تظل الأرض بوراً لا ينتفع بها أحد، وهذا من شأنه أن يشجّع الاستثمار واستصلاح الأراضي، ويؤدّي إلى زيادة الإنتاج، وتبادل المنافع، وتوفير فرص عمل للعاطلين، وهذا كلّه يدفع عجلة الاقتصاد إلى الأمام. والدليل على ذلك ما يلي:

- عن نافع أنّ عبد **الله** بن عمر –رضي **الله** عنهما– أخبره: أنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– عامل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع.[1]

- وعن ظهير بن رافع أنه قال: لقد نهانا رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– عن أمر كان بنا رافقاً. قلت: ما قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– فهو حق. قال: دعاني رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «ما تصنعون بمحاقلكم؟[2]». قلت: نؤاجرها على الربع وعلى الأوسق[3] من التمر والشعير. قال: «لا تفعلوا ازْرَعوها أو أَزْرِعوها أو أمسكوها».[4] ففيه حث للمسلمين من أصحاب الأراضي على زراعتها، أو منحها لغيرهم لزراعتها حتى لا تظل بوراً لا ينتفع بها.

- عن جابر –رضي **الله** عنه– قال :كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف فقال النبي –صلى **الله** عليه وسلم–: «من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه»[5] فهذه دعوة للمسلمين أن يتمانحوا أراضيهم، وأن يرفق بعضهم بعضاً.[6] وعن ابن عباس أنّ رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–لم يحرّم المزارعة، ولكن أمر أن يرفق بعضهم ببعض.[7]

٣. نهى عن قطع الشجر إلاّ في حالات خاصّة كإضعاف العدو. قال تعالى: «مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ **اللَّهِ** وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ».[8] وقد نزلت هذه الآية في تقطيع وتحريق بعض النخيل لبني النضير عند حصارهم، وقطع من البستان المعروف بالبويرة.[9] قال ابن قدامة: ويجوز هدم بنيانهم وقطع شجرهم وحرق زرعهم إذا احتيج إليه للتمكّن من قتالهم و نحوه.[10]

١- متفق عليه. رواه البخاري،كتاب المزارعة، باب إذا لم يشترط السنين في المزارعة. صحيح البخاري ٨٢٠/٢. حديث رقم (٢٢٠٣). ورواه مسلم،كتاب المساقاة ،باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع. صحيح مسلم ١١٨٦/٣.حديث رقم (١٥٥١).

٢- محاقلكم: أي مزارعكم واحدتها محْقَلة من الحقْل الزرع مادة (حقل). ابن منظور، لسان العرب ١٦٠/١١.

٣- الوَسْقُ والوِسْقُ: مِكْيَلَة معلومة. وقيل: هو حمل بعير، وهو ستون صاعاً بصاع النبي عليه الصلاة والسلام. مادة (وسق). ابن منظور، لسان العرب ٣٧٨/١٠.

٤- سبق تخريجه.

٥- سبق تخريجه.

٦- العيني، عمدة القاري ١٨٢/١٢.

٧- المرجع السابق ١٨٣/١٢.

٨- (الحشر:٥).

٩- الشنقيطي، أضواء البيان ٢٨/٨.

١٠- ابن قدامة، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ١٢٢/٤.

وسبب النهي عن قطع الشجر أنّ قطعه يؤثّر على جمال البيئة من جهة، ويحرم الناس والحيوان من الاستفادة منه من جهة ثانية، فعنه –صلى الله عليه وسلم– قال: «لا تقطعوا الشجر فإنه عصمة للمواشي في الجدب».[١] وعن مجاهد قال: «لا يقتل في الحرب الصبي ولا امرأة، ولا الشيخ الفاني، ولا يحرق الطعام ولا النخل، ولا تخرّب البيوت، ولا يقطع الشجر المثمر».[٢]

٤. أمر الإسلام بإماطة الأوساخ والقاذورات وكل ما فيه أذى عن الطريق حتى تظل الأرض نظيفة جميلة تسر الناظرين إليها، فدعا إلى إزالة النخامة (البصاق) من المسجد، وأمر بإماطة الأذى عن الطرقات وغيرها من الأماكن.[٣] وكذلك الجزّار إذا كان يذبح في الطّريق، فيلوّث الطّريق بالدّم والفرث منكر يجب المنع منه، ولا يصح طرح القمامة مثل الحيوان الميّت من هرّة أو دجاجة على جوانب الطّريق فكل ذلك من المنكرات.[٤] ولذلك قال أهل العلم: من ماتت له بهيمة في الطريق لزمه نقلها منها، وأنها لو ماتت في داره لم يجز له طرحها في الطريق.[٥]

وقد بيّن الإسلام أنّ كل عمل وردت فيه سنة ينبغي رعايتها حتى قضاء الحاجة وإماطة الأذى أدخل فاعله الجنة.[٦] ومن الأحاديث في ذلك:

- عن أبي برزة الأسلمي قال: قلت: قلت يا نبي الله علمني شيئاً أنتفع به قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين».[٧] اعزل الأذى: أي أبعده.
- وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال عليه الصلاة والسلام: «كل سُلاَمَى [٨]من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة».[٩] فإزالة الأذى عن الطريق من نحو شوك وحجر وكل ما يؤذي السالك فيه فإنه لك صدقة أي: تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة، فإنه تسبب إلى سلامة من يمر عليه من الأذى، فكأنه تصدّق عليه بذلك، فحصل له أجر الصدقة.[١٠]
- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «مرّ رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم، فأدخل الجنة».[١١] فبسبب فعله ذلك وبرحمة من الله تعالى أدخل الجنة مكافأة له على صنيعه.[١٢]

١– سبق تخريجه.
٢– مصنف ابن أبي شيبة ٤٨٣/٦.
٣– القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ٧٠/١١.
٤– الموسوعة الفقهية الكويتية ١١٢/٤١.
٥– حواشي الشرواني ٤/ ٣٩٥.
٦– المناوي، فيض القدير ٨٦/٦.
٧– رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، صحيح مسلم ٢٠٢١/٤. حديث رقم(٢٦١٨).
٨– السُلامى: عظام الأصابع. ابن منظور، لسان العرب ٢٨٩/١٢. مادة (سلم).
٩– رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب من أخذ بالركاب ونحوه. صحيح البخاري ١٠٩٠/٣. حديث رقم (٢٨٢٧).
١٠– المناوي، فيض القدير ١٩٥/٢.
١١– رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق. صحيح مسلم ٢٠٢٠/٤. حديث رقم (١٩١٤).
١٢– المناوي، فيض القدير ٥٢٠/٥.

- وعن أبي هريرة عن النبي–صلى **الله** عليه وسلم– قـال: «لقد رأيت رجلاً يتقلّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي النـاس».[١] يتقلّب في الجنـة: أي يتنعّم في الجنة بملاذهـا بسبب قطعه الشجر المؤذي.

٥. حثّ على النظافة في المساجد والبيوت والمنـازل والساحـات والطرقـات وسـائر الأمـاكن، فقد ذكر أهل العلم أنّ المروءة النظافة وطيب الرائحة.[٢] ومن الأحـاديث في ذلك:

- روى الطبراني عن عبد **الله** عن رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– قـال: «تخلّلوا فـإنّه نظافـة، والنظافة تدعو إلى الإيمـان والإيمـان مع صـاحبه في الجنـة».[٣]
- وعن عـامر بن سعد عن أبيه قـال: قـال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «طهّروا أفنيتكم»[٤]
- وقـال رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم–: «طيّبوا سـاحـاتكم فـإنّ أنتن السـاحـات سـاحـات اليـهود»[٥]
- وعن سعد بن أبي وقـاص قـال: قـال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «طهّروا أفنيتكم فـإنّ اليهود لا تطهّر أفنيتهـا».[٦]
- وعن جويرية بن أسمـاء أنّ عمر بن الخطـاب قدم مكّة فجعل يجتـاز في سككها فيقول لأهل المنـازل: «قُمُّوا[٧] أفنيتكم». فمر بـأبي سفيـان فقـال له: «يـا أبـا سفيـان قُمّوا قمّوا فنـاءكم». فقـال: نعم يـا أمير المؤمنين حتى يجيء مهـاننـا.[٨]ثمّ إنّ عمر اجتـاز بعد ذلك، فرأى الفنـاء كمـا كـان فقـال: «يـا أبـا سفيـان ألم آمرك أن تقمّوا فنـاءكم ؟» قـال: بلى يـا أمير المؤمنين ونحن نفعل إذا جـاء مهـاننـا. فعلاه بـالدرّة فضربه بين أذنيه، فسمعت هند فقـالت: أبصر بـه، أمـا **والله** لرُب يوم لو ضربته لاقشعر بك بطن مكّة، فقـال عمر: «صدقت ولكنّ **الله** رفع بـالإسلام أقوامـاً ووضع بـه آخرين».[٩]
- وقـال علي عليه الصلاة والسلام لقوم: «مـا لكم لا تنظّفون عذراتكم يريد أفنيتكم؟»[١٠] فـانظر كيف حرص حكـام المسلمين على نظـافة مدنهم وحواضرهم، فكـانوا يطوفون الطرقـات للتـأكّد من نظافتهـا، ويحثّون النـاس على تنظيف منـازلهم وسـاحـاتهم ويضربونهم إن قصّروا في ذلك.
- وفي حديث فـاطمة أنهـا قمّت البيت حتى اغبرت ثيـابهـا.[١١] أي كنّسته. وهو دليل على حرص المرأة المسلمة على نظافة منزلهـا ومـا حوله.

١– رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق. صحيح مسلم٤/٢٠٢٠. حديث رقم (٦٨٣٧).
٢– ابن حبان، محمد البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، ص ٢٣٢.
٣– الطبراني، المعجم الأوسط ٢١٥/٧. حديث رقم (٧٣١١). ووقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن وهو الأشبه. المنذري، الترغيب والترهيب ١٠٣/١.
٤– سبق تخريجه ص ٢٨.
٥– الهندي، كنز العمال ١٦٦/١٥، حديث رقم (٤١٤٩٩). قال الألباني: حسن. صحيح وضعيف الجامع الصغير ٤٦٣/٣.
٦– الهندي، كنز العمال ١٦٦/١٥، حديث رقم (٤١٤٩٨). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. الهيثمي، مجمع الزوائد ٢٨٦/١.
٧– قموا: قَمّ البيت يقمه قماً كنّسه والقُمَّةُ: المَزْبَلَة. ابن منظور، لسان العرب ٤٩٣/١٢. الزبيدي، تاج العروس ٧٨٦٦/١.
٨– مهاننا: خدمنا وأحدها ماهن وهو العبد أو الخادم. ابن منظور، لسان العرب ٤٢٤/١٣.
٩– الهندي، كنز العمال ٢٩٧/١٢، حديث رقم (٣٦٠١٨).
١٠– ابن قدامة، المغني ٥٧/١٠.
١١– ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ١٧٨/٤.

- وعن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي –صلى الله عليه وسلم–: «دعوه وهريقوا على بوله سَجْلاً[١] من ماء أو ذَنوباً[٢] من ماء، فإنما بعثتم ميسّرين ولم تبعثوا معسّرين».[٣]
- حديث ابن سيرين أنّه كتب يَسْأَلُهم عن المُحاقَلة فقيل: إنهم كانوا يَشْتَرِطون لرَبِّ الماء قُمَامَةَ الجُرُن.[٤] أي الكُساحة والكُنَاسة والجُرُنُ: جمْع جَرين وهو البَيْدَر. وهو دليل على حرص المسلمين على نظافة بيئتهم وجمالها.

٦. مراقبة السلطة وحثّها الناس على النّظافة ومعاقبة المخالفين، وحديث جويرية السابق يدل على ذلك.
٧. أمر بالمحافظة على المياه، فحرّم هدرها والإسراف فيها لغير حاجة؛ لأنّ شحّها يؤثّر على حياة الإنسان والنبات والحيوان والبيئة بشكل عام، حيث ينشر الجفاف فيها، وتقل الخضرة، قال تعالى: «وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِين».[٥] كما حرّم تلويثها بأي نوع من الملوّثات؛ حتى تظل نظيفة طاهرة صافية ينتفع بها الجميع شرباً واغتسالاً واستجماماً وريّاً، ففي الحديث: «لا يبولنّ أحدكم في الماء الدائم ثمّ يغتسل منه»[٦]
٨. تحريم الصيد في أزمان خاصّة وأماكن خاصّة، وهذا من شأنه أن يتيح الفرصة للنباتات بالنمو والتنوّع، وللحيوانات والطيور للتكاثر والتناسل وعدم الانقراض، حيث تقوم الدول بإنشاء محميات طبيعية خاصّة لهذا الغرض وهو ما يسمّى في الإسلام بـ «أرض الحمى»، ويجوز الحمى للإمام دون غيره.[٧] وهذا يضفي على البيئة جمالاً خاصّاً ويحفظ التوازن فيها، فلا يحل صيد الحيوانات والطيور وتنفيرها للمحرم وغير المحرم في حرم مكة وحرم المدينة، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ».[٨] قال ابن كثير: وهذا تحريم منه تعالى لقتل الصيد في حال الإحرام ونهي عن تعاطيه فيه، وهذا إنما يتناول من حيث المعنى المأكول وما يتولّد منه ومن غيره، وغير المأكول من حيوانات البر، والجمهور على تحريم قتلها أيضاً.[٩]

وعن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «حرّم الله مكة، فلم تحل لأحد قبلي ولا لأحد بعدي، أحلت لي ساعة من نهار، لا يُختلى خَلاها[١٠] ولا يُعْضد شجرها، ولا ينفّر

١– السجل: الدلو الضخمة المملوءة ماء. مادة (سجل). ابن منظور، لسان العرب ٣٢٥/١١.
٢– الذَّنُوبُ: الدَّلْوُ. الزبيدي، تاج العروس ١٧٧/٢٩.
٣– رواه البخاري، كتاب الطهارة، باب صب الماء على البول في المسجد. صحيح البخاري ٨٩/١. حديث رقم (٢١٧).
٤– ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر ١٧٨/٤.
٥– (الأعراف: ٣١).
٦– سبق تخريجه.
٧– حاشية الدسوقي ٦٩/٤.
٨– (المائدة: ٩٥).
٩– تفسير ابن كثير ١٣٤/٢.
١٠– الخلى: هو الحَشيش الذي يُحْتَشُّ. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، ٢٣٥/٧. شرح النووي على مسلم ١٢٥/٩.

صيدها، ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرّف».[1] قوله: «لا يختلى خلاها»: لا يقطع عشبها. وقوله: «لا يعضد شجرها»: أي لا يقطع.[2] قال النووي: اتفق العلماء على تحريم قطع أشجارها التي لا يستنبتها الآدميون في العادة.[3] وأمّا ما زرعه الآدميون من الزروع والبقول والرياحين ونحوها فيجوز قطعه إجماعاً.[4]

وعن أنس –رضي **الله** عنه–:عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال:«المدينة حرم من كذا إلى كذا. لا يقطع شجرها، ولا يحدث فيها حدث، من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة **الله** والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل».[5]

٩. ندب إلى المحافظة على الغابات من الحرائق، فنهى أن توقد النار في مكان ثمّ تترك ولا تطفأ، فقد يؤدّي ذلك إلى اشتعال الغابات كما يحصل في كثير من دول العالم، حيث يتضح بعد التحقيق أنّ عدم إطفاء النار من قبل المتنزهين والمقوين هو السبب في ذلك والأحاديث في هذا الباب كثيرة منها:

– فعن أبي موسى–رضي **الله** عنه– قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحدث بشأنهم النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «إنّ هذه النار إنما هي عدو لكم، فإذا نمتم فأطفئوها عنكم».[6]

– وعن سالم عن أبيه: عن النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون».[7] وكما لا يجوز تركها في البيوت لا يجوز تركها في الغابات والمتنزهات من باب أولى، فالخسائر في هذه الحالة قد تفوق خسائر المنازل والبيوت.

– وعن ابن عباس– رضي **الله** عنهما– قال: جاءت فأرة، فأخذت تجر الفتيلة، فجاءت بها فألقتها بين يدي رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– على الخُمْرة[8] التي كان قاعداً عليها، فأحرقت منها مثل موضع الدرهم، فقال: «إذا نمتم فأطفئوا سرجكم، فإنّ الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم»[9]

١٠. أمر بالرفق بالحيوانات والطيور وعدم إيذائها أو عقرها لغير فائدة شرعية، فهذه الحيوانات والطيور زينة كما أخبر الباري سبحانه، ومن شأن هذه الزينة أن تضفي جمالاً خاصّاً على البيئة، سواء أكان ذلك بمناظرها الجميلة الساحرة أم بأصواتها الموسيقية العذبة، ومن النصوص التي تنهى عن ذلك ما يأتي:

١– رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر. صحيح البخاري ٤٥٢/١. حديث رقم (١٢٨٤).
٢– ابن حجر، فتح الباري ١٥٧/١.
٣– الشنقيطي، أضواء البيان ٤٤٩/١. شرح النووي على مسلم ١٢٥/٩.
٤– شرح النووي على مسلم ١٢٥/٩.
٥– رواه البخاري، كتاب الحج، باب حرم المدينة. صحيح البخاري ٦٦١/٢. حديث رقم (١٧٧١).
٦– متفق عليه. رواه البخاري،كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم. صحيح البخاري ٢٣١٩/٥. حديث رقم (٥٩٣٦). أخرجه مسلم،كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء. صحيح مسلم ١٥٩٦/٣. حديث رقم (٢٠١٦).
٧– متفق عليه. رواه البخاري،كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم. صحيح البخاري ٢٣١٩/٥. حديث رقم (٥٩٣٦). أخرجه مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء. صحيح مسلم ١٥٩٦/٣. حديث رقم (٢٠١٥).
٨– الخُمْرة: حصيرة أو سجادة صغيرة تنسج من سعف النخل وترمل بالخيوط. ابن منظور، لسان العرب ٢٥٨/٤.
٩– رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في إطفاء النار بالليل. سنن أبي داود ٧٨٤/٢. حديث رقم (٥٢٤٧). قال الشيخ الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة ٤١٣/٣.

- عن عبد **الله** بن عمر قال: قال عليه الصلاة والسلام: «من قتل عصفوراً فما فوقها بغير حقّها سأله **الله** عن قتله».[1]

- وعن عبد الرحمن بن عبد **الله** عن أبيه قال: كنا مع رسول –**الله** صلى **الله** عليه وسلم– في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة (طائر) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش (أي ترفرف)، فجاء النبي–صلى **الله** عليه وسلم– فقال: «من فجع هذه بولدها ؟ ردّوا ولدها إليها». ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال: «من حرق هذه؟» قلنا: نحن. قال: «إنه لا ينبغي أن يعذّب بالنار إلا رب النار».[2]

- كما نهى الإسلام عن قتل النحلة والهدهد، فعن ابن عباس قال: نهى رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– عن قتل أربع من الدواب: النحلة والنملة والصُّرَد[3] والهدهد».[4]

- كما نهى عن قتل الضفدع، فعن عبد الرحمن بن عثمان أنّ طبيباً سأل النبي–صلى **الله** عليه وسلم– عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبي–صلى **الله** عليه وسلم– عن قتلها.[5]

١١. دعا إلى تعمير الأرض بالبناء والزراعة، وجعل ذلك صدقة جارية تدر الثواب على صاحبها حيّاً أو ميتاً، عن أبي هريرة أنّ رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاّ من ثلاثة: إلاّ من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».[6] قال النووي: الصدقة الجارية هي الوقف.[7]

وجعل أهل العلم من الوقف والصدقات التي يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره: مَنْ علَّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته.[8] فإجراء النهر، وحفر البئر، وغرس النخل وبناء المسجد كلّها إجراءات تساهم في جمال البيئة وحسن منظرها.

١– سبق تخريجه.

٢– رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار. سنن أبي داود ٦١/٢. حديث رقم (٥٢٦٨). قال الشيخ الألباني: صحيح. السلسلة الصحيحة ٦٤/١.

٣– الصُرَدُ: طائر فوق العصفور.ابن منظور، لسان العرب ٢٤٨/٣. مادة (صرد).

٤– رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قتل الذر. سنن أبي داود ٧٨٨/٢. حديث رقم (٥٢٦٧). قال الشيخ الألباني: صحيح. صحيح الترغيب والترهيب ٨٥/٣.

٥– رواه أبو داود،كتاب الأدب، باب في قتل الضفدع. سنن أبي داود ٣٦٨/٤. قال الشيخ الألباني: صحيح. حديث رقم (٥٢٦٩). وقال البيهقي: هو أقوى ما ورد في الضفدع. الزيلعي عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري ٢٠١/٤.

٦– رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته. صحيح مسلم ١٢٥٥/٣.حديث رقم (١٦٣١).

٧– شرح النووي على صحيح مسلم ٨٥/١١.

٨– المناوي، فيض القدير ٥٤١/٢. الهندي، كنز العمال ٤٠١/١٥. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ، ٣٤٤/٢.

الفصل الخامس

دور الأمّة في حماية البيئة ومكافحة التلوّث

المبحث الأول - دور المواطن في حماية البيئة:

إنّ دور المواطن في حماية البيئة دور محوري وهام، فلن تنجح البرامج الوطنية لحماية البيئة دون دعم كامل واقتناع تام من المواطن بأهمية ذلك، ويمكن للمواطن المساهمة في حماية البيئة ومكافحة التلوّث من خلال الخطوات الآتية:

١. فالمواطن العادي ينبغي عليه الحرص على عدم تلويث الأرض ببقايا النفايات وبقايا الرحلات القصيرة، وبقايا الطعام، وغير ذلك، وعدم تلويث البادية والشواطئ والحدائق والمتنزهات العامّة، والشوارع، وعليه أن يتخلّص من نفاياته بشكل دوري ودون تأثير يذكر على بيئته، وأن يميط الأذى عن الطريق حيث وجده.

ويظهر دور المواطن العادي في المحافظة على البيئة من خلال الأمور التالية:[١]

- الالتحاق بالجمعيات التي تعمل على حل المشكلات البيئية.
- مقاطعة المنتجات غير الصديقة للبيئة.
- تعليم الأبناء كيفية الحفاظ على البيئة.
- القراءة عن البيئة ومشكلاتها وطرق العلاج.
- عدم إلقاء المخلّفات في نظام الصرف الصحي.
- عدم استخدام المبيدات الحشرية والمواد الخطرة في الحديقة الخاصّة والتخلّص من العشب يدوياً.
- استخدام مصائد الحشرات والنمل بدلاً من المواد الكيماوية.
- استخدام المطهّرات الحشرية والماء للتخلّص من الحشرات.
- استخدم الأسمدة الطبيعية في حديقتك وأرضك.
- لا تلق المنتجات الخطرة والزيوت والدهان في بالوعات الشوارع.
- تخلّص من المخلّفات القابلة للتحلل بعد النزهات الخلوية بعيداً عن مصادر المياه بحوالي ستين متراً على الأقل.
- اتصل بالمسئول للتخلّص من المواد الخطرة في بلدك.
- أصحاب القوارب ذات المحرك عليهم التأكد من عدم سيلان زيوت المحرك إلى المياه، وكذلك أصحاب السيارات.[٢]

١- الخطيب، السيد احمد، النظام البيئي والتلوث ص١٢٣.
٢- المرجع السابق.

٢. وينبغي على المواطن صاحب المصنع والورشة أن يحرص على عدم تلويث الهواء بأية أدخنة ضارّة قد تكون لها تأثيرات سلبية على المجتمع، وأن يتخذ الإجراءات المناسبة لنقل المواد وتخزينها للحد من تأثيراتها السلبية على البيئة.

٣. وينبغي على المواطن المزارع أن يهتم بالمستهلك، فلا يستخدم من المبيدات إلاّ المسموح بها وعند فقدان البدائل لها، وبالنسب الضرورية فقط، كما يجب عليه عدم تلويث التربة والماء بمخلّفات المبيدات والمواد السامّة، وألاّ يسوّق منتجاته بعد رشها بالمبيدات إلاّ بعد فترة طويلة تسمح لها بالتخلّص من بقايا السموم التي تضر بصحة المواطن.

٤. وينبغي على المواطن المستورد أن يتقي **الله** فيما يستورده، فلا يجلب حيوانات مريضة، ولا نباتات ذات آفات قد يخلو لها الجو فتهلك الحرث والنسل، ولا أطعمة فاسدة تضر الناس، ولا أدوات صناعية تحتوي على نسبة غير مسموح بها من مادة الرصاص وغيره مما يعرّض حياة المستهلكين للخطر.

٥. وينبغي على المواطن المستثمر أن يبتعد عن تدمير الأراضي الزراعية، وأن يحافظ على جميع المناطق الإحيائية (البيولوجية) المهمّة، مثل: مناطق المياه العذبة والأراضي الرطبة والغابات، والمرتفعات الرئيسة، ومهاد الأعشاب البحرية، ومناطق الشعاب المرجانية، وأن يكف عن تجريفها وتدميرها.

٦. وعلى المعلّم في الصف المدرسي الاهتمام بالنشء عن طريق تضمين مناهج التعليم العام والجامعي المفاهيم البيئية، وشرح ذلك بأسلوب جذاب وعاطفي يضمن تفاعلهم معها وإدراكهم لأهمية المحافظة عليها، وعليه أن يرشد تلاميذه إلى السلوك السوي القويم تجاه البيئة. وليقوم المعلّم بدوره على أكمل وجه لا بد من إقامة دورات تدريبية له في مجال البيئة، وكذلك إشراكه في مؤتمرات وندوات دورية، وزيارة خبراء التربية البيئية، وتزويده بوسائل تعليمية من مطبوعات ونشرات ومراجع وعيّنات ونماذج وأفلام في هذا المجال.[١]

٧. وعلى الإعلامي تطوير أساليب التوعية البيئية وتكثيفها عن طريق جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة بأسلوب مشوّق مؤثّر يجمع بين الصورة الجذابة والشرح الجميل، والموازنات المعبرة بين حال البيئة في الماضي وحالها الآن، وبين حالها لدينا وحالها لدى الدول المتقدّمة الأخرى، وعلى الصحفي أن يسخّر قلمه لخدمة بيئته. ومن الأمور الهامّة والمفيدة التي لفتت انتباهي قيام قناة الجزيرة القطرية بعرض حلقات دورية بعنوان "الموسوعة الخضراء" قبل نشرة الأخبار مباشرة تتحدّث فيها عن قضايا بيئية مختلفة.

٨. وعلى الأكاديميين تقديم دورات وعقد محاضرات ومؤتمرات وندوات وورشات عمل في العلوم البيئية لجميع الطلبة في الكليات، وكذا الطلبة في السنوات النهائية في علوم البيئة، وعليهم المشاركة بأبحاثهم في المؤتمرات التي تهتم بالقضايا البيئية.

١- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٨٥.

٩. وعلى سائق الحافلة أن يوجّه الركّاب إلى ضرورة الحفاظ على البيئة، وينهاهم عن التدخين فيها، ومنعهم من إلقاء النفايات في الحافلة وعلى الأرض من خلال النوافذ.

١٠. وعلى الطبيب أن يرشد مريضه وينصحه، ويبدي له علاقة مرضه بالبيئة المحيطة، وأن يبيّن له الإجراءات التي يجب عليه اتباعها لمنع تفشّي هذا المرض واستفحاله وانتقاله للآخرين.

١١. وعلى التاجر أن يتخلّص من نفاياته بطريقة لا يظلم فيها بيئته، فلا يحرقها أمام حانوته؛ ليستنشق سمومها الداخل والخارج، ولا يكدّسها كذلك لفترات طويلة لتتعفن وتنبعث منها الروائح الكريهة، وعليه أن يبعدها بعيداً عن الناس، ثمّ يتلفها بشكل صحيح. وعليه أن يتخلّص من كل فاسد من مأكول أو مشروب أو غيره.

١٢. وعلى المؤسسات الصديقة للبيئة والمهتمة بشؤونها توجيه برنامج مبسّط يخصّص لكبار الفلاحين في القرى والبدو في الصحراء يتم من خلاله توعيتهم بأضرار التلوّث وعواقبه،كما ينبغي أن يتضمّن زيارات شخصية، فينبغي أن يعلم العامّة بحقائق الموارد الطبيعية التي يستغلونها، فلا غنى عن إدراك أهمية معرفة وظائف النظام البيئي للأراضي الجافة ونقاط ضعفها، وأهمية صحة البيئة بشكل عام.

١٣. وعلى العلماء والدعاة أن يستغلوا منابرهم ومراكزهم لتبصير الناس بالتشريعات الإسلامية التي تتعلّق بالحفاظ على البيئة ومنع تلويثها، مسترشدين بذلك بكتاب **الله** تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وآثار الصحابة والتابعين من السلف الصالح وأفعالهم وتوجيهاتهم في هذا المضمار، وهي كثيرة ووفيرة والحمد **لله** تعالى.

١٤. ترك عادة التدخين والتخلّص منها، فهو من الخبائث التي أمرنا **الله** تعالى بالابتعاد عنها، قال تعالى: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ».[١] وهو من المفتّرات، ثمّ إنّ فيه تبذيراً للمال وتضييعاً له في غير مسوغ شرعي حلال، والمسلم مسئول أمام **الله** تعالى عن كل درهم ينفقه هل أنفقه في الحلال وطرق الخير أم أنفقه في الحرام وطرق الشيطان والعياذ **بالله** ؟ فعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه».[٢] وعن أُمِّ سلمةَ –رضي **الله** عنها– قالتْ: نَهى رسولُ **الله**–صلى **الله** عليه وسلم– عنْ كلِّ مُسكرٍ ومُفترٍ.[٣] والتدخين من المفتّرات، وهذه الأحاديث السابقة تدل على حرمتها، فالنهي عن الشيء دليل حرمته.

١٥.وعلى الجميع مواجهة التدمير المقصود للبيئة بالسبل المتاحة وجعل ذلك هدفاً معلناً. والتجاوب مع ما تسنّه الدولة من قوانين، وما ترسمه من استراتيجيات، وما تضعه من خطط في هذا المجال، فبدون تعاون جدّي من قبل المواطن تظل هذه القوانين حبراً على ورق لا طائل منها.

١- (الأعراف: ١٥٧).
٢- سبق تخريجه.
٣- رواه أبو داود، كتاب العلم، باب النهي عن المسكر، حديث رقم (٣٦٨٦)، سنن أبي داود ٣٢٩/٣. قال ابن حجر: سنده حسن. ابن حجر، فتح الباري ٤٤/١٠.

المبحث الثاني ـ دور العلم في حماية البيئة:

يمكن للعلم أن يلعب دوراً فاعلاً في علاج مشاكل البيئة كما يأتي:

١. فمشكلة الانفجار السكاني تواجه بتنظيم النسل، أمّا تحديد النسل وتحديد جنس الجنين فلا يجوز ذلك شرعاً، حيث إنّ التكنولوجيا المعاصرة قادرة على التحكم بجنس المولود، وهذه الطريقة مرفوضة أخلاقياً وشرعياً؛ لأنها تميّز بين الجنسين، وتتدخّل في قوانين الطبيعة التي تفرز أعداداً متقاربة من الذكور والإناث مما يبقي الحياة دائمة في حركتها.[١]

٢. تهجين أصناف جديدة من غراس الأشجار بحيث تكون أصغر حجماً، وأكثر إنتاجية، وأقل استهلاكاً للماء، كبعض أنواع الموز والزيتون والنخيل، وبعض أنواع الخضراوات.[٢] والإسلام لا يمنع ذلك، فعن عروة عن عائشة –رضي **الله** عنها– أنّ النبي–صلى **الله** عليه وسلم– سمع أصواتاً فقال: "ما هذا الصوت ؟" قالوا: النخل يؤبرونها. فقال:"لو لم يفعلوا لصلح"، فلم يؤبروا عامئذ، فصار شيصاً،[٣] فذكروا النبي –صلى **الله** عليه وسلم– فقال:"إنْ كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإلي".[٤] فمثل هذه الأمور لا تعد تدخّلاً في خلق **الله** كما يعتقد بعض الجهلة، بل هي استغلال شرعي لنعم **الله** تعالى فيما يصلح أمور دنياهم، ويحقق لهم الاستمتاع بنعمه التي خلقها لهم.

٣. تطوير أجهزة الفلترة لمداخن المصانع بما يضمن تصفية الدخان الخارج وتنقيته ليكون خطره على البيئة في أدنى درجاته، وهناك أجهزة حديثة تسمح بتجميع الغازات والجسيمات التي تخرج من المداخن ومحاولة الاستفادة منها وإعادة استخدامها.[٥] وذلك عملاً بقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار»، وقاعدة: «الضرر يزال».

٤. التخطيط الحضري بحيث يتم تخطيط المدن بشكل يسمح بمرور الرياح؛ لتبعد بقدر الإمكان الملوّثات، وتمنع تراكمها داخل المدينة.[٦]

٥. استخدام الطاقة البديلة ومواد صديقة للبيئة، مثل استخدام الغاز الطبيعي والهيدروجين كوقود للسيارات، وكذلك استخدام الطاقة الشمسية والطاقة الكهربائية وطاقة الرياح وطاقة المياه، فهذه الوسائل لا تنتج عنها غازات ضارّة بالبيئة بشكل عام وبالهواء وبطبقة الأوزون بشكل خاص.[٧] وذلك عملاً بالقاعدة الشرعية التي تقول: «يختار أخف الضررين».

٦. ضبط التلوّث ومراقبته عن طريق أجهزة خاصّة، وذلك خوفاً من استفحاله وانتشاره وعدم القدرة على السيطرة عليه.[٨] ويمكن الاستفادة من التجربة السعودية في هذا المجال حيث

١– اللجنة العلمية للبيئة والتنمية، مكافحة تلوث البيئة، ترجمة احمد شلاح ومحمد عارف، بغداد، المكتبة العالمية،١٩٨٧م.
٢– السعود، الإنسان والبيئة ص١٤٣.
٣– الشِّيصُ والشِّيصَاءُ: رَدِيء التمر. ابن منظور، لسان العرب ٧/٥٠.
٤– رواه ابن ماجة،كتاب الرهون، باب تلقيح النخل. سنن ابن ماجه ٢/٨٢٥. حديث رقم (٢٤٧١). قال الشيخ الألباني: صحيح السلسلة الصحيحة ٥/٢٦٥.
٥– السعود، الإنسان والبيئة ص ٤٤,١
٦– المرجع السابق ص ١٤٣.
٧– نفس المرجع ص ٤٤١.
٨– نفس المرجع ص ١٥١.

تقوم شركة «أرامكو» بتشغيل عدد من محطات مراقبة الهواء المتقدّمة في جميع أنحاء المملكة؛ لمنع انبعاث الغازات السامة، وضبط مستوى ملوّثات الهواء المنبعثة إلى الجو من المرافق الصناعية التابعة لها.[١]

إنّ الواجب الشرعي والوطني يقتضي منّا أن نستفيد من خبرات الآخرين في هذا المجال فالحكمة ضالة المؤمن، وحماية البيئة واجب عليه، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٧. مكافحة التلوّث البحري بالنفط عن طريق وسائل تكنولوجية حديثة كالحرق، أو إغراقه في البحر، واستخدام المنظّفات الصناعية وغير ذلك.[٢] إلاّ أنّ استخدام المواد الكيماوية في تجميع النفط قد يزيد المشكلة سوءاً؛ لأنّه سيساهم في تسمّم مياهه المغلقة. وتضم المواد الكيماوية السامّة عشرين نوعاً، وآثار هذه المواد على البيئة البحرية أسوأ من آثار النفط عليها، فالأفضل استعمال الطرق الميكانيكية.

٨. تنقية وتكرير مياه الصرف الصحي وإعادة استخدامها في الأغراض الزراعية والصناعية وبعض النشاطات الآدمية الأخرى.[٣]

٩. تحلية مياه البحر وتحويلها إلى مياه عذبة للاستخدامات البشرية.[٤] وهذا من شأنه أن يساهم في الحفاظ على المياه وحل مشكلة النقص الحاد فيها.

١٠. تطوير مبيدات حشرية وزراعية وأسمدة غير خطرة على الإنسان والتربة، وقد تمكّن العلم من صناعة مثل هذه الأمور ضمن تراكيب كيماوية جديدة غير ضارة بالتربة أو أنّ ضررها أقل من غيرها.[٥]

١١. التخلّص من النفايات والمخلّفات بطرق حديثة، ولا تلحق ضرراً فادحاً بالبيئة كالدفن، وإعادة تصنيع بعض هذه النفايات كالحديد والورق والزجاج والمواد البلاستيكية واستخدامها من جديد.[٦]

١٢. استخدام الأواني الصحية في حفظ الطعام وطبخه والتي لا تؤثّر على الإنسان ولا تتفاعل مع الغذاء مهما طال زمنه فيها، كالأواني الفخارية والخشبية والزجاجية.[٧] والابتعاد عن الأواني المعدنية، ويمكن للعلم أن يوفّر مثل هذه الأواني غير الضارّة.

١٣. الابتعاد قدر الإمكان عن الأغذية المعلّبة والتي تحتوي على مواد ملونّة ومنكّهة وحافظة[٨] فقد أثبت العلم ضررها على الصحّة العامّة، ويمكن للعلم أن يساهم في إيجاد طرق علمية بديلة لحفظ هذه الأطعمة بلا مواد حافظة.

١- شركة «أرامكو السعودية وسياستها البيئية». على الموقع الالكتروني: http://www.arabvolunteering.org/corner/avt20180.html. أغسطس/ 2009.

٢- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٣.

٣- المرجع السابق ص١٥٤.

٤- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٤.

٥- المرجع السابق ص ١٥٦.

٦- أرناؤوط، الإنسان وتلوّث البيئة ص ٣٣٦. السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٨. عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٩٥.

٧- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٥٩.

٨- المرجع السابق ص ١٦٠.

المبحث الثالث ـ دور القانون في حماية البيئة:

التوجيهات القرآنية في مجال البيئة كثيرة في القرآن والسنة وكتب الفقه والسياسة الشرعية والقواعد الفقهية وأصول الفقه والخراج والحسبة وغيرها، وهذه المصادر تعد رافداً ثرّاً لتقنين القوانين ووضع الأحكام التي تخدم النظام البيئي، حيث يمكن الاستفادة منها مباشرة في هذا المجال، أو عن طريق استنباط الأحكام واستخراجها مما ينقدح في ذهن العلماء في كل عصر لمواجهة مستجدات البيئة المتكرّرة.[١]ويجب على ولي الأمر أن يسن القوانين والتشريعات التي يمكن أن تساهم في الحفاظ على البيئة وحمايتها؛كما يجب على الدولة أن تكون طرفاً في كل اتفاقية دولية أو إقليمية يمكن أن تخدم هذه القضية؛ لأنّ تأثير التلوّث عام، ويشكّل تهديداً للعالم كلّه، بل أصبح يهدّد الأمن القومي لكل دولة، فمشكلة البيئة مشكلة عالمية. ويمكن للقانون أن يساهم في الحفاظ على البيئة وحمايتها من خلال الخطوات الآتية:

١. تفعيل وتطوير قانون حماية البيئة أو القانون البيئي، وهذا القانون ينص على إيقاف كل مسلك إنساني أو الحد منه إذا كان من شأنه أن يؤثّر على بيئة الإنسان.

٢. إصدار قوانين تجبر كل دولة أو غيرها من الأفراد والمنظّمات والشركات والمصانع إصلاح كل ما تفسده في البيئة على أساس تحمّل المخاطر؛ وعملاً بقاعدة: «الغرم بالغنم» و«الضمان بالخراج». قال الإمام ابن رشد: (وأما ما يجب فيه الضمان فكل مال أتلف عينه، أو تلف عند الغاصب، أو سلطت عليه اليد وتملك).[٢] وقد ضمّن الفقهاء الشخص ما جنت يداه .[٣] عمدتهم في ذلك حديث سمرة أنّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: «على اليد ما أخذت حتى تؤدّيه».[٤] والحديث دليل على أنّه يجب على الإنسان رد ما أخذته يده من مال غيره بإعارة أو إجارة أو غيرهما حتى يرده إلى مالكه.[٥] وكذلك يضمن الإنسان ما تتلفه دوابه من زرع أو شجر أو غيره، فعن البراء بن عازب قال: كانت له ناقة ضارية، فدخلت حائطاً، فأفسدت فيه، فكلّم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيها، فقضى أنّ حفظ الحوائط بالنهار على أهلها، وأنّ حفظ الماشية بالليل على أهلها، وأنّ على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم بالليل.[٦] كما ضمّن الفقهاء ملقي القمامة وقشر البطيخ في الطريق ونحوهم إذا أضّروا بغيرهم.[٧]

١- الريسوني، المحافظة على البيئة ٢٠٢.

٢- ابن رشد، بداية المجتهد، ٣١١/٢.

٣- السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، بيروت، ١٥٦/١٥. ابن عبد البر، الاستذكار ١٢٧/٨. الأم للشافعي ١٧٤/٦. الإنصاف للمرداوي ٧٢/٦.

٤- رواه ابن ماجة،كتاب الصدقات، باب العارية. سنن ابن ماجه ٨٠١/٢. حديث رقم (٢٤٠٠). الحديث صحّحه الحاكم وقال: على شرط البخاري. وحسّنه الترمذي. ابن حجر، فتح الباري ٢٤١/٥. العيني، عمدة القاري ١٨٣/١٣.

٥- العظيم آبادي، عون المعبود ٣٤٤/٩.

٦- رواه أبو داود،كتاب الإجارة، باب الْمَوَاشِى تُفْسِدُ زَرْعَ قَوْم. سنن أبى داود ١٠/ ٤٢٩.حديث رقم (٣٥٧٠). تحقيق الألباني: صحيح. الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي دآود ٧٠/٨.

٧- حواشي الشرواني ١٧/٩. النووي، روضة الطالبين ٣٢٧/٩.

٣. إصدار قانون يوجب التعويض عن الضرر البيئي الواقع على الفرد أو الجماعة أو الدولة، وقد ذكرت سابقاً أنّ أهل العلم ضمّنوا الشخص ما جنت يداه من تقصير وغصب وإتلاف وغير ذلك. ومن ذلك ما قامت به بعض دول الخليج من طلب تعويضات عادلة عمّا لحقها من أضرار خطيرة وكبيرة ناجمة عن حرب الخليج الثانية، والتي كان لها آثار بيئية سلبية مدمّرة على اقتصاد دول الجوار كالمملكة العربية السعودية التي تضرّرت من الآثار البيئية التي خلّفتها حرب الخليج الثانية، والتي تمثّلت في حرق المئات من آبار النفط وسكب ملايين البراميل من النفط الخام في مياه الخليج العربي، ممّا أدّى إلى تلوّث شواطئها ليكون أكبر تلوّث نفطي يشهده العالم، وقد طالبت المملكة بتعويضات عادلة لمعالجة هذا التلوّث البيئي سواء في الشواطئ أو البحار.(١)

ومن ذلك أيضاً ما قامت به فرنسا من إعداد مشروع قانون لتعويض ضحايا تجاربها النووية في الجزائر بعد نصف قرن على أول قنبلة ذرية.

٤. الالتزام بالاتفاقيات والقوانين الدولية العادلة التي تنص على حماية البيئة، ومحاسبة المعتدين عليها وفقاً للقانون الدولي.(٢)

٥. وضع قوانين تجبر أصحاب المصانع على تحويل جزء من الإرباح إلى عمليات التحسين البيئي في مناطق وجودها.(٣)

وعلى أي حال يمكن تقليل التلّوث بمرور الزمن بعدة طرق دون أي تعطيل جدي لمسيرة حياة الناس، فمثلاً يمكن للحكومات أن تسن تشريعات تشجّع المؤسسات على تبني طرق تشغيلية قليلة التلوّث، ويمكن للعلماء والمهندسين أن يطوّروا منتجات تصنيعية نظيفة وأكثر أماناً بالنسبة للبيئة، كما يمكن للأفراد والجماعات في العالم أن يجدوا بأنفسهم طرقاً تقلّل من التلوّث البيئي.

المبحث الرابع ـ دور الأسرة في حماية البيئة:

تعد الأسرة من أهم مؤسسات المجتمع في تهيئة الأفراد للحفاظ على البيئة وحمايتها من كل سوء، فهي المحضن الطبيعي الذي يزرع ويؤصّل في نفس الطفل القيم والاتجاهات والأخلاق الحسنة، ويصقله على الالتزام بها، وهي التي توجّه الطفل نحو الصحّة والنظافة وترشيد الاستهلاك، وعدم الإسراف، وحماية البيئة من المخاطر التي تهدّدها، ويؤكّد علماء النفس والتربية أنّ للأسرة أكبر الأثر في تشكيل شخصية الطفل تشكيلاً يبقى معه بعد ذلك بشكل من الأشكال.(٤) ويتمثّل دور الأسرة بما يأتي:

١- العدوي، محمد احمد، حرب الخليج وأمن الخليج، مركز المحروسة للبحوث، المعادي، مصر، ط١، ١٩٩٨م، ص ٧٤ وما بعدها. مقالة بعنوان: «شواطئ السعودية تلوّثت بالنفط»، صحيفة «إيلاف» الالكترونية تصدر في لندن: http://www.elaph.com/Economics/2004/11/19869.htm?sectionarchive=Economics، 11 /تموز (يوليو)/ ٢٠٠٩ .

٢- السعود، الإنسان والبيئة ص ١٧١.

٣- السعدي، علم البيئة ص ٣٨٨-٣٨٩.

٤- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢٣٨.

١. **التصدّي لمشكلة التلوّث**: للأسرة دور في معالجة ما اعترى البيئة من مشكلات، ولها بعض الأساليب التي تستخدمها لبث الوعي البيئي لدى الأطفال حيال المياه وتلوّثها وحيال تلوّث الهواء والغذاء والتربة، والتلوّث السمعي والكهرومغناطيسي وغير ذلك، فمثلاً يمكن بث الوعي البيئي لدى الطفل حيال قضية المياه والتصدّي لمشكلة تلوّثها من خلال:

- الاعتدال من قبل الوالدين في استخدام المياه، فلا إسراف ولا تلويث في المياه، ولا شك أنّ الطفل سيقلّد أبويه في ذلك.
- .النصح والإرشاد وتذكير الأبناء بأهمية المياه وقيمتها للحياة.
- أن يؤشّر الأبوان إلى مواطن الخلل في قضايا المياه، ويدلان الأبناء على مصادر التلوّث وكيفية مواجهته.
- أن يغرس الآباء في الأبناء قيمة النظافة في كل شيء، ومنها نظافة الماء حيث وجد.
- أن يشرك الأبوان الأبناء في عملية إبلا غ مؤسسة المياه عن أي تسرّب للمياه ومعالجته بسرعة، وكذلك مشاركة الأبناء الآباء في عمليات تنظيف خزانات المياه وتعقيمها.
- تنظيم ري نباتات الحديقة المنزلية والعناية بها، واستخدام طريقة الري بالتنقيط.
- استخدام الدلو في غسل السيّارة بدلاً من الخرطوم (البربيش) وشرح الحكمة من ذلك للأبناء.

٢. **التصدّي لمشكلة استنزاف موارد البيئة**: إنّ للأسرة دوراً لا يستهان به في التصدّي لمشكلة استنزاف موارد البيئة بكافة أشكالها الدائمة، ودعم قيم النظافة، وثمة كثير من المفاهيم البيئية التي يمكن تعليمها للأولاد في المنزل، مثل: كيفية التخلّص من النفايات الصلبة، ومقاومة الحرائق، والاعتناء بنباتات الحديقة أو الحيوانات الأليفة، والحفاظ على الطاقة الكهربائية. وهكذا يمكن للتربية البيئية أن تلعب دوراً أساسياً في درء مشكلات البيئة قبل وقوعها، وحل هذه المشاكل وعلاجها بعد وقوعها، وهذا يساهم في إيجاد بيئة نظيفة خالية من التلّوث والفساد والخراب.[١]

المبحث الخامس ـ دور الإعلام في حماية البيئة:

حيث يمكن للإعلام بأنواعه المقروء من صحف ومجلات وكتب وملصقات والمسموع من إذاعات وتسجيلات، والمرئي من تلفاز وانترنت وسينما، ووسائل الاتصال الشخصي من مقابلات ومحاضرات وندوات وخطب واجتماعات وزيارات ميدانية ومتاحف ومعارض وتجارب ومشاهدات توضيحية، يمكنه المساهمة في تجميل البيئة وحمايتها، وترشيد السلوك البيئي في تعامل الإنسان مع محيطه، وتحفيزه للمشاركة بمشروعات حماية البيئة والمحافظة على الموارد بما يلي من وسائل:[٢]

١- السعود، الإنسان والبيئة ص٢٤١.

٢- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مشروع خطة قومية للتربية البيئية والإعلام البيئي في الوطن العربي ص ١٥٦-١٥٧، بلا تاريخ. السعود، الإنسان والبيئة ص٢٥٥.

١. إطلاق فضائية خاصّة تعنى بشؤون البيئة، وتفضح ممارسات القوى الظالمة ضد البيئة العالمية.

٢. إصدار نشرات صحفية دورية عن مشاكل البيئة وعناصرها وأهميتها.

٣. تقديم عروض فيديو توضّح مشاكل البيئة في العالم وتحذّر من تشويهها وتدميرها.

٤. تنظيم مسابقات محلية ودولية في مجالات الأبحاث، والنشرات الإعلامية، والرسم الكاريكاتيري حول تعرّض البيئة للتلوّث نتيجة الاستخدام السيئ، فلهذا النوع من الرسم أهمية بالغة في تطوير مهارة التفكير، وتعويد الطلبة على قبول آراء الآخرين، وبناء الاتجاهات، وتعزيز قيم النظافة والمحافظة على البيئة وما إلى ذلك.(١)

٥. إعداد نشرات دورية وقصص وتمثيليات وأفلام حول كيفية ترشيد استخدام الثروات والموارد الطبيعية والتصنيع النظيف لا سيما المياه وحمايتها.

٦. عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات وورشات وحلقات عمل مفتوحة تعالج مواضيع بيئية.

٧. إصدار ملصقات إعلامية وبوسترات ونشرات إعلامية حول استخدام المواد المكافحة للتلوّث.

٨. قيام المسئولين والباحثين في مجال البيئة بزيارات للمناطق النائية لنشر الوعي البيئي بشكل عام، وتبصير المواطن بدوره ومسؤولياته تجاه مشكلات البيئة، وتغطية هذه الزيارات إعلامياً للاستفادة منها.

٩. عرض سلوكيات خاطئة تجاه البيئة وتصحيحها مباشرة، وذلك على شكل فقرات إعلانية يتم بثّها قبل وبعد البرامج الهامّة ذات الجمهور العريض لضمان مشاهدتها.

١٠. إنجاح برامج التوعية الصحيّة والأسرية التي تنفذها وزارات الصحة، والبيئة والتنمية الاجتماعية، والسياحة، والمياه، والطاقة، والتربية والتعليم، وغيرها.

١١. تغطية جميع الأحداث التي لها علاقة بالبيئة المحلية والاقليمية والعالمية إعلامياً.

١٢. استغلال قنوات الأطفال الفضائية خاصّة المشهورة منها،كقناة الجزيرة للأطفال وقناة طيور الجنة لنشر الوعي البيئي بينهم.

١٣. منع الترويج والإعلانات لمنتجات التبغ والسجائر في وسائل الإعلام المختلفة؛ عملاً بالقاعدة التي تقول: «الوسيلة إلى الحرام حرام»، وهذا من باب سد الذرائع.

١٤. تعزيز الدور الايجابي للشخص غير المدخّن في المسلسلات والأفلام السينمائية والتلفزيونية وليس العكس

١- السعود، الإنسان والبيئة ص٢٢٧.

المبحث السادس ـ دور الدولة في حماية البيئة:

يمكن للدولة المساهمة في تجميل البيئة وحمايتها من التلوّث بما يأتي:

١. تطوير وتأهيل طواقم وكوادر في علم البيئة بما يتماشى ومواجهة التحديات البيئية. وعلى هذه الطواقم أن تراقب المؤسّسات والمشاريع والأنشطة المختلفة للتحقق من مدى تقيّدها بالمواصفات والمقاييس والتعليمات المعتمدة لحماية البيئة والمصادر الحيوية ومنع التلوّث وفقاً لقانون الدولة الموضوع من قبلها.(١)

٢. تبادل الخبرات والتدريب المشترك في المجال البيئي مع المنظمات والدول ذات العلاقة.

٣. تأهيل كوادر بشرية لتنظيم مشروعات للتوعية البيئية وحماية الثروة مثل (حماية الآثار ، الحفاظ على مصادر المياه، وتنمية الثروة الحيوانية).

٤. تنظيم لقاءات دورية مع المزارعين والصّناع والتجار وتبصيرهم بأهمية الحفاظ على البيئة وكيفية التخلّص من كل ما يشوّهها من مخلفات أعمالهم.

٥. الدعم المتواصل والتعاون والتدريب المشترك مع الهيئات العاملة في مجال البيئة في أحد المشروعات مثل:

- حماية البيئة من التلوّث والتخريب.
- حماية الآثار من التآكل والتدمير.
- الحفاظ على الأحياء المائية.
- البحث عن بدائل للثروات البيئية والحيوانية.
- تجميل البيئة وحمايتها من التلوّث.

٦. و.حظر التدخين وخاصّة في الأماكن العامّة،(٢) وقد نجحت كثير من دول العالم في فرض هذه الخطوة، وحقّقت نجاحاً ملحوظاً، كنجاح المملكة العربية السعودية في حظر التدخين في مكة والمدينة والمطارات وتغريم المخالفين، ونجاح تركيا ولبنان ودول أخرى في حظره في الأماكن العامّة، وقد تجاوبت معها الشعوب بشكل ايجابي.

٧. الاستعانة بالإشارات والشعارات والرسومات والصور التي تنفّر المواطن من التدخين وتظهر آثاره السيئة على صحة الإنسان وبيئته كما هو في الصورة التالية. ويمكن تعليق هذه الإشارات والصور في الشوارع والأماكن العامّة والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية. والجدير ذكره أنّ معظم الدول الغربية قد حظرت الإعلانات التجارية التي ترغّب في التدخين، كما منعت تعليق أي إشارة أو إعلان من شأنه أن يؤثّر في سلوك المستهلك في هذا الاتجاه،

١- قانون سلطة جودة البيئة في فلسطين رقم ٧ لسنة ١٩٩٩ ص ٣٦.
٢- المرجع السابق ص ٢٦.

في حين أنّ معظم الدول العربية والإسلامية لا تمنع ذلك، على العكس فإنها تسمح بنشر الإعلانات المرغّبة في التدخين في كل مكان وعبر وسائل الإعلام المتعدّدة، حيث يتم إظهار المدخّن كفارس قوي يمتطي الخيل أو يتسلّق الجبال الشاهقة مع أنّ العكس هو الصحيح، أو إظهار المدخّن كلاعب كرة قدم مشهور يسجل الأهداف، وقد يأتون بما يسمونهم نجوم الفن وهم يدخنون لإقناع المشاهدين أن التدخين كان سبباً في شهرتهم، وأن التدخين ليس عادة سيئة، بل هو طريق النجومية والشهرة؛ لأنه لو كان غير ذلك لما فعله النجوم والكبار على حد زعمهم.



صورة منفّرة تظهر خطورة التدخين على حياة الإنسان

٨. وعلى الأجهزة الحكومية المعنية متابعة تنفيذ النظم الصادرة لحماية البيئة وتطبيقها وألاّ يكون هناك فجوة بين سن القوانين والنظم وتنفيذها.[١]

٩. إعداد شرطة بيئية متنقّلة لمراقبة المرافق البيئية المختلفة براً وبحراً وجوّاً وتملك حق تحرير المخالفات للمخالفين.

١٠. تأسيس سلطة خاصّة بالبيئة يمكن تسميتها «بسلطة جودة البيئة» وتحديد أهدافها ومهامها ودورها في وضع الاستراتيجيات المتعلّقة بحماية البيئة وجودتها.

١١. مكافحة التصحّر: يعدُّ الوطن العربي من أكثر المناطق عرضة للتصحّر وزحف الرمال، حيث إنّ حوالي (٩٠٪) من أراضيه تقع تحت تأثير المناخ الجاف أو شبه الجاف، فعلى سبيل المثال تبذل المملكة العربية السعودية جهوداً كبيرة في مكافحة التصحّر، كما أنها وقّعت اتفاقية مكافحة التصحّر عام (١٩٩٨م). وتتولى وزارة الزراعة متابعة وتنفيذ ما ورد في ملف الاتفاقية، حيث قامت المملكة باتخاذ إجراءات وقائية لمنع زحف الرمال وإزالة خطورتها بإنشاء خط طويل من الأشجار (الحرجية) على امتداد الجبهة الشمالية لواحة الإحساء، حيث تمّ زراعة سبعة ملايين شجرة لحجز الرمال وما تسبّبه من خسائر وأضرار في المنطقة، وقد أدّى هذا المشروع إلى إنقاذ وحماية حوالي عشرين قرية كانت مهدّدة بالدّمار.[٢]

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٤٤,١

٢- أبو الفتح، البيئة الصحراوية ص ٢٦٤.د.أحمد عبد القادر المهندس، مقالة بعنوان: «جهود المملكة في مكافحة التصحّر»، جريدة الرياض الإلكترونية، الجمعه/ ١٩ /ربيع الآخر/ ١٤٢٩هـ - ٢٥ /أبريل/ ٢٠٠٨م/ العدد (١٤٥٥٠). على الموقع: http://www.alriyadh.com/2008/04/25/article337285.html.

١٢. تشجيع ودعم وتمويل عقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والأبحاث والدراسات والنّشرات والمشاركة فيها وخاصّة تلك التي يمكن أن تعالج مواضيع بيئية ملحّة كالتلّوث وطرق معالجته، وكيفية تجميل البيئة بوسائل عصرية وحديثة، وغير ذلك.

١٣. سن القوانين والتشريعات الخاصّة بالبيئة: فعلى الدولة الاهتمام بالصحة العامّة وتوفير الرعاية الصحية لكل مواطن، كما تعمل الدولة على المحافظة على البيئة وحمايتها وتطويرها ومنع التلوّث عنها، وسن القوانين والتشريعات والعقوبات التي تخدم هذا الغرض ومنها: إنشاء نظام المراعي والغابات، ونظام المناطق المحمية، ونظام صيد الحيوانات والطيور البرية، ونظام صيد الثروات المائية الحية من المياه الإقليمية واستثمارها وغيرها من النظم الخاصّة بصحة البيئة.

١٤. تحسين نوعية الحياة والارتقاء بمستوى رفاهية المواطنين، والحرص على توفير البيئة الخالية من التلوّث، وبخاصة الهواء النقي، والمياه النظيفة، والغذاء الصحي غير الفاسد، وذلك بإلزام شركات التصنيع الغذائي بمراعاة مواصفات الجودة العالمية في منتجاتها، وإلزامها بوضع تاريخ الإنتاج وانتهاء الصلاحية على هذه المنتجات، وكذلك إلزامها بوضع رسومات معيّنة على منتجاتها تحث المستهلك على إلقاء المخلّفات والنفايات في الحاويات المخصّصة لذلك وعدم إلقائها على الأرض، ويجب على الدولة القيام بحملات تفتيش دورية على المحلات التجارية والمصانع للتأكد من الالتزام بهذه التعليمات، ومعاقبة المخالفين. فالحاكم مسئول أمام **الله** تعالى عن رعيته.

١٥. تحقيق توازن مستمر بين التوزيع السكاني والطاقات الاستيعابية للبيئة مع الأخذ في الحسبان آثار النمو السكاني والأنماط الاستهلاكية على قاعدة الموارد الطبيعية.

١٦. توفير الطاقة الكافية بتكلفة ملائمة، وبالطرق التي تحد من مخاطر تدهور البيئة مع المحافظة على موارد الطاقة غير المتجددة، والاستفادة من إمكانات موارد الطاقة النقية المتجدّدة مثل الشمس والرياح.

١٧. تحقيق أعلى قدر ممكن من التنمية الصناعية التي تأخذ بأحدث أساليب التقنية المتاحة الملتزمة بالاعتبارات البيئية لتلافي التلوّث في مراحل التصميم كلها، والإنشاء والتشغيل لهذه الصناعات.

١٨. تحقيق الأمن الغذائي دون استنزاف للموارد، أو إضرار بالبيئة، إضافة إلى إصلاح قاعدة موارد المياه والأرض في المواقع التي تصاب بالتدهور البيئي.

١٩. تأسيس الأجهزة الحكومية الراعية للبيئة والتنسيق بينها: تعنى بالبيئة المحيطة بالإنسان وشؤونها، والاهتمام بالمشروعات التي تؤثر سلباً في البيئة كالتلوّث وإحداث الضجيج، أو ينتج عنها مخلفات سامّة، وتراقب تصميم المشروعات لضمان تطبيق المعايير البيئية.

٢٠. تفعيل التعاون الدولي، ويكون ذلك بتطبيق القوانين الدولية التي تخدم البيئة وتبادل الخبرات بين الدول والاستعانة بخبرات الآخرين في مكافحة التلوّث، فالحكمة ضالة المؤمن، والتلوّث البيئي قد يهدّد الأمن القومي لكل دول العالم،كطبقة الأوزون والاحتباس الحراري، والتلوّث الإشعاعي والكيماوي والنفطي، فهذه الجوانب تعم مضارها الكرة الأرضية ولا تستثني أحداً،

ممّا يستدعي وقفة دولية جادة للحد من آثارها وأضرارها. كما يستدعي وضع خطط وعقد اتفاقيات عاجلة على غرار اتفاقية «كيوتو»[١] الخاصّة بتقليص الانبعاثات الحرارية تدخل في إطارها جميع دول العالم للحد من هذه الأمور التي تهدّد مستقبل البشرية جمعاء.[٢]

٢١. المشاركة في الاتفاقيات والمؤتمرات الإقليمية والدولية لحماية البيئة، واعتبارها سارية المفعول في الدولة،[٣] ومن الأمثلة على الاتفاقيات الإقليمية التي لها دور في حماية النظام البيئي:

- الاتفاقية الإقليمية لحماية البيئة البحرية (Ropme) عام (١٩٧٨م). وتختص هذه الاتفاقية بالخليج العربي وتشترك بها جميع الدول المطلّة على الخليج.
- الاتفاقية الإقليمية لحماية البيئة البحرية للبحر الأحمر وخليج عدن عام (١٩٨٢م).
- مشروع النظام الموحد لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ومن الأمثلة على الاتفاقيات الدولية التي ساهمت في الحفاظ على البيئة:

- اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي العالمية لعام (١٩٧٢م).
- اتفاقية حفظ الأنواع المتنقلة من الحيوانات المتوحشة (اتفاقية بون) لعام (١٩٧٩م) وقد انضمت المملكة لهذه الاتفاقية عام (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).
- اتفاقية التجارة الدولية في الأنواع المهدّدة بالانقراض من مجموعات الحيوان والنبات البرية.
- اتفاقية سايتس (CITIES) لعام (١٩٧٣م).
- اتفاقية منع التلوث البحري المنعقدة في باريس عام ١٩٧٤م.
- الاتفاقية الدولية لمنع تلوث البحار بالنفط المبرمة في لندن عام ١٩٥٤م.
- اتفاقية باريس لمكافحة التصحّر ١٩٩٤م.
- الاتفاقية الدولية في مجال حماية النبات ووقاية صحة الإنسان والحيوان والبيئة عام ١٩٩٧م.

١- اتفاقية كيوتو (Kyoto Protocol): تمثّل هذه الاتفاقية خطوة تنفيذية لاتفاقية الأمم المتّحدة المبدئية بشأن التغيّر المناخي، وهي معاهدة بيئية دولية خرجت للضوء في مؤتمر الأمم المتّحدة المعني بالبيئة والتنمية (UNCED)، ويعرف باسم "قمة الأرض" الذي عقد في "ريو دي جانيرو" في البرازيل في الفترة من ٣-١٤ حزيران ١٩٩٢م. هدفت المعاهدة إلى تحقيق تثبيت تركيز الغازات الدفيئة في الغلاف الجوي عند مستوى يحول دون تدخل خطير من التدخل البشري في النظام المناخي. ونصدّت على التزامات قانونية للحد من انبعاث أربعة من الغازات السامّة الدفيئة (ثاني أكسيد الكربون، والميثان، وأكسيد النيتروس، وسداسي فلوريد الكبريت) التي تنتجها الدول الصناعية، ونصدّت أيضاً على التزامات عامّة لجميع البلدان الأعضاء، و اعتباراً من عام ٢٠٠٨ م صادق ١٨٣ طرفاً على الاتفاقية، وقد رفضت الولايات المتحدة التصديق على اتفاقية "كيوتو" لعام ١٩٩٧م المتعلّقة بظاهرة الاحتباس الحراري. اتفاقية كيوتو، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، على الموقع التالي: http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8.

٢- الريسوني، المحافظة على البيئة ٢١١-٢١٢.

٣- كنعان، نواف، قانون حماية البيئة ص ٣٩-٤١. قانون سلطة جودة البيئة في فلسطين رقم ٧ لسنة ١٩٩٩ ص ٤٦.

٢٢. إقامة المحميات الطبيعية ووضع أسس للمحافظة عليها:[١] لاشك أنّ إنشاء المحميات بأنواعها له قيمة عظيمة حيث إنها تحفظ للعالم ثرواته الحية وجماله الطبيعي وبعده الحضاري، وتقدّم المحميات فوائد مباشرة وغير مباشرة للمجتمعات المحلية والحكومات الوطنية. إضافة إلى ذلك فهي تساعد في المحافظة على التنوع في المنظومات البيئية، والعمليات الإيكولوجية (بما فيها تنظيم تدفق المياه في الأودية والأنهار، والمناخ) ذات الأهمية الحيوية لدعم الحياة على سطح الأرض وتحسين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للبشر، كما تحمي التنوع الجيني وتعدّد الأنواع ذات الأهمية الحيوية في توفير الاحتياجات البشرية والطب مثلاً، كما أنها الأساس للتكيف البشري الاجتماعي والحضاري في عالم متغير، وقد تمثّل موطناً لمجتمعات محلية ذات تقاليد حضارية عريقة ومعرفة تقليدية بالطبيعة لا يمكن تعويضها في حال فقدانها، وللمحميات قيمة علمية وتربوية وحضارية وترفيهية وروحية مهمة، وتوفّر فوائد مباشرة وغير مباشرة للاقتصاد المحلي والوطني، كما تمثّل الأساس الذي يمكن من خلاله حفظ التنوع الإحيائي ودعم التوجه نحو مفهوم التنمية المتواصلة. ومن الأمثلة على ذلك حمى حرم مكة المكرمة وحرم المدينة المنورة في المملكة العربية السعودية.

٢٣. إنشاء المتنزهات وتطويرها: بحيث تكون مفتوحة للتنزه لعامّة الناس.

٢٤. منع تدهور المراعي: ويكون ذلك بمنع الرعي الجائر والصيد الجائر الذي له آثار مدمّرة على الغطاء النباتي تؤدّي إلى تعرية التربة وانهيار الأنظمة البيئية نتيجة لزيادة أعداد الحيوانات بما يفوق الحمولة الرعوية لتلك المواقع، ويواجه ذلك عبر إنشاء مسيّجات من أجل حماية المواقع المتدهورة؛ أو زراعة المواقع المتدهورة ببذور بعض النباتات الرعوية المشابهة بيئياً لمناطق الرعي.[٢]

٢٥. الاهتمام بالثروة المائية وتوفيرها، فالماء أصل الحياة قال تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ».[٣] ويكون الاهتمام بالثروة المائية من خلال ما يأتي:

أ. **الاهتمام ببحوث المياه**: أدّى النمو الاقتصادي والاجتماعي السريع إلى تزايد الحاجة إلى مصادر أخرى للمياه، وتهتم الدول بتنمية المياه الجوفية وتنظيم استغلالها عن طريق تطبيق الأنظمة الخاصة بالمياه سواء للاستعمال الزراعي أو الشرب، وللحيلولة دون تلوّثها أو تردّي نوعياتها، ومن أهم الإجراءات والضوابط المستخدمة لذلك أنه لا يتم حفر الآبار أياً كانت إلاّ بعد الحصول على ترخيص بذلك من وزارة الزراعة والمياه،كما تشرف على حفر الآبار الخاصة، وتباشر التحكّم في استعمالات المياه، وتحظر الحفر في بعض المناطق للمحافظة على المياه الجوفية والزراعات القائمة، ونظراً لقيمة المياه الثمينة جداً فقد حرصت بعض الدول على تجهيز مناطقها بشبكة كبيرة من آبار المراقبة، وذلك لمراقبة المخزون المائي الجوفي.

ب. **إقامة السدود**: تهتم الدول ببناء السدود المختلفة لأغراض تخزين مياه الأمطار، والتحكّم في الفيضانات أو لأغراض الري، وقد أدّت سرعة تطور المدن والأرياف وزيادة النشاطات الزراعية إلى ازدياد الحاجة لاستكشاف مصادر جديدة للمياه والحفاظ عليها عن طريق بناء السدود على الأودية،

١- المرجع السابق ص ٣٢.
٢- علياء بوران، علم البيئة ص ٢٦٠.
٣- (الأنبياء: ٣٠).

لتخزين مياه الأمطار وإطلاقها تدريجياً لتغذية الطبقات الجوفية، وللوقاية من الفيضانات والإسهام في استصلاح الأراضي الزراعية أو لتوفير مياه الشرب بعد تنقيتها أو المساعدة في توفيرها.

جـ. **تحلية المياه المالحة**: أدّى التطوّر السريع في العالم إلى تزايد الطلب على المياه الصالحة للشرب بما فاق معه إمكانية المياه المتاحة من المصادر الجوفية، وخاصة لبعض المدن الكبيرة. ولهذا بدأت كثير من الدول في استخدام مياه البحار بعد التحلية للشرب والزراعة.

د.**تنقية مياه الصرف الصحي**: أصبحت تنقية ومعالجة مياه الصرف الصحي وإعادة استعمالها جزءاً أساسياً من إدارة الموارد المائية في كثير من دول العالم، وتشمل استخدامات المياه المنقاة من المجاري الأعمال الزراعية والصناعية.[1]

هـ. **التخلّص من المياه العادمة ومياه الأمطار بشكل سليم يتلاءم مع الحفاظ على البيئة والصحّة العامّة.**[2]

٢٦. متابعة الدراسات المناخية والاهتمام بها: وذلك بإنشاء محطات مناخية متكاملة ومحطات الأرصاد الجوية إمّا لأغراض قياس السيول في الأودية والفيضانات، وإمّا لأغراض قياس الأمطار في مواقع محدّدة، وإمّا لقياس التبخر، وإمّا لقياس سرعة الرياح، وغير ذلك.

٢٧. التعاون مع الجهات المختصة بنشاطات الرصد البيئي بهدف جمع المعلومات حول عناصر البيئة المختلفة، وإعداد التقارير الشاملة ورفعها إلى الجهات المختصة.[3]

٢٨. أن تضع وزارة البيئة مع الجهات المختصة خطط الطوارىء لمواجهة الكوارث البيئية.[4]

٢٩. تشجيع التحوّل إلى المشاريع التي تستخدم المواد أو العمليات الأقل ضرراً على البيئة وإعطاء الأولوية لتلك المشاريع وفقاً لأسس التنمية الاقتصادية.[5] ووفقاً للقاعدة الفقهية التي تقول: «يختار أهون الشرّين وأقل الضّررين».

٣٠. تخصيص أماكن خاصّة للتخلّص من النفايات وسائر الملوِّثات بحيث تكون بعيدة عن التجمعات السكانية.

٣١. نشر الوعي البيئي بين المواطنين، وتدعيم المشاركة الشعبية والثناء على المساهمين في الحفاظ على البيئة وتشجيعهم وتقديرهم، ولنا في قائدنا عليه الصلاة والسلام قدوة في ذلك، فقد كان يثني على المحافظين على نظافة البيئة، ومن ذلك تقديره للمرأة التي كانت تكنس المسجد وتتعهده بالنظافة اليومية، ففقدها، فسأل عنها، فأخبروه بموتها، فصلى على قبرها احتراماً وتقديراً لها. فعن أبي هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد (أو شاباً) ففقدها رسول **الله** – صلى **الله** عليه و سلم– فسأل عنها (أو عنه) فقالوا: مات. قال: «أفلا كنتم آذنتموني ؟».[6]

١- هناك عدة طرق علمية لعلاج المياه العادمة وتنقيتها للاستفادة منها بعد ذلك. للاستزادة انظر: حميض، محمد علي وآخرون، حفظ وتصنيع الأغذية ص ٨١١ وما بعدها.
٢- قانون سلطة جودة البيئة في فلسطين رقم ٧ لسنة ١٩٩٩ ص ٢٨.
٣- المرجع السابق ص ٤٦.
٤- المرجع نفسه ص ٤٦.
٥- المرجع نفسه ص ٣٤.
٦- رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر .صحيح مسلم ٢/٦٥٩، حديث رقم (٩٥٦).

ويمكن نشر الوعي البيئي، وتدعيم المشاركة الشعبية من خلال الوسائل التالية:

- نظافة البيئة والحي.
- التشجير وإنشاء المشاتل.
- حماية الثروات الطبيعية.
- جمع المخلّفات الصلبة.
- الحفاظ على الأحياء المائية.
- تجميل البيئة وحمايتها من التشوّه والخراب.
- تنظيم رحلات للاستفادة من المعالم الأثرية.
- حماية الشواطئ من مخلّفات البواخر ونفايات وتآكل الشواطئ.
- مشروع تطوير القرية.
- تدوير القمامة (البلاستيك، الزجاج، الورق، وغير ذلك).
- مقاومة التصحّر.
- ترشيد استهلاك المياه.

٣٢. العمل على إيجاد منظّمات غير حكومية تعنى بشؤون البيئة، وتقف جنباً إلى جنب مع المنظمات الحكومية في تحقيق هذا الهدف، ويمكن لهذه المنظمات أن ترصد واقع الأنظمة البيئية في مناطق مختلفة من العالم، كما يمكنها تشجيع الحكومات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية لممارسة الأنشطة الخاصّة بالمحافظة على البيئة، وتوفير المساعدة والخبرة اللازمتين لتحقيق تلك الأنشطة.[١] وقد أثبتت مثل هذه المنظّمات جدارتها في بعض الدول، فعلى سبيل المثال نجحت هذه المنظّمات في الأردن في توعية المواطنين بأهمية البيئة وحمايتها، وتشجيعهم على المشاركة في تنفيذ أهدافها، ومن هذه المنظّمات: الجمعية الوطنية لمكافحة التدخين (١٩٨١م)، وجمعية البيئة الأردنية (١٩٨٨م)، وجمعية أصدقاء البيئة (١٩٩٥م)، وجمعية مكافحة التصحّر وتنمية البادية، وجمعية أصدقاء الآثار، وغيرها[٢]

٣٣. قيادة العمل الاجتماعي لحماية البيئة.[٣]

٣٤. اكتشاف القيادات الشعبية وإعدادها في مجال البيئة.[٤]

٣٥. تدعيم مشاركة المواطنين في مشروعات التنمية المحلية.[٥]

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢٦٠.
٢- المرجع السابق ص ٢٦٢.
٣- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٣٢٣.
٤- المرجع السابق ص ٣٢٣.
٥- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٣٢٣.

الفصل الأول
مفهوم التربية البيئية في الإسلام وأهمّيتها

المبحث الأول ـ مفهوم التربية البيئية:

للتربية البيئية مفاهيم متعدّدة، فمن العلماء من عرّفها من منطلق ديني، ومنهم من عرّفها من منطلق وضعي، وهذا لا يعني وجود فرق كبير بين هذين الاتجاهين، بل هناك تقارب واضح بينهما. فهما في نهاية المطاف يتّفقان على خلق جيل واع يحترم بيئته، ويحفظ عناصرها، ويمنع تلوّثها، وإن كان ذلك بأساليب تربوية مختلفة. وفيما يلي أهم التعاريف للتربية البيئية:

أ.مفهوم التربية البيئية في الإسلام: تعرّف التربية البيئية في الإسلام بأنّها: تنمية القيم والمعارف والاتجاهات لدى الأفراد تجاه بيئتهم وفق المنظور الإسلامي.(١) أو هي: النشاط الإنساني الذي يقوم بتوعية الأفراد بالبيئة وبالعلاقات القائمة بين مكوناتها، وبتكوين القيم والمهارات البيئية وتنميتها على أساس من مبادئ الإسلام وتصوّراته عن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان ومطالب التقدّم الإنساني المتوازن.(٢)

ب.مفهوم التربية البيئية عند علماء البيئة: هي تعلم كيفية إدارة وتحسين العلاقات بين الإنسان وبيئته بشمولية وتعزيز.(٣) كما تعرّف بأنّها:كيفية استخدام التقنيات الحديثة وزيادة إنتاجيتها وتجنب المخاطر البيئية وإزالة العطب البيئي القائم واتخاذ القرارات البيئية العقلانية.(٤)

جـ.تعريف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: حيث عرّفتها بأنّها: (منهج لإكساب القيم وتوضيح المفاهيم التي تهدف إلى تنمية المهارات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات التي تربط بين الإنسان وثقافته وبيئته الطبيعية الحيوية، وتعني بالتمرّس في عملية اتخاذ القرارات ووضع قانون للسلوك بشأن المسائل المتعلّقة بنوعية البيئة).(٥) ويتفق هذا التعريف مع تعريف التربية البيئية الذي نوقش في مؤتمرات دولية عديدة منها: (مؤتمر ستوكهولم، تبليسي، بلغراد)، وأقرّه أخيراً المجتمع الدولي للبيئة بجينيف.(٦) وبإمعان النظر في هذه التعاريف السابقة يمكن القول بأنّ التربية البيئية بهذا المعنى:(٧)

١- غنيمي، زين الدين عبد المقصود، التربية البيئية الإسلامية وحماية البيئة البحرية من التلوّث، المكتبة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٩٥م، ص ١٢.
٢- غنيمي، التربية البيئية الإسلامية ص ١٢. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٣٥٧.
٣- السعدي، علم البيئة ص ٤٣٧. السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٤. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٣٩.
٤- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٤.
٥- المدهون، عبد الرحيم، بحث بعنوان: «التربية البيئية المدرسية»، باحث في مركز القطان/ غزّة، ص٢. السعدي علم البيئة ص ١١٧.
٦- السعدي علم البيئة ص ١١٧.
٧- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٣٩.

١. ليست مجرد موضوعاً معرفياً وإنّما هي عملية إعداد وتوجيه للسلوك.
٢. متداخلة المجالات الدراسية، فلا تختص بمجال دراسي معيّن وإنّما تشترك جميع المواد الدراسية.
٣. تشمل كل قطاعات المجتمع وبيئته المحيطة.
٤. تركّز على الوقاية من المشكلات البيئية وحل ما قد يقع منها.
٥. موجّهة للحفاظ على بيئة الإنسان.
٦. تشرك فيها كل من المعلّم والمتعلّم.
٧. تشمل كل من التربية النظامية وغير النظامية.
٨. يمكن أن تكون إصلاحاً تربوياً شاملاً.

المبحث الثاني ـ أهمية التربية البيئية:

ذكرت فيما سبق أنّ البيئة هي الإطار الذي يعيش فيه الإنسان، ويحصل منه على مقوّمات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر، وهي تشمل كل ما يحيط به من موجودات، فتشمل الهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه، والأرض التي يسكن عليها ويزرعها، وما يحيط به من كائنات وجمادات. وباختصار هي الإطار الذي يمارس فيه حياته وأنشطته المختلفة.

ومن هذا المنظور، تأتي ضرورة تنمية الوعي البيئي عند الفرد من خلال التربية البيئية، فمساهمة التربية عموماً من خلال نشر المعلومات الخاصّة بها من منطلق التعريف بالمشكلات البيئية، والدعوة إلى استخدام مواردها استخداماً سليماً وغير هدّام يشكّل أهمية بالغة في تنمية الوعي. فهذه الموارد وذلك الاستخدام إنما يتعرّضان لمشكلات هي من صنع الإنسان نفسه. وما دام الأمر كذلك، فلا بد من حماية هذه البيئة من الإنسان ذاته؛ لتكون العلاقة بينهما علاقة تآلف لا علاقة تخالف، وهذا يتطلّب تنمية الوعي البيئي لديه.[١]

وهذه الأهداف الكبيرة التي ذكرت لا سبيل إلى تحقيقها إلا بالتربية البيئية التي من خلالها نستطيع خلق إدراك واسع للعلاقة بين البيئة والإنسان، على أن لا تكون إدراكية فحسب، وإنما ينبغي أن تكون سلوكية أيضاً تشعر الإنسان بمسئوليته في المشاركة في حماية البيئة الطبيعية وتحسينها، وتجنب الإخلال بها، وذلك بتبني سلوك ملائم يمارس بصفة دائمة على المستوى الفردي والجماعي.[٢]

١- التربية البيئية، مرجع عن البيئة العالمية، جامعة بير زيت، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، برنامج التعليم البيئي، ص ٣.
٢-المرجع السابق ص ٣.

ولأهمية الموضوع عملت العديد من الدول إلى تدريب الكوادر اللازمة التي تقوم على نشر وتنمية الوعي البيئي لدى المتعلّمين، وإشباع صفة الممارسة البناءة لسلوكيات الأداء لديهم تجاه مواردهم وبيئتهم، فالتربية البيئية، هي مفهوم تربوي أساساً، يجعل من عناصر البيئة مجتمعة مورداً علمياً وجمالياً في آن واحد، ومن ثم ينبغي استخدامه في كل فروع التربية حتى يكون المتعلم مدركاً للمعارف حول البيئة ولدوره حيال عناصرها المختلفة.[١]

والإسلام كمنهج شامل للحياة يعتبر التربية البيئية وسيلة مؤثّرة في تنشئة وإعداد الأجيال إعداداً تربوياً يتفق والقيم الإسلامية الأصيلة المنبثقة من كتاب **الله**، وسنة نبيّه عليه الصلاة والسلام، وتاريخ سلفنا الصالح، وتراثنا الحضاري النافع، وتزرع وتوّصل هذه التربية في نفوس الأجيال مفاهيم وقيم خلقية تحض على احترام البيئة وتقديرها والحفاظ عليها، وتجعل العلاقة بين البيئة وهذه الأجيال علاقة محبة ووئام لا علاقة بغض وصِدام، ممّا أعطى المؤسسات التربوية كالمدارس، والجامعات، والمساجد، ورياض الأطفال، والكتاتيب دوراً بارزاً في تحقيق الأهداف السامية النبيلة للتربية البيئية والتي سأتحدّث عنها لاحقاً.

وتمثّل حاجات التربية البيئية في المنهج الدراسي شعور المربين بضرورة ارتباط المنهج الدراسي بحاجات الفرد والمجتمع وفقاً للتغيرات في ظروف البيئة من أجل الاستخدام الأمثل لمواردها، واكتساب المعلم للقيم والاتجاهات والمفاهيم والمهارات البيئية المناسبة.[٢]

وقد اهتم الإسلام بالتربية البيئية اهتماماً بالغاً، ونجد ذلك جلياً في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة، ومراجع الفقه الإسلامي والسياسة الشرعية، وتاريخ الخلفاء الراشدين والتابعين ومن بعدهم.

وقد توصّل الخبراء إلى حقيقة ساطعة وهي أنّ سن القوانين والعقوبات لا تكفي لإيجاد مجتمع سوي يحرص على البيئة، ويحافظ عليها، ويبتعد عن تلويثها، بل لا بد من منظومة تربوية شاملة تستند إلى أساس متين قوي صائب لتحقيق هذا الغرض.[٣] ولا ينكر عاقل أنّ الإسلام هو تلك المنظومة التي يمكن الاستناد إليها في خلق الوعي البيئي وتربية الأمّة على الالتزام به وتنفيذه في واقع الحياة.

فالقرآن الكريم حثّ المسلمين على الحفاظ على البيئة والاهتمام بها، وجعل الاعتداء عليها إفساداً في الأرض، وهو ما يوجب غضب **الله** تعالى وعقابه، **فالله** لا يحب المفسدين. ومن الآيات التي تنهى عن الإفساد في البيئة قال تعالى: «وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا».[٤]

وهناك سيل من الآيات يدعو الناس إلى إصلاح الأرض وتعميرها واستثمار خيراتها لنفعهم وتيسير سبل عيشهم، وينهى عن الإفساد فيها بأي نوع من أنواع الإفساد، سواء أكان إفساداً معنوياً بنشر الرذائل والمنكرات فيها، أم إفساداً مادّياً بتخريب عناصرها واستنزاف مواردها، وتدمير ما خلق **الله** تعالى فيها من نعم لا تحصى ولا تعد، والقرآن وهو يربّي المسلمين على

١- المرجع نفسه ص ٣-٤.
٢- المدهون، التربية البيئية المدرسية ص ٢.
٣- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٤٢.
٤- (الأعراف: ٨٥).

هذه القيم يتوعّد المفسدين بسوء العاقبة التي حلّت بغيرهم حين نهجوا نهج الفساد والتدمير في هذا الكون، فعليهم الاعتبار من غيرهم. وقد تمسّك المسلمون بهذه النصائح الربانية والتوجيهات السماوية، فلم يفسدوا في الأرض، ولم يضرّوا بها، بل حافظوا عليها خير محافظة، وكانت علاقتهم بها علاقة محبة وتآلف لا علاقة عداوة وتخالف. وقد عمل القرآن الكريم على ترسيخ هذه العلاقة من خلال ما يأتي:

١. علم **الله** الإنسان أن يمنع أخاه الإنسان من الإفساد في البيئة الأرضية. قال تعالى: «وَلَوْلاَ دَفْعُ **اللّهِ** النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ».[١] قال الزمخشري: (ولولا أنّ **الله** يدفع بعض الناس ببعض، ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون، وفسدت الأرض، وبطلت منافعها، وتعطّلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض).[٢]

٢. أمرنا **الله** بحماية البيئة والدفاع عنها وحمايتها، ومنع الأيدي الممتدة لها بالفساد من النيل منها. قال تعالى: «وَلَوْلَا دَفْعُ **اللَّهِ** النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ **اللَّهِ** كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ **اللَّهُ** مَن يَنصُرُهُ إِنَّ **اللَّهَ** لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» .[٣]

٣. حذّر **الله** الإنسان من عواقب أفعاله وسلوكياته الخاطئة في النظام البيئي والإفساد في الأرض، وأنّ ما يترتب على ذلك من خلل هو من صنع الإنسان وتدبيره، وعليه تحمّل النتائج والتداعيات الخطيرة لهذا السلوك غير السوي. قال تعالى: «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ **اللّهَ** لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيد» .[٤]

٤. جعل **الله** سبحانه وتعالى الإصلاح في البيئة من العمل الصالح الحسن المحمود العواقب، وعلى النقيض جعل **الله** سبحانه وتعالى الإفساد في الأرض من الأعمال السيئة التي يعاقب عليها العبد في الدنيا والآخرة. قال تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا».[٥] والعمل هنا يشمل كل الأنشطة البشرية من عبادات ومعاملات وتعمير ونظافة واستثمار وحماية وزراعة وتشجير وتربية وغير ذلك.

٥. أخبرنا **الله** سبحانه وتعالى أنّ ظهور الفساد واستفحاله في البيئتين الأرضية والبحرية جاء نتيجة للأنشطة البيئية الخاطئة للناس. قال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ».[٦] والواقع يؤكّد هذه الحقيقة ويثبتها، فالناس قطّعوا الغابات، وأهلكوا الحيوانات والكائنات، وانتهكوا الحرمات، وألقوا بمخلّفات سفنهم ومراكبهم، ونفاياتهم الذرية والكيماوية ومخلّفات مصانعهم في البر والبحر، ولوّثوا

١- (البقرة: ٢٥١).
٢ - الكشاف للزمخشري ٣٢٤/١.
٣- (الحج: ٤٠).
٤- (آل عمران: ١٨٢).
٥- (الكهف: ٧).
٦- (الروم: ٤١).

الفضاء بكل أنواع الملوّثات الكيماوية والنووية والصناعية والكهرومغناطيسية، حيث تمّ إيجاد ما يقرب من خمسة ملايين مركب كيميائي كلّها تلوّث البيئة.[١] ونتج عن ذلك فساد كبير لجميع المخلوقات الأرضية الحيّة والمكوّنات غير الحية، وأفسدوا الدورات الحيوية والفيزيائية والكيماوية التي خلقها **الله** بقدر معلوم موزون.

٦. بيّن سبحانه وتعالى في كثير من الآيات أهمية الموارد البيئية وفوائدها كالحديد والنحاس، والجبال، والشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك من الموارد والعناصر البيئية الهامّة في حياة الإنسان، مّما يستوجب المحافظة عليها لتسيير شؤون حياته. وهذه الآيات تظهر هذه الفوائد:

- فمن الحديد تصنع أسلحتهم من رماح وأسنة وسيوف ودروع، وبنادق ودبابات وطائرات وناقلات، قال تعالى: «أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ».[٢] أي اصنع دروعاً سابغات من الحديد الذي ألنّاه لك، والسرد: نسج الدرع.[٣]
- والنحاس يصنع منه الإنسان آلاته وقدوره وغير ذلك: قال تعالى: «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ»[٤] أي استخرجوا تذويب الحديد والنحاس بالنار واستعمال الآلات منهما.[٥] وعن ابن عباس: كانت تسيل له باليمين عين من نحاس يصنع منها ما أحب والقطر: النحاس.[٦]
- والجبال تعمل على تثبيت الأرض أن تميد وتضطرب، وجعل فيها من الخيرات ما ينتفع به الإنسان والحيوان: «وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً».[٧]
- قدّر حركة الشمس والقمر، وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم في الفصول الأربعة، وبسببها يحصل ما يحتاج إليه من نضج الثمار وحصول الغلات.[٨] وبهما يحصل حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي.[٩] قال تعالى: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ **اللّهُ** ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ».[١٠] وقد اعترفت الأمم المتحدة بأهمية التربية كركن من أركان المحافظة على البيئة وذلك في مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي انعقد في «ستوكهولم» في السويد عام (١٩٧٢م)، فقد دعا المؤتمر إلى اتخاذ التدابير اللازمة لبرنامج جامع لعدّة فروع علمية للتربية البيئية في المدرسة وخارجها من حيث الاهتمام بالبيئة وحمايتها.[١١]

١- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٩٣.
٢- (سبأ: ١١).
٣- الشنقيطي، أضواء البيان ٢٣٣/٤.
٤- (سبأ: ١٢).
٥- الرازي، التفسير الكبير ٢١٤/٢٥.
٦- ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ١٤٧/٣-١٤٨.
٧- (النبأ: ٧).
٨- الرازي، التفسير الكبير ٨١/١٣.
٩- ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ٨٩/٢.
١٠- (يونس: ٥).
١١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥.

الفصل الثاني
أهداف التربية البيئية وشروطها

المبحث الأول ـ الأهداف العامّة للتربية البيئية:

حدّد المؤتمر الدولي للتربية البيئية الذي عُقد في (تبليسي) عام (١٩٧٧م) الأهداف العامّة للتربية البيئية، سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها، وهي أهداف معرفية ووجدانية ومهارية على النحو الآتي:

١. الوعي: ويتمثّل في مساعدة الأطفال وغيرهم على اكتساب الوعي والحس المرهف بمكوّنات البيئة التي يعيشون فيها وعناصرها والمشكلات المرتبطة بها.

٢. المعرفة: وتتم من خلال إتاحة الفرص التعليمية للأطفال وغيرهم لاكتساب خبرات ومعلومات متنوّعة، والتزوّد بفهم أساسي عن البيئة التي يعيشون فيها ومشكلاتها.

٣. الاتجاهات: وتتمثّل في اكتساب الأطفال وغيرهم مجموعة من الاتجاهات والقيم التي تحفزهم على الاهتمام بالبيئة، وتدفعهم للمشاركة الإيجابية؛ لحمايتها والمحافظة عليها وتحسينها.

٤. المهارات: وتتركّز في مساعدة الأطفال وغيرهم على اكتساب مهارات التفكير في التحليل والاستنباط، واتخاذ القرارات، والمشاركة الفكرية في حل المشكلات التي تواجه البيئة التي يعيشون فيها وعلاجها، والتفاعل الفعّال مع بيئتهم.

٥. المشاركة النشطة: وتتم من خلال إتاحة الفرصة للأطفال للقيام بدور إيجابي في حل المشكلات البيئية ذات التأثير على حياتهم ومستقبلهم، والتي تتطلّب تضافر الجهود لمواجهتها.[١]

ولنجاح التربية البيئية يجب أن تتجه إلى حل مشكلات محدّدة للبيئة الإنسانية من خلال استراتيجيات جماعية يشارك فيها الأفراد بأنشطة هادفة، والانفتاح على المجتمع المعني والاتصاف بطابع الاستمرار، والتطلّع إلى المستقبل.[٢]

وذكر بعض التربويين أهدافاً أخرى للتربية البيئية وهي:

١. وضع وترسيخ منهجية تربوية شمولية للعمل، وترافق هذه المنهجية نماذج مستحدثة من الأنشطة مبنية على البرامج التعليمية المعتمدة حالياً «المناهج». تساعد هذه الأنشطة التربويين والمختصين في مسيرتهم لإعادة وضع مناهج وبرامج الإعداد والتدريب في دور المعلمين والمعلمات في القطاعين العام والخاص.

١- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٤٠. السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٥٤. التربية البيئية، مرجع عن البيئة العالمية، جامعة بير زيت، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، برنامج التعليم البيئي، ص ٥.

٢- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٤١-٤٤٢.

٢. تفعيل أصحاب القرار في القطاع التربوي من رؤساء دوائر في المناطق التربوية ومفتشين تربويين ومديري المدارس، ثمّ تنسيق وتكامل جميع الجهود في سبيل إنجاح التجربة والإسراع في تبنّيها بصورة رسمية عند اكتمالها.

٣. تطوير كفاءات الكادر التدريبي، بحيث تشمل جميع المناطق القريبة والبعيدة في المدينة والريف.

٤. تنمية أفراد الهيئة التعليمية وتطوير قدراتهم؛ ليتمكنوا من مواكبة التغيير والتطوير في المناهج وتقنية التربية، وتبني المقاربات التربوية الحديثة والفعالة.[١]

المبحث الثاني ـ أهداف التربية البيئية في الإسلام:

وأمّا أهداف التربية البيئية في الإسلام فهي كل ما ذكر سابقاً من أهداف يضاف إليها ما يأتي:[٢]

١. تنمية الوعي البيئي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن البيئة ومكوناتها بما يحقّق دوره المطلوب في الأرض باعتباره خليفة الله فيها، وأنّ صلاحها من صلاح حاله.

٢. تنمية وتكوين القيم والاتجاهات والمهارات البيئية الإسلامية لدى الإنسان المسلم؛ حتى يستطيع على ضوئها مواجهة مختلف صعابها بإرادة قوية، ومن ثمّ استغلالها بصورة نافعة بما يحقّق أهداف الإسلام.

٣. تنمية قدرة الإنسان المسلم على تقويم إجراءات وبرامج التربية والتعليم المتصّلة بالبيئة من أجل تحقيق تربية بيئية أفضل.

٤. إيجاد التوازن وتعزيزه بين العناصر الاجتماعية والاقتصادية والبيولوجية المتفاعلة في البيئة لما فيه صالح الإنسان المسلم.

٥. فهم الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية والطبيعية وعلاقة الإنسان المسلم بالقضايا البيئية كالتلوّث.

٦. معايشة (المتعلِّم) للمشكلات البيئية، وتنمية مهارته التي تساعده على صيانة بيئته وتنمية مواردها، مع اكتساب المتعلّم القيم والاتجاهات الإيجابية نحو حماية البيئة وتحسينها بقصد إعداد (تربية) جيل واع ببيئته الطبيعية والاجتماعية والنفسية.[٣]

٧. تشجيع تبادل الأفكار والمعلومات والخبرات المتّصلة بالتربية البيئية بين دول العالم.[٤]

٨. تشجيع البحوث التي تؤدّي إلى فهم أفضل لأهداف التربية ومادتها وأساليبها.[٥]

١- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٥١- ٢٥٤. المدهون، التربية البيئية المدرسية ص ٥-٦.
٢- الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي ص ١٩٤.
٣- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥.
٤- المرجع السابق ص ٢١٥.
٥- المرجع نفسه ص ٢١٥.

٩. تشجيع وتطوير مناهج تعليمية وبرامج في حقل التربية البيئية وتقويمها.[١]

١٠. زيادة الوعي بالعوامل البيئية وارتباطها بصحة الإنسان وسلامته.[٢]

١١. تحسين اتخاذ القرار حول قضايا المجتمع المستقبلية.[٣]

١٢. صياغة السلوك البيئي الرشيد والتبصير بعواقب إفساد البيئة وإتلافها.[٤]

١٣. زرع القيم البيئية الإسلامية التي تدفع باتجاه حماية البيئة والدفاع عنها في نفوس الطلاب ومن هذه القيم ما يأتي:[٥]

أولاً.قيم المحافظة: وتختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو المحافظة على مكوّنات البيئة وتشمل:

- المحافظة على نقاوة الغلاف الجوي وصفائه.
- المحافظة على نظافة الثروة المائية ومنع تلوّثها بالملوّثات.
- المحافظة على رعاية الثروات النباتية والاهتمام بها ومكافحة قطعها.
- المحافظة على رعاية الثروات الحيوانية وحمايتها من الانقراض والصيد العشوائي.
- المحافظة على استخدام الثروات المعدنية وغير المعدنية والحرص على عدم استنزافها.
- المحافظة على نظافة الطرقات والشوارع والأماكن العامّة.
- المحافظة على نظافة بيوت الله والبيوت العامّة.
- المحافظة على الصحة البدنية والاهتمام بالنظافة.
- المحافظة على الهدوء وتوفيره ومكافحة الضجيج المؤذي.
- المحافظة على مؤسّسات الدولة المختلفة ومنع الاعتداء عليها وتخريبها.
- المحافظة على المؤسسات التعليمية بجميع فروعها.
- المحافظة على المتنزهات والغابات وأماكن الترويح عن النفس.
- المحافظة على التربة والزراعة والغذاء.

ثانياً.قيم الاستغلال والانتفاع والاقتصاد: وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد والانتفاع الأمثل لمكوّنات البيئة، وتتضمّن عدم الإسراف، وعدم التبذير، والبعد عن الترف والبذخ، وامتثال الاعتدال والتوازن في كل شيء، وترشيد الاستهلاك

١- المرجع نفسه ص ٢١٥.
٢- المرجع نفسه ص ٢١٥.
٣- المرجع نفسه ص ٢١٥.
٤- الريسوني، المحافظة على البيئة ص ١٩٤. السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥.
٥- د.صلاح عبد السميع عبد الرازق، «التربية البيئية في الإسلام مفهومها- أهدافها»، على الموقع الالكتروني: http://www.khayma.com/almoudaress/takafah/kiamalbia.htm.موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٤٠.

حيث يدعو الإسلام المسلم إلى الاعتدال في استهلاك موارد البيئة بحيث تكفي ضروراته وحاجاته وتحسيناته دون إفراط ولا تفريط، ويمكن الاستفادة من الآيات والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح في تأصيل هذه القيم وترسيخها في نفوس الطلاب:

- فمن القرآن الكريم قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ».[٦]

- ومن الأحاديث النبوية: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إلي بشيء سمعته من النبي-صلى الله عليه وسلم-، فكتب إليه سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: «إنّ الله كره لكم ثلاثاً قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال».[٧]

- **ومن الآثار:**

أ. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «كل ما شئت، والبس واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف أو مخيلة».[٨]

ب. وعنه أيضاً: «من أنفق مائة ألف في حق فليس بسرف، ومن أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف».[٩]

جـ. قال سفيان الثوري: الإسراف ما أنفق في غير طاعة الله.[١٠]

د. وقال إياس بن معاوية: الإسراف ما قصّر به عن حق الله.[١١]

هـ. وذكر عن قتادة: الإسراف النفقة في معصية الله، والإقتار الإمساك عن حق.[١٢]

ثالثاً.قيم الجمال: وهي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الإنسان نحو التذوّق الجمالي لمكوّنات البيئة، والحرص على أن تكون البيئة خضراء جميلة تسر الناظرين. والآيات التي تدعو إلى تذوّق هذا الجمال والنظر في الطبيعة والكون كثيرة قال تعالى: «أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ».[١٣]

٦- (الأنعام: ١٤١).

٧- رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: «لا يسألون الناس إلحافاً..»، حديث رقم (١٤٠٧). صحيح البخاري ٥٣٧/٢.

٨- سبق تخريجه.

٩- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٧٣/١٣.

١٠- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد ص ٣١٠.

١١- المرجع السابق.

١٢- أبو زمنين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، مكتبة الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، ٢٦٧/٣.

١٣- (الغاشية: ١٧).

ومن الأحاديث التي تحثّ على الجمال وتحبّب فيه ما يأتي:

أ. عن عبد **الله** بن مسعود عن النبي– صلى **الله** عليه وسلم– قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر». قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: «إنّ **الله** جميل يحب الجمال».[١] قال الإمام الشوكاني معلقاً على هذا الحديث: (والحاصل أنّ **الله** جميل يحب الجمال، فمن زعم أنّ رضاه في لبس الخلقان والمرقّعات، وما أفرط في الغلظ من الثياب، فقد خالف ما أرشد إليه الكتاب والسنة).[٢]

ب. عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «إنّ **الله** يحب أن يرى أثر نعمته على عبده».[٣]

جـ. عن ابن عباس قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم، وكفّنوا فيها موتاكم، وإنّ خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر وينبت الشعر».[٤]

د. عن جابر بن عبد **الله** قال: أتانا رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– فرأى رجلاً شعثاً قد تفرّق شعره. فقال: «أما كان يجد هذا ما يسكن به شعره ؟» ورأى رجلاً آخر وعليه ثياب وسخة فقال: «أما كان هذا يجد ماء يغسل به ثوبه ؟».[٥]

هـ. عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت النبي –صلى **الله** عليه وسلم– في ثوب دون فقال:«ألك مال ؟» قال: نعم. قال:«من أي المال ؟» قال: قد آتاني **الله** من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «فإذا أتاك **الله** مالاً فلير أثر نعمة **الله** عليك وكرامته».[٦]

رابعاً.قيم التكيّف والاعتقاد: هي تلك القيم التي تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو التكيّف مع بيئتهم والانسجام والتفاعل معها، ونحو تصحيح معتقداتهم السلبية تجاهها. وتشمل التكيّف مع التغيّرات الطبيعية والظواهر الكونية مثل: قسوة الظروف المناخية، طبيعة الأرض، الكسوف والخسوف، الزلازل والبراكين، الأعاصير القويّة، والابتعاد عن المعتقدات الخرافية في تفسير الظواهر الطبيعية، ووجوب التحاكم إلى النقل الصحيح والعقل السليم والموازنة الحكيمة في مثل هذه الخزعبلات والخرافات مثل: التعاويذ والتمائم والطلاسم، والتبرّك بالشجر، والتمسّح بالقبور،

١– سبق تخريجه.
٢– الشوكاني، نيل الأوطار ١٢٠/٩.
٣– رواه الترمذي وقال: حديث حسن،كتاب اللباس، باب ما جاء إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. سنن الترمذي ١٢٣/٥. حديث رقم (٢٨١٩). قال الشيخ الألباني: حديث حسن. مشكاة المصابيح ٤٨٧/٢.
٤– رواه أبو داود،كتاب اللباس، باب في البياض. قال الشيخ الألباني: صحيح. حديث رقم (٤٠٦١)، سنن أبي داود ٥١/٤. والحديث صحّحه الترمذي، فتح الباري ٣٩/٩.
٥– رواه أبو داود،كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان. قال الشيخ الألباني: صحيح. حديث رقم (٤٠٦٢)، سنن أبي داود ٥١/٤. قال العراقي: إسناده جيد. المناوي، فيض القدير ١٦٦/٢. الحسيني، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ، تحقيق: سيف الدين الكاتب.
٦– رواه أبو داود،كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان. قال الشيخ الألباني: صحيح. حديث رقم (٤٠٦٣)، سنن أبي داود ٥١/٤. الحديث صحّحه ابن حبان والحاكم. ابن حجر، فتح الباري ٢٦٠/١٠. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال العراقي: حديث صحيح. الحسيني، البيان والتعريف ٤٥/١.

والاستعانة بالسحرة في تفسير ظواهر الكون وأحداثه، والاستسقاء بالنجوم،[1] والكهانة، والتشاؤم والتطيّر، وظاهرة الخسوف والكسوف وغير ذلك. ونجد أنّ الإسلام أبطل مثل هذه المعتقدات المغلوطة، وصحّح هذه المفاهيم، فمثلاً كان يعتقد أهل الجاهلية أنّ كسوف الشمس يحدث لمولد عظيم أو وفاة عظيم، فبيّن لهم النبي –صلى **الله** عليه وسلم– أنّ هذه الظاهرة الكونية آية من آيات **الله** تعالى وبرهان على قدرته، وليست كما يعتقد هؤلاء الجهلة، فعن أبي بكرة قال:كنّا عند رسول **الله** – صلى **الله** عليه وسلم– فانكسفت الشمس، فقام رسول **الله** يجر رداءه حتى دخل المسجد، فدخلنا، فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس، فقال: «إنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فصلّوا وادعوا حتى يكشف ما بكم».[2] قال الإمام ابن عبد البر: (إنّما خطب الناس؛ لأنّهم قالوا إنّ الشمس كسفت لموت إبراهيم ابن النبي –صلى **الله** عليه وسلم–، فلذلك خطبهم يعرّفهم أنّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته).[3]

وعلّق الحافظ ابن حجر على الحديث السابق قائلاً: (إنّ الناس يزعمون أنّ الشمس والقمر لا ينكسفان إلاّ لموت عظيم من العظماء، وفي هذا الحديث إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض).[4]

وعن أبي مالك الأشعري أنّ النبي –صلى **الله** عليه وسلم– قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة».[5]

ومن الخرافات الغريبة التي شاعت في المجتمعات الأوروبية خلال سنوات القرن الرابع عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي هي أنّ المرض وتلف المحاصيل إنما هي من أفعال الساحرات، وحتى يتسنّى للمجتمعات القضاء على هذه الكوارث التي تسبّبها الساحرات كانوا يقومون بإحراقهنّ حتى عام (١٦١٠م)، حيث تبيّن للحاكم الأسباني أخيراً عدم وجود علاقة سببية مؤكّدة بين هذه الكوارث والساحرات، فمنع تعذيبهن للحصول على اعتراف منهن بهذه العلاقة، ثمّ توقّف المجتمع عن حرقهنّ بعد ذلك.[6]

خامساً.قيم اجتماعية: هي تلك القيم التي تدفع الأفراد إلى التكاتف والتعاون والترابط في مواجهة الأخطار المحيطة بالبيئة، وكذلك غرس عاطفة المحبة والشعور بآلام الآخرين والحرص على ما ينفعهم ويدفع عنهم الأخطار المحدقة، وكذا الحرص على خدمتهم والسهر على راحتهم. عن النعمان بن بشير قال: قال رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم–: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى».[7]

١– الاستسقاء بالنجوم: أي اعتقاد أنّ نزول المطر بظهور كذا، وهو حرام لأنّه إشراك ظاهر إذ لا فاعل إلا الله بل متى اعتقد أنّ للنجم تأثيراً كفر. قال الحراني: «فالمتعلّق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم صابئة هذه الأمّة كما أنّ المتعلّق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم من الخلق مجوس هذه الأمّة». المناوي، فيض القدير ٤٦٢/١.

٢– صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس. صحيح البخاري ٣٥٣/١. حديث رقم (٩٩٣).

٣– ابن عبد البر، التمهيد ٣١٧/٣.

٤– ابن حجر، فتح الباري ٥٢٨/٢.

٥–رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة . صحيح مسلم ٦٥٣/٢، حديث رقم (٩٣٤).

٦–كاتر، سوزان، البيئة المخاطر والأخطار ص٢٨٤.

٧– رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم. صحيح البخاري ٢٢٣٨/٥. حديث رقم (٥٦٦٥).

المبحث الثالث ـ شروط التربية البيئية:

حتى تؤتي التربية البيئية أكلها يراعى فيها ما يأتي:[1]

١. انطلاقها من العقيدة الإسلامية الصحيحة

٢. دراسة العناصر البيئة ومشكلاتها مثل: (المياه، التنّوع الحيوي، جودة الهواء، تغيّر المناخ العالمي (الاحتباس الحراري)، طبقة الأوزون، الطّاقة، الغابات، الزراعة والغذاء، التّربة، المصادر المعدنية، النّمو السكاني، إدارة النفايات، السمية والمخاطر، صناعة القرار).

٣. استمرارها مدى الحياة.

٤. قيامها على مبدأ الوحدة والشمول.

٥. تأكيد المشاركة الفعّالة بين المواطنين والمسؤولين لصيانة البيئة والمحافظة عليها.

٦. تمكين المعلّمين أن يكون لهم دور تخطيط خبراتهم التعليمية وإعادة الفرصة لهم في صنع القرارات وتحمّل نتائجها.

٧. التركيز على حل المشكلات البيئية القائمة وتجنّب أي مشكلات أخرى.

٨. أخذ النواحي البيئية في الاعتبار في كل خطّة للتنمية.

٩. توثيق الارتباط بين الناس وبيئتهم.

١٠. معالجة القضايا البيئية على المستويات المحلية والقومية والعالمية حتى يتسنّى للمتعلّمين الإلمام بالأحوال البيئية في المجتمعات الأخرى.

١١. الإفادة من الخبرات المباشرة وتكنولوجيا التعليم في إكساب المعلمين.

١٢. تنمية القيم وتعميق الإحساس بالبيئة.

١٣. الشمول: بحيث تشمل التربية البيئية جميع المستويات في المجتمع، ولا يستثنى منها أحد؛ لأنّ ثمرة المحافظة عليها لا تختص بمجموعة معيّنة أو قطاع خاص من قطاعات المجتمع، بل يعمّ صلاحها الناس كافّة، وقد يعمل بعض الناس ممّن لا يُربّى على قيم المحافظة عليها إلى إفسادها وتدمير مصالح الآخرين.

١- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٨٦-٢٨٧.

الفصل الثالث

أشكال وأساليب التربية البيئية

المبحث الأول ـ أهمية التعليم البيئي:

تمثّل التربية البيئية محوراً مهماً من محاور مناهج العلوم في التعليم العام، وهي من التجديدات التي ظهرت في السبعينيات من القرن الماضي نتيجة للممارسات الخاطئة للإنسان مع بيئته، وإساءة استغلال مواردها، الأمر الذي أدّى إلى العديد من المشكلات البيئية.(١)

وتحتل العلوم البيئية في الوقت الحالي حيزاً هاماً بين العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية، ولعل أهم ما دعا الإنسان إلى النظر إلى العلوم البيئية بهذه الجدية هي التفاعلات المختلفة بين أنشطة التنمية والبيئة والتي تجاوزت الحدود المحلية إلى الحدود الإقليمية والعالمية، فأصبح الإنسان ينظر إلى هذه المستجدات كمشاكل عالمية لا تستطيع الدول إلا مجتمعة أن تضع الأطر والحلول المناسبة لها.(٢)

وقد بدأت الحاجة إلى التعليم البيئي تزداد بصورة عالمية، حيث أقرّها مؤتمر «ستوكهولم» الذي عقد تحت إشراف منظمة اليونسكو عام (١٩٧٢م)، وكان من أهم توصياته: وضع برامج البيئة في مراحل التعليم المختلفة،كما أوصى مؤتمر «تبليسي» عام (١٩٧٧م) بضرورة التصدّي لمشكلات البيئة، والعمل على النهوض بها من خلال توجه تربوي تعليمي.(٣)

ويعتبر التعليم البيئي نمطاً من التعليم ينظّم علاقة الإنسان ببيئته الطبيعية والاجتماعية والنفسية، مستهدفاً إكساب الأطفال والشباب خبرة تعليمية واتجاهات وقيم خاصّة بمشكلات بيئتة وواجباته نحوها، تضبط سلوك الفرد إزاء الموارد البيئية، بحيث تصبح الإيجابية والفعالية سمة بارزة في سلوك الفرد.(٤)

وقد حدّد مؤتمر «تبليسي» عام (١٩٧٧م) الجوانب والقضايا التي يجب على التعليم البيئي أن يعمل على ترسيخها في المجتمع:(٥)

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥.
٢- علياء بوران حاتوع. أبودية، محمد حمدان، علم البيئة ص٥.
٣- شبلي، أحمد إبراهيم، دراسة بعنوان: «أثر دراسة مقرّر في التربية البيئية على اتجاهات طلاب كلية التربية»، جامعة الملك سعود- فرع أبها، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر الثاني: إعداد المعلم، الإسكندرية ١٥ - ١٨ تموز ١٩٩٠، المجلد الثالث، نقلاً عن بحث بعنوان: «التربية البيئية المدرسية» للباحث: عبد الرحيم المدهون، باحث في مركز القطان غزّة، ص١.
٤- المراجع السابقة.
٥- التربية البيئية، مرجع عن البيئة العالمية، جامعة بير زيت، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، برنامج التعليم البيئي، ص ٥- ٦.

١. يهتم بكافة جوانب البيئة، ويأخذ بعين الاعتبار جميع أنواعها وعناصرها البيئية الطبيعية والمشيّدة، مع مراعاة الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتاريخية والأخلاقية والجمالية.

٢. يكون عملية متواصلة ومستمرة حيث يبدأ في المرحلة ما قبل المدرسة ويستمر في جميع المراحل.

٣. يحوي على مواضيع متعددة ومترابطة ومنسجمة مع بعضها البعض.

٤. يتفحص ويوضح القضايا البيئية الرئيسة من وجهة نظر محلية، وطنية، إقليمية، وعالمية حتى يتسنى للطالب التعرف على الظروف البيئية في مختلف بقاع الأرض.

٥. يركز على الأوضاع البيئية الراهنة والكامنة مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب التاريخي لها.

٦. تعزيز وتوضيح قيمة وأهمية التعاون المحلي والإقليمي والدولي في حل المشكلات والقضايا البيئية والعمل على منع تكرارها أو الحيلولة دون وقوعها.

٧. يأخذ بعين الاعتبار الجوانب البيئية وبشكل واضح وصريح في مخططات التطور والنمو.

٨.يمنح المتعلمين فرصة لتخطيط وتطوير طرق وأساليب تعليمهم، وإفساح المجال أمامهم في المشاركة في إبداء الرأي وصنع القرار.

٩. يربط بين حساسية البيئة، المعرفة، المقدرة على حل المشاكل وتوضيح القيم البيئية لكل جيل، ولكن مع تركيز خاص في المراحل الأولى على حساسية البيئة التي يعيش فيها المتعلمون.

١٠. يساعد المتعلمين على اكتشاف وإدراك الأسباب الرئيسة لتدهور البيئة وعلامات هذا التدهور.

١١. إظهار مدى تفاقم المشكلات والقضايا البيئية وتعقدها، وبالتالي مدى الحاجة إلى تطوير طرق التفكير والتعامل مع هذه القضايا وطرق حلها.

١٢. يتم استخدام طرق متنوعة للتعلم عن البيئة، واستخدام أنظمة متعددة لتسهل بلوغ الهدف مع زيادة في التركيز على التطبيقات العملية والمواد الحديثة.

ولم يعد من المستطاع في زماننا حل مشكلاتنا البيئية بجهود ارتجالية، وإنما عن طريق جهود علمية جادّة تقوم على الدراسة الصحيحة والتخطيط السليم، وهذا لا يكون من خلال الهدف أو المعلومات وحدها، بل بتأثير ما يكتسبه الإنسان من مهارات واتجاهات وما يستخدمه من أسلوب تفكير في تفاعله مع البيئة.[١]

المبحث الثاني ـ أشكال وأساليب التربية البيئية:

الفئات المستهدفة من التعليم البيئي متعدّدة، فهو يشمل قطاعات كثيرة في المجتمع، وكل قطاع يحتاج إلى أساليب خاصة في التربية البيئية والتعليم البيئي، ويمكن حصر هذه القطاعات فيما يأتي:

١- بدران، مصطفى، الديب، فتحي، بحوث في تدريس العلوم، مكتبة النهضة ١٩٩٦. نقلاً عن بحث بعنوان: «التربية البيئية المدرسية» للباحث: عبد الرحيم المدهون، باحث في مركز القطان/ غزّة، ص١.

١. القطاع التعليمي.

٢. القطاع الشعبي (الجمهور).

٣. القطاع المهني والاجتماعي.

أولاً: **القطاع التعليمي**: ويشمل هذا القطاع المستويات الآتية:

١. التعليم ما قبل المدرسة (رياض الأطفال) في جميع مراحله.

٢. التعليم النظامي المدرسي في جميع مراحله.

٣. الجامعات والمعاهد وكليات المجتمع.

٤. التعليم غير النظامي (اللامدرسي) من خلال دورات التعليم المستمر والجامعات المفتوحة، وشبكات الانترنت.[١] وسأتحدّث عن دور كل من هذه المؤسسات السابقة في حماية البيئة والمحافظة عليها:

المستوى الأول ـ التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة (رياض الأطفال):

فالتربية البيئية هي تربية عن البيئة تتم في البيئة ومن أجل البيئة؛ وذلك لتحقيق التفاعل الناجح بين الطفل وبيئته؛ ليحسن استثمارها، والمحافظة عليها، وتطويرها، وغرس المفاهيم والقيم في تعامل الطفل مع البيئة التي يعيش فيها.

وانطلاقًا من هذا المفهوم فإنّ التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة تهدف إلى غرس الوعي لدى الطفل بالبيئة ومشكلاتها، وإكسابه المعلومات البيئية المناسبة لإدراك أهمية المحافظة على البيئة وحسن استثمارها، وتكوين الاتجاهات البيئية المرغوبة، والمهارات اللازمة للإسهام في مواجهة مشكلات البيئة بما يتفق ومستوى نموه.[٢]

أساليب التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة:

هناك عدة أساليب تساهم في تحقيق أهداف التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة، لعل من أهمها ما يأتي:

١. أن يكون الآباء ومعلمات رياض الأطفال قدوة في السلوك والتعامل الرشيد مع عناصر ومكوّنات البيئة، ومن أمثلتها: تجنب الاستعمال السيئ للمياه، وخصوصًا في مناطق صنابير المياه المخصّصة للخدمة العامّة، ومنع إهدار المياه وترشيد استهلاكها، كالتأكيد على إغلاق الصنابير بعد استعمالها، وتنبيه الأطفال إلى ذلك، والعناية بالطابع الجمالي للبيئة، مثل الاهتمام بنظافة المنزل ودور الحضانة والحدائق والشوارع والطرقات؛ حتى تكون مثالاً أمام الأطفال، وامتناع الآباء عن التدخين في الأماكن المغلقة، والتحذير من الممارسات الخاطئة

١- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٣٩. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٣٩.

٢- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٥.

الأخرى. ويتطلّب ذلك عقد لقاءات دورية للآباء ومعلمات رياض الأطفال مع بعض القيادات التربوية؛ لمناقشة سلوكيات الكبار، والتي تنتقل إلى الأطفال عن طريق التقليد والمحاكاة، وتدارس سلوكيات الأطفال والطرق المثلى لتعديلها، وعلاج ما قد يشوبها من قصور أو أخطاء تجاه البيئة، فالتربية البيئية ليست قاصرة على الأطفال فقط، وإنما ينبغي أن تبدأ أيضاً بالكبار، خاصّة وأنهم هم الذين يتّخذون كل القرارات الخاصّة بالإنتاج والاستهلاك واستغلال الموارد وغير ذلك. فالكل يتحمّل المسؤولية أمام **الله** تعالى، فهي مسؤولية جماعية: عن عبد **الله** بن عمر قال: سمعت رسول **الله** –صلى **الله** عليه وسلم– يقول: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيّده ومسئول عن رعيته". قال: وحسبت أن قد قال: "والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته".[1] ويمكن ترجمة هذه المسؤولية الجماعية بالأفعال من خلال إنشاء الجمعيات الأهلية للمحافظة على البيئة، وتفعيل دور الأحزاب والنقابات والغرف الصناعية والشركات والنوادي واتحادات الطلاب في ممارسة الدور الرقابي المطلوب.[2] فيد **الله** مع الجماعة.

٢. توفير مواقف حقيقية تساعد الأطفال على الانطلاق في البيئة والحصول على المعلومات والحقائق من خلال حب الاستطلاع والرغبة في الكشف والارتياد، والاتصال المباشر، وإدراك الظاهرات في إطارها الكامل ومواقعها الطبيعية، والتي تجذب انتباه الأطفال وتؤثّر في حياتهم وحياة أسرهم، وتتحكّم في حاجاتهم الضرورية من مأكل وملبس ومسكن ومواصلات وترفيه. والمهم هو أن ينجح الآباء ومعلمات رياض الأطفال في إثارة اهتمام الأطفال بالبيئة ومشكلاتها، فالطفل الذي يصبح واعياً بأهمية حماية الأشجار وبجمال الأزهار حتى تكون في بيئتها الطبيعية لن يقدم على قطفها أو إتلافها، وهذا النوع من الحساسية البيئية يأتي من خلال التفاعل الحسي للطفل مع البيئة.

٣. استخدام أساليب غير تقليدية في غرس القيم والاتجاهات لدى الطفل تجاه البيئة بما يتناسب ومستوى إدراكه، ومن بين هذه الأساليب التصوير الدرامي، خاصّة لعب الأدوار لتقييم بعض الأعمال التي يقوم بها الطفل وما يواجهه من مشكلات في البيئة، واستخدام القصص ذات النهايات المفتوحة؛ لتنمية القيم البيئية؛ ولغرس السلوك البيئي الرشيد لديه، ويتم ذلك في صورة حوار مع الطفل، حتى يصل إلى نهاية القصة ويعرّف الدروس المستفادة منها، وتشجيعه أو مكافأته عندما يعبر عن اتجاه مرغوب فيه، ممّا يؤدّي إلى تأصيل الاتجاهات الإيجابية تجاه البيئة. ومن أمثلة ذلك: أن يضع الطفل القمامة في الموضع المخصّص لها، وأن يرفع القمامة الملقاة على الأرض، وأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده، وأن يحرص على نظافة ملابسه وأدواته عند استعمال الألوان، وأن يحترم زملاءه، ويحرص على ألاّ يتحدّث معهم بصوت مرتفع، وأن يشعر بالخطأ فيما يصدر عنه من سلوكيات غير رشيدة تجاه البيئة.

١– رواه، البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن. صحيح البخاري١/٣٠٤. حديث رقم (٨٥٣).
٢– الريسوني، المحافظة على البيئة ص ٢٠٦.

٤. المشاركة النشطة للأطفال في تجميل البيئة التي يعيشون فيها، مثل زراعة النباتات والزهور، سواء في المنزل أو دور الحضانة، وزراعة الأشجار في الشارع؛ ممّا يؤدّي إلى شعورهم بملكية ما شاركوا في زراعته، أو ريّه بالماء، أو العناية به، وبأنهم جزء من البيئة المحلية؛ ممّا يؤكّد على انتمائهم إليها، ويشجعهم على المشاركة الفعّالة في مناقشة مشكلات البيئة، وعلى الآباء ومعلمات رياض الأطفال توعية الأطفال أثناء الأجازات في الأماكن التي يتجمّعون فيها بأهمية المحافظة على جمال ونظافة البيئة من حولهم، والاستمتاع بالزهور والنباتات، بدلاً من العدوان عليها وإتلافها، والمشاركة في جمع ما قد يوجد فيها من الأوراق والعلب والأكياس الفارغة التي تشوّه جمال المكان ووضعها في السلال المخصّصة للقمامة، ولفت نظر الأطفال للمقارنة بين جمال المكان قبل وبعد تنظيفه، وتخصيص أسبوع للبيئة يساهم فيه الأطفال بأنشطة بيئية مختلفة، مثل جمع المعلومات البيئية عن طريق المشاهدة والخروج منها بتعميمات ومبادئ عامّة تتعلّق بنظافة البيئة وحمايتها من التلّوث.

٥. صياغة دروس وبرامج بيئية مناسبة للأطفال مستمدة من بيئاتهم وخبراتهم وتشتمل جوانب التعلّم الثلاثة: (المعرفة، المهارات، الاتجاهات)، وتقوم على فكرة أنّ البيئة نعمة من نعم **الله** تعالى، وإفسادها يتعارض مع شكر **الله** على نعمه، ويحل غضبه، وحمايتها شكر **لله** ويوجب رضاه، وأن يراعى في هذه الدروس والبرامج مستوى نضج الأطفال، وكذلك اللغة والأسلوب الذي تقدّم بهما، مع الاستعانة بالصور والأفلام والرسوم الثابتة والمتحرّكة والأشكال التوضيحية التي تركّز على السلوك البيئي الرشيد، وتدعو إلى نبذ السلوكيات الخاطئة في التعامل مع البيئة.

المستوى الثاني ـ التعليم النظامي المدرسي في جميع مراحله:

من الضروري التركيز على المدارس بسبب ضخامة جمهورها، وطول الفترة الزمنية قياساً بغيرها، ويمكن ترسيخ وتجذير حب البيئة والمحافظة عليها في نفوس الطلاب بوسائل تربوية متعدّدة أهمها النشاط المدرسي الذي يحتل مكانة متميّزة من المنهج بمعناه الواسع، وعند النظر إلى المنهاج المدرسي نجد أنّ له أهمية كبيرة باعتباره منظومة شاملة ومتكاملة تتكوّن من العديد من الأطراف أو العناصر، ومن ثمّ فإنّ النشاط الذي يمكن القيام به في مجال التربية البيئية له شروط هي:[(١)]

١– يعتمد على مادة علمية متضمنّة الكتاب المدرسي.

٢– يجد القبول والتشجيع من المعلم.

٣– توجد مجالات التطبيق والممارسة في البيئة المحلية.

٤– يكون موضع تقدير من جانب المعلم.

١– السعود، الإنسان والبيئة ص٢٣٧ . الريسوني، المحافظة على البيئة ص١٩٤. الجبان، رياض، التربية البيئية حلول ومشكلات، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط٢، ١٢٧–١٢٩.

٥- يعتمد على العمل الجماعي الذي يشارك فيه المعلم تلاميذه.

٦. يخضع للتقويم المستمر من جانب المعلِّم والمتعلّم.[١]

ويتّضح أنّ أمر النشاط في مجال التربية البيئية يكون هدفه هو المشاركة الفعّالة من جانب المعلم، وأنّ أنشطة التربية البيئية تختلف عن الأنشطة المرتبطة بالمناهج الدراسية، إذ يغلب عليها الجانب الاجتماعي، أو العلمي، أو الثقافي، أو الاقتصادي، أو الصحي، وهذا يتطلّب من المعلم أن يكون قادراً على العمل في فريق، وأن يكون مدركاً لطبيعة النشاط الذي يمارس في الفصل المدرسي مع تلاميذه، فالعمل في فريق مهارة لا بد أن يتقنها المعلّم ولا بد أن ينقلها إلى تلاميذه.

وحتى ينجح النشاط المدرسي في تحقيق أهدافه في الحفاظ على البيئة لا بد من وضع معايير خاصة تختار على أساسها هذه الأنشطة، وتحديد متطلباتها، وبيان مصادرها، وطرق وأساليب تخطيطها، وإليك تفصيل ذلك:

أ.**معايير اختيار الأنشطة المدرسية البيئية**: عند اختيار الأنشطة المدرسية البيئية لا بد من اعتماد المعايير التالية لضمان نجاحها وتأثيرها. وهذه المعايير هي:[٢]

١- الأهمية.

٢- الإحساس بالخطورة.

٣- الانتشار.

٤- الإحساس الجمالي.

٥- الارتباط بالمستقبل.

٦- توافر البيانات والمعلومات.

٧- الارتباط بالأهداف العامّة للمرحلة التعليمية والمناهج المدرسية.

ب.**متطلّبات الأنشطة المدرسية البيئية**: تتطلّب الأنشطة المدرسية البيئية عدّة إجراءات لتحقيق الأهداف مثل:[٣]

١. قيام المعلم بدراسة استطلاعية لمجال الدراسة لتحديد المكان والأخطار المحتملة أو المشكلات.

٢. حصر جميع مصادر المعلومات والبيانات التي سيحتاج إليها التلاميذ في مرحلة التنفيذ.

٣. النظر إلى مصادر أخرى تختلف عن المناهج الدراسية، ومدى الحاجة إلى الاستعانة بجهود الزملاء.

٤. تحديد المصادر البشرية التي قد يلجأ إليها التلاميذ.

٥. تحديد الحاجة إلى أنشطة داخل المدرسة مكمّلة للنشاط الذي سيقوم به التلاميذ خارج المدرسة.

٦. تحديد الحلول.

١- المدهون، التربية البيئية المدرسية ص ٤-٢.

٢- المرجع السابق ص ٤-٢.

٣- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٧١. المدهون، التربية البيئية المدرسية ص ٥-٦.

٧. تحديد الأدوار والمسؤوليات.

٨. وضع خطّة مناسبة للتقويم مع التركيز على أسلوب التقويم الذاتي والتقويم الجماعي.

٩. تنفيذ الخطّة.

جـ. المصادر التي تحتاج إليها الأنشطة المدرسية البيئية: تتعدّد المصادر التي تحتاج إليها الأنشطة المدرسية البيئية، فقد تكون هذه المصادر مرئية أو مسموعة أو مقروءة، ولضمان نجاح هذه المصادر في تحقيق أهدافها لا بد من مواكبة التقدّم التكنولوجي في هذه الحالة للتعرّف على ما يستجد من مصادر يمكن الاستفادة منها لتحقيق الأهداف المطلوبة. ومن هذه المصادر:[١]

١- الكتب والصحف والمجلات العلمية.

٢- الندوات والمؤتمرات والمحاضرات وورشات العمل.

٣- المواسم الثقافية.

٤- برامج الكمبيوتر والانترنت.

٥- وسائل الإعلام كافّة.

٦- دوائر المعارف.

٧- مطبوعات ومراجع وعيّنات ونماذج وأفلام.

٨- دورات ونشرات.

٩- الأماكن الأثرية.

د. تخطيط أنشطة التربية البيئية: إن التخطيط السليم يؤدي إلى نتائج سليمة، ولكي يكون تخطيط الأنشطة البيئية في مجال التعليم البيئي المدرسي سليماً لا بد من تحديد واجبات المعلّم والمتعلّم ودورهما في تخطيط وتحقيق هذه الأنشطة:

أولاً-.واجبات المعلّم: إنّ أي جهد يقوم به المعلم في مجال تنفيذ المنهج المدرسي يحتاج إلى تخطيط سليم ولا بد أن يكون مستنداً إلى الدراسة العملية والتفكير السليم، لذلك فإنّ المعلِّم مطالب بما يأتي:[٢]

١. دراسة المناهج الدراسية التي يتولّى مسؤولية تنفيذها خلال العام الدراسي دراسة تحليلية نقدية يتعرّف من خلالها النواحي البيئية المتضمّنة بها، ورفع توصياته بحيث يتم اعتماد التربية البيئية كمنهاج مستقل في جميع المراحل التعليمية، وإدراج الموضوعات البيئية التي لم يتضمنها المنهاج الحالي في جميع المراحل التعليمية.

١- المراجع السابقة.

٢- المراجع السابقة نفسها.

٢. التوصّل إلى قرار بشأن ما يحتاج منها إلى الدراسة القبلية والدراسة التطبيقية من خلال أنشطة معينة.

٣. تحديد أشكال النشاط المناسبة.

٤. مناقشة تلك الأنشطة مع التلاميذ.

٥. وضع تصوّر شامل يقوم على المشاركة الجماعية (تنظيم الطلاب في مجموعات عمل).

٦. الاختيار الجماعي لعدد مناسب من الأنشطة التي يمكن تنفيذها خلال العام الدراسي.

٧. وضع خطة زمنية للتنفيذ.

٨. إعداد مطبوعات لازمة للعمل.

٩. إعداد الأدوات والأجهزة الضرورية.

١٠. زيارة مواقع معينة.

١١. عرض أعمال التلاميذ.

١٢. تشجيع التلاميذ على التعبير عن أعمالهم وتبادل الخبرات.

١٣. التركيز على ترشيد السلوك البيئي للتلاميذ.

١٤. ربط الخبرات الحالية بالخبرات السابقة.

١٥. دعوة متحدّثين ومتخصّصين من البيئة المحلية مثل (مهندس زراعي، رجل شرطة، مهندس مباني، مسؤول كهرباء، عالم دين وغير ذلك).

ومن الأنشطة التي يمكن للمعلّم أن يكلّف الطلبة بها خلال العام الدراسي:

١. المشاركة في الإذاعة المدرسية.

٢. تنظيم ندوات علمية عن التلوّث البيئي.

٣. تنظيم محاضرات عن بعض الأمراض الشائعة والمستجدة وطرق الوقاية منها كأنفلونزا الطيور والخنازير، وجنون البقر، والسرطان وغير ذلك.

٤. تنظيم ورش عمل للمحافظة على البيئة المدرسية مادياً ومعنوياً.

٥. توظيف مناهج العلوم والصحة المدرسية لخدمة المجالات المختلفة للبيئة المدرسية.

٦. تحذير الطلاب من الأفعال والتصرّفات التي تضر أو تودي بصحة الطلاب كاللعب في الشارع، وتسلّق المناطق المرتفعة، والسباحة في المياه الملوّثة أو العميقة، وقضاء الحاجة تحت الأشجار أو التبوّل في الماء، وعدم غسل اليدين بعد ذلك.

٧. الاهتمام بالناحية الجمالية للبيئة من خلال الاهتمام بالحديقة المدرسية ومتابعة تجميلها والحرص على نظافة المدرسة والشارع العام.

٨. مراقبة المقصف المدرسي، ومراقبة نوعية وتواريخ صلاحية الأطعمة المعروضة فيه. ويجب مراعاة الأمور التالية في أماكن تحضير الطعام وتقديمه (غرفة الطعام، المطبخ الرئيسي، غرفة المعلمين، أماكن تقديم الوجبات الخفيفة، آلات البيع، وأماكن تخزين الغذاء):[1]

٩. يجب تخزين الطعام والفضلات في أوعية لا تسمح للحشرات بالنفاذ إليها.

١٠. يجب أن تكون لها أغطية محكمة وأن تكون مصنوعة من البلاستيك أو الزجاج أو المعدن، وبالإضافة لذلك لابد من إزالة الفضلات يومياً.

١١. يجب وضع الأشبال على الثقوب والشبابيك ومصارف المياه وذلك لمنع الصراصير والحشرات الأخرى من إيجاد ممرات.

١٢. لا بد من إيجاد ظروف لا تسمح للحشرات بالمعيشة، وذلك عن طريق تقليل توفر الغذاء والمياه، وإزالة بقايا الطعام وفتات الخبز، وإصلاح صنابير المياه، ومعالجة الارتشاح، وتجفيف الأماكن الرطبة.

١٣. تحسين أعمال التنظيف بما في ذلك تنظيف أدوات تحضير الطعام فوراً بعد الانتهاء من استعمالها وأيضاً إزالة تراكمات الدهون عن الشقوق والمواقد والأفران، ويجب استعمال الدّهان لإغلاق الشّقوق أو الثّقوب.

١٤. صيد القوارض باستعمال مصائد لزجة أو ميكانيكية (ملاحظة: يجب وضع المصائد في أماكن لا يمكن للأطفال الدخول إليها، ويجب فحصها يومياً والتخلّص من القوارض الميتة خلال ٢٤ ساعة). والحذر لا يتنافى مع الرّضا بالقدر.

١٥. الاهتمام بمختبر المدرسة والمحافظة على تنظيفه وتنظيمه ومستوى الأمان داخله.

١٦. توظيف مجلات وبوسترات وملصقات الحائط الدورية لخدمة البيئة المدرسية.

١٧. إصدار مجلة مطبوعة دورية لخدمة البيئة المدرسية.

١٨. توظيف وتوثيق الأنشطة البيئية المدرسية وأرشفتها لأجل الإفادة والتطوير.

١٩. إشراك الطلاب في أنشطة متنوّعة في يوم البيئة العربي.

٢٠. إشراك الطلاب في أنشطة متنوعة في يوم الإيدز العالمي ويوم التدخين العالمي وغير ذلك.

٢١. .تنظيم أنشطة مختلفة يشارك فيها الطلبة في يوم الصحّة العالمي كتنظيف المرافق المدرسية، ومحاربة التدخين والمخدرات وبيان أضرارهما على الإنسان والبيئة.

٢٢. المحافظة على الممتلكات العامّة من خلال توعية الطلاب بالمحافظة على الشبابيك والأبواب والمقاعد داخل الصف وخارجه.

٢٣. المساعدة في حل المشاكل البيئية والصحيّة التي تواجه الطلبة.

١- التربية البيئية، مرجع عن البيئة العالمية، جامعة بير زيت، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، برنامج التعليم البيئي، ص ٨٤-٨٥.

ثانياً – واجبات المتعلّم: وأمّا الطالب فيطلب منه ما يأتي:[١]

١. المشاركة في العمل البيئي في كل مراحله.
٢. معرفة دوره ومسؤولياته في ذلك العمل وعلاقة ذلك بأدوار الآخرين ومسؤولياتهم.
٣. الاعتماد على النفس في إطار التعاون مع الجماعة.
٤. قبول العمل الذي يتفق وميوله واهتماماته وقدراته واستعداداته.

وفيما يلي بعض الطرائق والأنشطة الأخرى التي ينصح باستخدامها في تدريس التربية البيئية والصحية في المرحلتين المدرسية ورياض الأطفال:

١. الرحلات: وفيها ينظّم المعلّم مع التلاميذ بعض الرحلات لزيارة البيئة المحلية ومواردها المختلفة، مثل: الموارد الحيوانية والنباتية، ومصادر الطاقة، المصانع والمناجم والمحاجر، المزارع والمشاتل، الأسواق والمتاجر، مكبّات النفايات، زيارة مستوصف صحي كما يمكن زيارة مظاهر الطبيعة المختلفة كالبحار والأنهار والبرك والجبال والمحميات والحدائق العامّة والبساتين، بحيث يتعلّم التلاميذ أهمّية المحافظة على البيئة من خلال هذه الزيارات والرحلات، ويمكن رصد الخلل البيئي الحادث في هذه الأماكن وتوعية الطلبة تجاهه لمنع تكراره.[٢]
٢. اللّعب: يعتبر اللعب من الأنشطة العامّة والمفيدة التي تستخدم في تدريس التربية البيئية والصحيّة في صفوف المرحلة الأولى من التعليم الأساسي ورياض الأطفال، حيث يقوم التلاميذ من خلال اللعب بالتعرّف على البيئة و مكوّناتها و مواردها من خلال التربية الزراعية والتربية الفنية، كما يتعلّم التلاميذ التعاون والعمل في مجموعات من خلال التربية الرياضية، ومن خلال المجالات الأخرى يقوم التلاميذ بتصميم وتنفيذ نماذج لحديقة الحيوانات أو المزرعة أو الغابة أو القرية بما فيها من منازل وحيوانات ومبان ومدارس ومرافق صحيّة، وذلك باستخدام خامات البيئة المحلية مثل الطين الصلصال والملتين والخشب والورق والكرتون، وغير ذلك.
٣. لعب الأدوار: حيث يقوم التلاميذ بتقمّص بعض الأدوار لأشخاص موجودين في البيئة ويعملون بها، مثل: تقمّص دور عامل النظافة في المدرسة، أو دور المزارع في المزرعة أو المسعف، أو الصانع في مصنعه، أو التاجر في متجره، أو الخادم الذي يهتم بحديقة المدرسة. ويمكن من خلال هذه الأدوار تعمّد عمل بعض السلوكيات الخاطئة وتصحيحها على الفور، ولفت انتباه الطالب إلى ذلك.
٤. التمثيليات: يمكن في مجال التربية البيئية عمل تمثيليات عن موضوعات بيئية مختلفة مثل: الأمانة، الصدق، حب الطيور والحيوانات، النظافة، الصحّة العامّة، المحافظة على البيئة ومواردها، توفير المياه، حب الطبيعة، حرق النفايات، إماطة الأذى عن الطريق، وغيرها.

١– موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٨٦.
٢– الريسوني، المحافظة على البيئة ص ١٩٤. السعود، الإنسان والبيئة ص٢٣٧ .

٥. الأنشطة المختلفة: مثل عقد المهرجانات، والاحتفال بالمناسبات التي لها علاقة بالبيئة كيوم الشجرة، ويوم النظافة العالمي، ويوم التدخين العالمي، وغير ذلك. وتشجيع الطلبة في هذه الأيام على زراعة الأشجار، وتنظيف المحيط المدرسي وما حوله، وإعداد التمثيليات الهادفة، وعرض الأفلام والبرامج الثقافية الهادفة، وإعداد المجلات، والبوسترات والملصقات، ورسوم الكاريكاتير، والقرطاسية المدرسية المكتوب عليها إرشادات للتعامل مع البيئة واحترامها، وكتابة الشعارات التي تحث على احترام البيئة وتعليقها في المدرسة والأماكن العامّة، أو تعليقها على ملابس وقبعات خاصّة توزّع مجاناً، والتحدّث بهذه المواضيع البيئية مزيّنة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية عبر الإذاعة المدرسية، وتأسيس جمعيات ونوادي أصدقاء البيئة، وتنظيم حملات النظافة، وإعداد المسابقات، ورصد الحوافز والجوائز للأعمال الجيّدة المفيدة، والاستعانة بمجلات الحائط، وكتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في أماكن خاصّة. فمثلاً يكتب عند المشرب حديث: «لا تسرف ولو كنت على نهر جار»، وعند الأشجار والحدائق يمكن كتابة حديث الملاعن الثلاث الذي ينهى عن قضاء الحاجة في ظلال الأشجار، وعند برك الماء يكتب حديث من الأحاديث التي تنهى عن التبوّل في الماء، وعند المقصف تذكيره بغسل اليدين قبل الأكل وبعده، وفي الساحة والشارع تذكيره بحديث إماطة الأذى عن الطريق، وعند الحمامات تذكيره بالنظافة، ويراعى أن تكون الإشارات مرفوعة حتى لا تمتهن، ويفضّل دعم هذه النشاطات بصور معبّرة تلفت انتباه الطالب وتذكّره بعواقب تصرّفاته الخاطئة على الإنسان والبيئة، كصورة شخص يعطس في الهواء دون استخدام منديله وكيف يؤدّي ذلك إلى انتقال العدوى إلى الآخرين، وصورة شخص أشعل ناراً في متنزه عام بقصد الشواء، لكنّه لم يقم بإطفائها بعد ذلك، فأدّت إلى اشتعال ما حولها من أشجار ومنازل، فمثل هذه الإشارات والكتابات والصور تذكّر المسلم بواجبه نحو بيئته، وتدفعه إلى الالتزام بهذه التوجيهات طمعاً في رضا **الله** –عزّ وجل– وثوابه وجنته، ويمكن تعميم هذه الأفكار وتبادلها بين المدارس والجامعات وسائر المؤسسات التعليمية وغيرها لتحقيق المقصود منها.

٦. طريقة المشروع: عن طريق تكليف الطالب بكتابة تقارير عن موضوعات بيئية مقترحة من قبل المعلم، أو الطالب نفسه، أو جهات أخرى، مثل: التلوّث وأنواعه، النظافة الضوضاء، الإشعاعات النووية، استعمال المبيدات والأسمدة الكيماوية، الحرائق، تجميل البيئة، الرفق بالحيوان، وغير ذلك.[١]

٧. الشعر والقصة: تأليف قصائد وأناشيد وقصص ممتعة ومفيدة وعرضها عبر الإذاعة المدرسية وفي المناسبات، وابتكار ألعاب ترتبط بموضوعات البيئة، وتدريب الطلبة عليها.

٨. المسابقات: عقد مسابقات في البحوث البيئية، وبرنامج الحي النظيف، والرسم الكاريكاتيري، والقصة، والتمثيلية، والشعر، والخاطرة، والمقالة الصغيرة، وغير ذلك مما له علاقة بالبيئة.

١- الريسوني، المحافظة على البيئة ص١٥٩. السعود، الإنسان والبيئة ص٢٣٧ .

٩. التوعية المستمرة في مجالات الحفاظ على الآثار التاريخية والمقدّسات وحمايتها. وتذكيرهم بالنّصوص التي تبيّن لنا أهمية المقدّسات الإسلامية وضرورة المحافظة عليها وإعمارها مادّياً ومعنوياً، ومن النصوص في ذلك:

– قوله تعالى: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ».[١]

– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عَنِ النَّبِي –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ –صلى الله عليه وسلم–،وَمَسْجِدِ الأَقْصَى».[٢]

١٠. تنظيم حملة سنوية في مجال النظافة والتشجير في عموم الوطن (إحياء اليوم العربي والعالمي للبيئة والنظافة).

١١. الفِرق الكشفية: الاهتمام بتكوين فرق كشفية في القرى والمدن والاعتناء بها؛ لتقوم بمهام محدّدة تخدم البيئة، ويفضّل تسمية هذه الفرق بأسماء لها علاقة بالبيئة مثل:«فرقة السنابل الخضراء»، أو«فرقة السماء الزرقاء»، أو«فرقة النّهر الصافي»، أو«فرقة ربوع الوطن»، فرقة «المسجد الأقصى»، وهكذا دواليك، فهذا من شأنه أن يوطّد العلاقة بين التلميذ وبيئته المحيطة به.

١٢. المعسكرات الصيفية: إقامة معسكرات عمل سنوي للطلاب تركّز على الحفاظ على البيئة وحمايتها من خلال الترويح عن النّفس.

١٣. وضع برامج خاصة للاهتمام بالبيئة الصحراوية، والبحرية، والجبلية، وغير ذلك.

١٤. تنظيم زيارات ورحلات للمدن الأثرية والحضارية، وتوعية الطلبة بضرورة المحافظة عليها.

١٥. المشاركة في حملات النظافة داخل المدن وعلى الشواطئ.

١٦. غرس الأشجار ورعايتها والمشاركة في قطف الثمار.

١٧. إقامة المعارض البيئية: كمعارض الكتب، والصور المرسومة أو الفوتوغرافية، أو الأدوات البيئية الموجودة في المجتمع أو التي صنعها الطلاب، والتي تعكس ممارسات سلبية وايجابية لتعامل الإنسان مع البيئة.

ولكي تقوم المدرسة بدورها المنتظر نحو البيئة يجب أن تتضافر جهودها مع العديد من الأجهزة والمؤسسات الموجودة بالبيئة المحيطة، مثل: وزارة البيئة، وزارة الزراعة والري، وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، وزارة الصناعة والتعدين، وزارة الاقتصاد والتجارة، الجمعيات الخيرية المحلية، المؤسسات البيئية، سلطة جودة البيئة، الأحياء والمجتمعات الأهلية، الوحدات الصحية والبلديات، دور العبادة، الغرف التجارية والصناعية، وغير ذلك.

١– (التوبة: ١٨).

٢– رواه البخاري،كتاب الصلاة، باب فَضْلِ الصَّلاَةِ في مَسْجِدِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ. صحيح البخاري ٤٩١/٤. حديث رقم (١١٨٩).

أمّا برامج التربية البيئية غير النظامية فإنها تتم من خلال مؤسسات المجتمع كافّة كالأسر، والجمعيات العلمية، والهيئات المهنية والدينية والأدبية والرياضية، والنوادي والجمعيات الخيرية، والمتاحف، والمعارض، ودور العبادة، ووسائل الإعلام، والمنظّمات غير الحكومية الأخرى التي تشاطر المؤسسات النظامية مهمتها التربوية الهامّة.[1]

المستوى الثالث ـ الجامعات والمعاهد وكليات المجتمع:

يمكن للجامعة أن تساهم في حماية البيئة من خلال ما يأتي:

١. التخصّص: بحيث يتم إدراج علم البيئة ضمن التخصّصات التي تتبناها الجامعة. ويحتاج ذلك إلى تأسيس كلّيات خاصّة مثل: كلية الأرصاد، كلية علوم الأرض، كلية علوم البحار، كلية تصاميم البيئة، وغير ذلك. وقد بدأت كثير من الجامعات في تنفيذ ذلك، وهناك إقبال جيد من قبل الطلبة للانخراط في هذا التخصّص والاستفادة منه.[2]

٢. التعليم النّظري: وذلك عن طريق:

أ. تضمين وحدة أو فصل في الدراسات البيئية لتدريسه للطلبة، ويفضّل أن يكون مقرّراً إجبارياً لجميع الطلبة.

ب. طرح قضايا بيئية ضمن مقرّرات مختلفة، ففي مقرّر الكيمياء يمكن تناول موضوع التلوّث والطاقة. وفي مقرّر الجغرافيا يمكن تناول علم البحار والمحيطات والمناطق الصحراوية والغابات وتأثير الظروف البيئية الطبيعية وأثر الإنسان في بيئته الطبيعية[3] وفي علم الأحياء يمكن دراسة النظم البيئية البرية والمائية، والعلاقة بين الكائنات الحيّة، والتلاؤم بين الكائنات الحيّة وبيئاتها.[4] وفي مقرّرات التربية الإسلامية يمكن عرض الآيات والأحاديث التي تحض على احترام البيئة والمحافظة على المخلوقات الأخرى. وفي التربية الفنية مجال خصب للتعبير عن مشاهدات التلاميذ في بيئتهم وتذوقهم لمظاهر الجمال فيها أو امتعاضهم من الأفعال التي تشوّه وجهها بالرسم بالأقلام، أو التجسيد بالصلصال والبلاستوسين. وفي مقرّر الاقتصاد يمكن التحدّث عن الاستقرار الاقتصادي والفقر وضرورة الاعتدال وعدم التبذير والإسراف. وفي علم الرياضيات يمكن تناول قضايا حسابية، كحساب خسائر الإنسان من جراء مشكلة معيّنة كالتلوّث، وحساب معدّل الوفيات والمواليد ومعدّل الهجرة.[5] ويمكن تعميم هذه التجربة على المناهج المدرسية أيضاً.

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢١٩.
٢- المرجع السابق ص ٢٢٨ - ٢٣٣.
٣- موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص٢٧٩.
٤- المرجع السابق ص٢٧٧.
٥- المرجع نفسه ص٢٨١.

جـ. توجيه منهاج مادة دراسية بأكملها توجيهاً بيئياً، مثل: مادة (الإنسان والبيئة) (الهندسة البيئية)، (الإسلام والبيئة)، (التلوّث البيئي ومخاطره)، (تخطيط المدن)، وغير ذلك.

٣. البحث العلمي: بتكليف الطالب ودعوته إلى الكتابة في أحد المواضيع التي تتعلّق بالبيئة مثل: مواجهة مشكلة الانفجار السكاني، والتلوّث بأنواعه، واستنزاف موارد البيئة، التربية البيئة في الإسلام، انهيار طبقة الأوزون، دور الصراعات والحروب في الدمار البيئي، الاحتباس الحراري ومستقبل البشرية، قمة الأرض، وغير ذلك.

٤. مجال المحاضرات والندوات والمؤتمرات وورشات العمل: حيث يلتقي الخبراء والمختصون فيتبادلون الآراء والأفكار والخطط، وتعرض الدراسات والتوصيات بمشاركة وحضور الطلبة والرأي العام.

٥. مجال الاحتفالات بالمناسبات العامّة: وذلك من خلال المحاضرات، والندوات والمهرجانات، وتوزيع النشرات، وعرض الملصقات والأفلام، وغير ذلك. ومن هذه المناسبات يوم الشجرة (١٥) كانون الثاني، يوم الماء العالمي (٢٢) آذار، يوم البيئة العالمي (٥)حزيران، اليوم العالمي للامتناع عن التدخين (٣١) أيار، يوم الأوزون العالمي (١٦) أيلول، يوم البيئة العربي (١٤) تشرين أول، ويوم الغذاء العالمي(١٦) تشرين أول، يوم الفقر العالمي(١٧) تشرين أول. وغير ذلك.[١]

المستوى الرابع:

أولا – التعليم غير النظامي (اللامدرسي): وذلك من خلال دورات التعليم المستمر، والجامعات المفتوحة، والمحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، وورشات العمل، والنشاطات الاجتماعية المتعددة، وشبكات الانترنت ووسائل الإعلام بجميع أنواعها والتي يمكن أن تساهم في رفع المستوى الثقافي والانتمائي تجاه البيئة المحيطة بنا.[٢]

ثانياً – القطاع الشعبي (الجمهور): وذلك بنقل المعرفة إلى المواطنين للتعرّف على مشكلات البيئة المحيطة بهم، وكيفية تداركها.

ثالثاً – القطاع المهني والاجتماعي: تعليم الفئات المهنية والاجتماعية؛ لما لها من تأثير واسع، كالأطباء، والمهندسين، وخبراء التخطيط، ورجال القانون والقضاء، والأكاديميين، ورجال الصناعة والزراعة والتجارة.

١- السعود، الإنسان والبيئة ص ٢٣٥.
٢- عبد الحميد، هموم الإنسان والبيئة ص ٤٣٩. موسى أحمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة ص ٢٣٩.

خاتمة:

في نهاية هذا البحث، وبعد التعرّف على التشريعات التي شرعها الإسلام لضمان بيئة صحية سليمة جميلة خالية من كل ما يعكّر صفوها وجمالها، وبعد ذكر أسباب التلوّث البيئي وأنواعه وكيفية مواجهته، وكذا الحديث عن التربية البيئية الإسلامية وأساليبها في حفظ البيئة، فإن خلاصة ما ورد في هذا البحث يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١. الكون وما فيه نعمة كبرى وهو مسخّر لخدمة الإنسان ومنفعته فعليه أن يحافظ عليه.

٢. تلويث البيئة بكل أنواعه فساد في الأرض حذّرنا **الله** من عواقبه الوخيمة.

٣. دعا الإسلام إلى النظافة والحفاظ على الأرض والسماء وما فيهما من هواء وماء وتربة وموارد. ووضع لذلك منهجاً متكاملاً، وجعل السير عليه واجباً على كل قادر.

٤. يجب الاقتصاد وعدم الإسراف في استغلال موارد الطبيعة والبعد عن الاستخدام الجائر لها.

٥. الحيوانات والطيور والأشجار والنباتات من نعم **الله** علينا، وعلينا أن نحافظ عليها.

٦. ترويع المسلم بالضجيج والضوضاء وغير ذلك ممّا يزعجه حرام شرعاً.

٧. أجرم الاحتلال الأجنبي في حق البيئة العربية ولوّثها وسرق مواردها دون حسيب أو رقيب.

٨. حث الإسلام على تجميل البيئة بوسائل فعالة.

٩. التربية البيئية ضرورية لخلق وعي بيئي يساهم في تطوير البيئة وحمايتها.

ويمكن إيجاز التوصيات فيما يلي:

١. الحفاظ على البيئة واجب ديني على كل من يعيش على هذه الأرض.

٢. متابعة التوعية الدينية والتربوية لجميع أفراد المجتمع من خلال الدعوة إلى عدم التبذير في استهلاك الموارد وإتلافها دون وجه مشروع، وحماية البيئة من التلوّث.

٣. وضع استراتيجية للتربية البيئية الإسلامية بحيث يتم تطوير برنامج تعليمي بيئي يناسب كل المراحل التعليمية.

٤. من واجب الحاكم أن يسن القوانين والتشريعات التي تساهم في الحفاظ على البيئة ومعاقبة المخالفين.

٥. تطبيق قوانين حماية البيئة ومنع كل الجهات من إلقاء الملوثات في البيئة المحيطة دون معالجة وضرورة الإشراف الدولي على ذلك.

٦. ترشيد استخدام الأسمدة الكيميائية والمبيدات، مع التركيز على استخدام الأسمدة العضوية.

٧. التخلّص من جميع المواد الضارة المؤدية للتلوث بشكل لا يضر بالبيئة.

٨. معالجة المياه العادمة قبل استخدامها في الري الزراعي.

٩. عقد المؤتمرات الدولية والمحاضرات والندوات وتوزيع النشرات التي تركز على أهمية البيئة وأساليب المحافظة عليها.

١٠. على العلماء والدعاة والمعلمين والإعلاميين والكتاب وغيرهم تكثيف إلقاء النصائح والإرشادات حول التربية البيئية.

١١. كشف وفضح أساليب الدول المحتلة في تدمير البيئة العربية والإسلامية في المحافل الدولية وغيرها.

١٢. ضرورة المشاركة في إبرام الاتفاقيات التي تعالج قضايا معاصرة مثل طبقة الأوزون والاحتباس الحراري لما لهما من أخطار على حياة البشر.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، كتاب الله عزّ وجل.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي البغدادي، الهم والحزن، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م، تحقيق: مجدي فتحي السيد.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد، ذم المسكر، دار الرياض، السعودية.
- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٤٠٩هـ.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩.
- ابن الأثير، عز الدين على بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- ابن الأُخْوةِ الْقُرَشي، محمد بن محمد بن أحمد، معالم القربة في طلب الحسبة، بلا طبعة.
- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٨٧م.
- ابن الجوزي، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، تلبيس إبليس، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق: د. السيد الجميلي.
- ابن الهمام،كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، شرح فتح القدير، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، مجموع الفتاوى، بلا تاريخ.
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الاستقامة، جامعة الإمام محمد بن سعود،المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.
- ابن تيمية، عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الحراني، المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي، القوانين الفقهية، بلا طبعة.
- ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي، لبنان ١٣٠٤١هـ – ٣٨٩١م، الطبعة الرابعة.

- ابن حبان، محمد البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة. بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، تحقيق: السيد عبدالله هاشم اليماني المدني.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الدراية في تخرج أحاديث الهداية، دار المعرفة، بيروت، بلا.
- ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري أبو محمد، المحلّى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي.
- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ– ١٩٧٠م، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
- ابن دقيق العيد، أبو الفتح تقي الدين، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد القرطبي أبو الوليد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار الفكر، بيروت.
- ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: سالم محمد عطا–محمد علي معوض.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.
- ابن عبد الوهاب، محمد، مختصر الإنصاف والشرح الكبير، مطابع الرياض، الرياض، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد العزيز بن زيد الرومي، د.محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي.
- ابن قدامة، عبد الله المقدسي أبو محمد، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي بيروت.

- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة، مصر.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بن أيوب الدمشقي، الطب النبوي، دار الفكر، بيروت، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، بلا طبعة.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ابن مفلح، إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي أبو إسحاق، المبدع في شرح المقنع، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- ابن مفلح، أبو عبد الله محمد المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عمر القيام.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- ابن نجيم، زين الدين الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمّى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار المصحف، القاهرة، مصر، بلا.
- أبو الفتح، حسن علي، البيئة الصحراوية العربية، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٧م.
- أبو المحاسن، يوسف بن موسى الحنفي، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتب، مكتبة المتنبي، مكتبة سعد الدين، بيروت، القاهرة، دمشق.
- أبو النجا، موسى بن أحمد بن سالم المقدسي الحنبلي، زاد المستقنع، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، تحقيق: علي محمد عبد العزيز الهندي.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- أبو زمنين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة،١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز.

- أبو صالح، محمد ذياب، «المحاجر وأثرها في منطقة الخليل»، بحث منشور في كتاب أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني حول البيئة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩م.
- أبو صفية، يوسف، تقرير وزارة البيئة الفلسطينية لعام ٢٠٠٤م.
- أبو غزالة، محمد حلمي، يسألونك عن الخمر، دار الأرقم، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي، مسند أبي يعلى، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٤١هـ/ ٢٠٠٠م.
- أرناووط، محمد السيد، الإنسان وتلوّث البيئة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.
- إسلام، أحمد مدحت، التلّوث مشكلة العصر، الكوت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٠م.
- الأصبحي، مالك بن أنس أبو عبد الله، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- الألباني، محمد ناصر الدين، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الخامسة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، بلا طبعة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، بلا طبعة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن أبي داود، بلا طبعة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، بلا طبعة.
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن النسائي، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

- الألباني، محمد ناصر الدين، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد الشافعي، شرح روض الطالب من أسنى المطالب، المكتبة الإسلامية، بلا.
- الأنصاري، عمر بن علي بن الملقن، خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي.
- البار، محمد علي، الخمر بين الطب والفقه، دار الشروق، بلا تاريخ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٩٠ هـ– ١٩٨٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- بدران، عبد الحكيم، أضواء على البيئة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٩٢م.
- بدران، مصطفى، الديب، فتحي، بحوث في تدريس العلوم، مكتبة النهضة ١٩٩٦م.
- البغوي، أبو محمد الحسين الفراء، تفسير البغوي، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك
- البلاذري، حمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، تحقيق: رضوان محمد.
- البنا، عائدة عبد العظيم، الإسلام والتربية الصحية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١، ١٩٨٤م.
- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، الروض المربع شرح زاد المستقنع، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ١٣٩٠هـ.
- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس، شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس،كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال.
- البوصيري، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل، إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، بلا طبعة.
- بيرس، فرد، ظاهرة الارتفاع الحراري لكوكب الأرض، ترجمة محمد فتحي.
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

- التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.
- التربية البيئية، مركز علوم صحة البيئة والمهنة، جامعة بير زيت، مرجع عن البيئة العالمية، برنامج التعليم البيئي.
- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفكجي، خليل، الاستيطان ومصادرة الأراضي، بلا طبعة.
- جاد الله، فوزي علي، الصحة العامة والرعاية الصحية، دار المعارف، مصر، ط٣.
- الجبان، رياض، التربية البيئية حلول ومشكلات، دار الفكر، دمشق، بيروت، ط٢.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي، عجائب الآثار، بلا طبعة.
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي أبو بكر، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.
- جون سيمور، وهربرت جيراردت، بعيداً عن الفردوس، ترجمة: عفيف تلحوق، دار الحمراء، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١١هـ – ١٩٩٠م تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- الحزامي، يحيى بن مري بن حسن بن حزام الشافعي، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: حسين إسماعيل.
- الحسيني، إبراهيم بن محمد، البيان والتعريف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ، تحقيق: سيف الدين الكاتب.
- الحصكفي، محمد بن علي بن علي الدمشقي، الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ.
- الحصني، تقي الدين أبو بكر بن محمد الشافعي،كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- الحطاب، محمد بن عبد الرحمن المغربي أبو عبد الله، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ.
- الحفيظ، عماد محمد ذياب، البيئة حمايتها تلوثها مخاطرها، دار صفاء للنشر، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م.
- حماية البيئة في الإسلام، الاتحاد الدولي لصون الطبيعة، منشورات مصلحة الأرصاد وحماية البيئة بالسعودية.

- الحموي، ياقوت بن عبد الله أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت.
- الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، مكتبة السنة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد.
- خضر، صدقي وآخرون، الأسمدة وخصوبة التربة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٤م.
- خضر، هشام، الحرب العالمية الثانية، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠٠١م.
- الخطيب، السيد احمد ، النظام البيئي والتلوّث، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠٤.
- الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد، سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- الدردير، أبو البركات أحمد ، الشرح الكبير، مطبوع بهامش حاشية الدسوقي، دار الفكر، بيروت.
- درويش، د.فوزي، اليابان الدولة الحديثة والدور الأمريكي، ط٤، القاهرة، ١٩٩٦.
- الدسوقي، محمد عرفه، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد عليش.
- الديسي، احمد محمد، علم البيئة والعلاقات الحيوية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى،١٩٩٧.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الشافعي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، تحفة الملوك في فقه الإمام أبي حنيفة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ربيع، عطاء الله وآخرون، الصحة العامّة وحماية البيئة، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧.
- الرملي، أبو العباس أحمد الأنصاري، حاشية الرملي، بلا تاريخ.
- الريسوني، قطب، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، وسطية الإسلام وسماحته، بلا طبعة.
- الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- الزركشي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله المصري الحنبلي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، أساس البلاغة، بلا طبعة.
- الزيلعي، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي، نصب الراية لأحاديث الهداية، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ، تحقيق: محمد يوسف البنوري.
- الساحلي، خالد، أباظة، أسامة، "أثر الازدحام المروري ومواصلات النقل العام على التلوّث الجوي" ، بحث منشور في كتاب أوراق عمل المؤتمر الدولي الثاني حول البيئة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٩.
- السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط، دار المعرفة، بيروت.
- السرطاوي، محمود، بحث بعنوان:"تنظيم النسل في الإسلام"، منشور في مجلة دراسات وأبحاث في القضايا السكانية، وزارة العمل، ١٩٨٥م، الأردن.
- السرطاوي، محمود، الأحوال الشخصية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ٢٠٠٠م، عمان، الأردن.
- السعدي، حسين، علم البيئة، دار اليازوري العلمية، عمان، الأردن، ٢٠٠٨.
- السعود، راتب، الإنسان والبيئة (دراسة في التربية البيئية)، دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، ط٢، ٢٠٠٧م.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد الحنفي، تنبيه الغافلين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، دار الوطن، الرياض، السعودية الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس.
- سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني.
- سيد سابق، فقه السنة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٤، ٣٠٤١هـ، ٣٨٩١م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر، بيروت،١٩٩٣.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل، شرح سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م.
- الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، مسند الشافعي ترتيب السندي، دار الكتب العلمية، بيروت،
- الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- شبلي، أحمد إبراهيم، «أثر دراسة مقرّر في التربية البيئية على اتجاهات طلاب كلية التربية»، جامعة الملك سعود– فرع أبها، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، المؤتمر الثاني: إعداد المعلم، الإسكندرية ٥١ – ٨١ تموز ١٩٩٠، المجلد الثالث.
- شحاتة، رؤية الدين الإسلامي في الحفاظ على البيئة، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٦.
- الشربيني، محمد الخطيب، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر.
- شرف، طريح، التلوّث البيئي حاضره ومستقبله، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، طبعة ٢٠٠٠م.
- الشرواني، عبد الحميد، حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، دار الفكر، بيروت.
- الشريف، عدنان، من علم الطب القرآني، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق، المهذب، دار الفكر، بلا طبعة.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.
- صباريني، محمد سعيد، ورشيد الحمد، الإنسان والبيئة (التربية البيئية)، مكتبة الكتاني، اربد، الأردن، ١٩٩٤.
- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩هـ، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد عبد العزيز الخولي.

- الطائي، محمد باسل، خلق الكون بين العلم والإيمان، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، مسند الشاميين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تهذيب الآثار، بلا طبعة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
- طميزة، عبد الحليم، حقوق المياه واستخداماتها التقليدية وانعكاساتها على البيئة، دراسة مقارنة (السودان، اليمن، فلسطين)،٢٠٠٧.
- طنطاوي، وآخرون، حماية البيئة من التلوّث بالفيروسات، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان.
- عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب، المنهج الإسلامي لعلاج تلوّث البيئة، الدار العربية للنشر والتوزيع.
- عبد الحميد، د. زيدان هندي، هموم الإنسان والبيئة، كانزا جروب للنشر، ط٢، القاهرة.
- عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة، بلا طبعة.
- عبد القادر، محمد، الإسراف وتأثيره على البيئة، بلا طبعة.
- عبدالله، عمر محمود، الطب الوقائي في الإسلام، الموصل، العراق، ط١، ١٩٩٠م.
- عبد اللطيف، خالد محمود، البيئة والتلوّث، دار الصحوة، القاهرة.
- عثمان محمود وآخرون، التربية الوطنية، منشورات جامعة القدس المفتوحة، طبعة ٢٠١٠، عمان، الأردن.
- العدوي، محمد احمد، حرب الخليج وأمن الخليج، مركز المحروسة للبحوث، المعادي، مصر، ط١، ١٩٩٨م.
- العطار، حسن، حاشية العطار على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،
- العظيم آبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود في سنن أبي داود، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- علوان، عبدالله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، دار السلام، بيروت، لبنان، ط٣،١٤٠١هـ– ١٩٨١م.
- العلوم والصحة وطرائق تدريسها١، منشورات جامعة القدس المفتوحة،٢٠٠٩.
- علياء بوران حاتوع، وأبودية، محمد حمدان، علم البيئة، دار الشروق، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٩٦.

- عليش، محمد، منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
- عويضة، محمود عبداللطيف، الجامع لأحكام الصلاة، دار الوضاح، عمان، الأردن، الطبعة الأخيرة،٢٠٠٤.
- العوينة، عبد الله، التهامي، جوهرة الوزاني، مجلّة التّاريخ العربي، بلدان البحر المتوسط الغربي: آفاق اقتصادية وبيئية، الرّباط، المغرب.
- العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- غنيم، خالد إسماعيل، أضرار المخدرات، المكتبة الوطنية، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.
- غنيمي، زين الدين عبد المقصود، التربية البيئية الإسلامية وحماية البيئة البحرية من التلوّث، المكتبة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٩٥م.
- الفقي، السيد محمد، الحرب والإسلام، دار الراية للنشر، ١٩٩٥.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بلا تاريخ.
- القاري، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عيتاني.
- القاسمي، خالد بن محمد البيعي، وجيه جميل، أمن وحماية البيئة، دار الثقافة العربية، الشارقة، ١٩٩٧.
- القدومي، مروان علي، بحث منشور في مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات بعنوان: "الصحة الوقائية في الإسلام"، العدد السادس والعشرون، المجلد الأول، شباط ٢٠١٢.
- القرشي، يحيى بن آدم،كتاب الخراج، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان، ١٩٧٤هـ، الطبعة الأولى.
- القرضاوي، يوسف، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، مصر، ط١ ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م.
- القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء، بلا طبعة.
- القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- كاتر، سوزان، البيئة الأخطار والمخاطر، ترجمة أحمد طلعت البشبيشي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٥.

- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الفكر، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الكسي، عبد بن حميد بن نصر أبو محمد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كنعان، نواف، قانون حماية البيئة لدولة الإمارات العربية المتحدة، مكتبة الجامعة، ط١، ٢٠٠٦.
- لاوند، رمضان، الحرب العالمية الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٧٩.
- اللجنة العلمية للبيئة والتنمية، مكافحة تلوث البيئة، ترجمة احمد شلاح ومحمد عارف، بغداد، المكتبة العالمية،١٩٨٧م.
- الماردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٩٩٤م.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م.
- المباركفوري، أبو العلا، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مجلة الأحكام العدلية، تأليف: جمعية المجلة، دار النشر: كارخانه تجارت كتب، تحقيق: نجيب هواويني.
- مجموعة من المؤلفين، ٣٣ يوم حرب على لبنان، ترجمة احمد أبو هدبة، مركز الدراسات الفلسطينية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.
- محمد أمين عامر، ومصطفى محمود سليمان، تلوّث البيئة مشكلة العصر، دار الكتاب الحديث، ط٢، ١٤٠٣-٢٠٠٣ القاهرة.
- محمد علي حميض، وآخرون، حفظ وتصنيع الأغذية، المطبعة العربية الحديثة، فلسطين، ط ٢٠٠٠.
- المدهون، عبد الرحيم، بحث بعنوان: "التربية البيئية المدرسية"، باحث في مركز القطان، غزّة.
- المرداوي، علي بن سليمان أبو الحسن، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.
- المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.
- مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.
- المناوي، زين الدين عبد الرؤوف، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي أبو محمد، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.
- موسى، أحمد محمد، الخدمة الاجتماعية وحماية البيئة، المكتبة العصرية، المنصورة، ط١، ٢٠٠٧.
- الموصلي، سامي احمد، الإعجاز العلمي في القرآن، دار النفائس، ط١، ٢٠٠١م.
- النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. بلا.
- النفراوي، أحمد بن غنيم بن سالم المالكي، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- النووي، يحيى بن شرف بن مري محيي الدين أبو زكريا، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.
- الهندي، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين،كنز العمال، تحقيق: صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الهيثمي، ابن حجر، الزواجر عن اقتراف الكبائر، المكتبة العصرية، لبنان، صيدا، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- هيكل، محمد حسنين، حرب الخليج، مركز الأهرام، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بلا تاريخ.
- الوهاب، احمد عبد، التشريعات البيئية، الدار العربية للنشر، ط١، ١٩٩٥، القاهرة.

دوريات ـ نشرات ـ أبحاث وتقارير ـ مقالات:

- الأزعر، محمد خالد، «سور إسرائيل غير العظيم وعقلية الجيتو»، على الموقع: http://www.islamonline.net.
- القضاة، عبد الحميد، تفوق الطب الوقائي في الإسلام، رسالة المسجد، العدد الخامس، شوال، ١٤٢٤هـ.
- تقرير وزارة البيئة، مصر، لعام ٢٠٠٤م.
- جاسم، صهيب، مقالة بعنوان: «محاور الخطر في قمة الأرض الثانية». موقع إسلام اون لاين الالكتروني، الثلاثاء ٢٧/مارس/ ٢٠٠٧.
- ساري الساري، مقالة بعنوان: «تلوّثت شواطئ السعودية بالنفط»، صحيفة عكاظ، الخميس ٤ /نوفمبر/ ٢٠٠٤م.
- صحيفة (٢٦ سبتمبر)، العدد (١٠٥٩)، ص ١٤، الثلاثاء ٤ مارس/ آذار/ .٢٠٠٣
- صحيفة القدس، الثلاثاء، ٨/١٢/٢٠٠٩ ١٤٣٠هـ، العدد (١٤٤٧٩)، ص١ عمود ٤.
- القرضاوي، يوسف، ورقة عمل للدكتور بعنوان:"البيئة في الإسلام"، المؤتمر العام الخامس عشر لأكاديمية آل البيت الملكية، ٢٧-٢٩/٩/٢٠١٠، عمان، الأردن، ص ٥٠.
- مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثامن والأربعون، ص٣٩٤، المملكة العربية السعودية / الرياض، ١٤١٧هـ .
- محمد مرسي، مقالة بعنوان: "الحروب العسكرية وأثرها على فساد البيئة". مجلة الجندي المسلم، العدد (١٢٠)، ٠١/٠٧/٢٠٠٥.
- مقالة بعنوان:»العراق خلال سنوات الاحتلال يفقد ١١مليون شجرة والميلشيات تستخدم مزارع الدولة لإنتاج المخدرات والحشيش". كتبها: المنظمة العراقية للمتابعة والرصد(معمر)/ الرصد العراقي، في ٣ /كانون الثاني/ ٢٠٠٧.
- مقالة بعنوان: «تغيرات المناخ تهدّد الأمن القومي الأميركي»، نيويورك تايمز، التاريخ: ١٧/٨/١٤٣٠هـ الموافق ٠٩-٠٨-٢٠٠٩م .
- ملحس، غانية، "جدار الفصل العنصري الإسرائيلي"، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد٥٥ (٢٠٠٣).
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مشروع خطة قومية للتربية البيئية والإعلام البيئي في الوطن العربي، بلا تاريخ.
- نشرة بعنوان: «المياه العادمة والتقليل من أثرها»، إعداد مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين.
- نشرة بعنوان:"تعقيم وتطهير الخزانات"، إعداد مجموعة الهيدرولوجيين الفلسطينيين.
- نشرة بعنوان:"مياه نظيفة صحة أفضل"، إصدار لجان الإغاثة الطبية الفلسطينية، بالتعاون مع مركز الدراسات المائية والبيئية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس.

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
١.	**مقدّمة**	٦
٢.	**الباب الأول: التشريعات الإسلامية في الحفاظ على البيئة ومكافحة التلوّث**.....	١٣
٣.	**الفصل الأول: معنى البيئة ونظرة الإسلام إلى الكون**........................	١٤
٤.	المبحث الأول: معنى البيئة........................	١٤
٥.	المبحث الثاني: نظرة الإسلام إلى الكون........................	١٥
٦.	المبحث الثالث: علاقة الإنسان بالبيئة	١٦
٧.	**الفصل الثاني: منهج الإسلام في الحفاظ على البيئة**	٢٠
٨.	المبحث الأول: أهمية الحفاظ على البيئة	٢٠
٩.	المبحث الثاني: مقاصد الحفاظ على البيئة	٢١
١٠.	المبحث الثالث: التشريعات الإسلامية في الحفاظ على البيئة	٢٨
١١.	المطلب الأول: الوسائل الوقائية	٢٨
١٢.	المطلب الثاني: الوسائل العملية	٢٩
١٣.	المطلب الثالث: الوسائل الرقابية	٥٥
١٤.	**الفصل الثالث: التلوّث البيئي ومكافحته**	٦٠
	المبحث الأول: مفهوم التلوّث	٦٠

الرقم	الموضوع	الصفحة
١٥.	المبحث الثاني: موقف الإسلام من تلويث البيئة	٦٠
١٦.	المبحث الثالث: أنواع التلوّث وعلاجه	٦١
١٧.	المطلب الأول: التلوّث المائي	٦٢
١٨.	أهمية الماء	٦٢
١٩.	أسباب التلوّث المائي	٦٤
٢٠.	علاج التلوّث المائي............................	٦٥
٢١.	الآثار المترتبة على تلويث المياه	٧٢
٢٢.	المطلب الثاني: التلوّث الهوائي.	٧٣
٢٣.	أسباب التلوّث الهوائي ومصادره	٧٤
٢٤.	علاج التلوّث الهوائي ومكافحته	٧٨
٢٥.	المطلب الثالث: التلوّث الغذائي	٨١
٢٦.	أسباب التلوّث الغذائي وعلاجه	٩٠
٢٧.	المطلب الرابع: التلوّث الصناعي	٩٩
٢٨.	موقف الإسلام من التلوّث الصناعي	١٠٠
٢٩.	علاج التلوّث الصناعي	١٠٠
٣٠.	المطلب الخامس: التلوّث النّفطي	١٠٢
٣١.	آثار التلوّث النّفطي	١٠٤
٣٢.	علاج التلوّث النّفطي	١٠٥

الرقم	الموضوع	الصفحة
٣٣.	موقف الإسلام من التلوّث النّفطي	١٠٦
٣٤.	المطلب السادس: التلوّث الإشعاعي	١٠٧
٣٥.	موقف الإسلام من التلوّث الإشعاعي	١٠٨
٣٦.	المطلب السابع: التلوّث الضّوضائي أو السّمعي	١١٠
٣٧.	موقف الإسلام من التلوّث الضوضائي	١١١
٣٨.	علاج التلوّث السمعي	١١٤
٣٩.	المطلب الثامن: التلوّث الكهرومغناطيسي	١١٦
٤٠.	علاج التلوّث الكهرومغناطيسي	١١٧
٤١.	المطلب التاسع: تلوّث التربة	١١٨
٤٢.	أسباب تلّوث التربة	١١٩
٤٣.	الآثار المترتبة على تلّوث التربة	١٢١
٤٤.	علاج تلوّث التربة	١٢١
٤٥.	المبحث الرابع: دور الحروب والاحتلال في تلويث البيئة	١٢٣
٤٦.	الآثار التي تتركها الحروب في البيئة	١٢٦
٤٧.	المبحث الخامس: الانفجار السكاني وتلويث البيئة	١٣٥
٤٨.	**الفصل الرابع**: **رؤية الإسلام في تجميل البيئة**	١٣٥
٤٩.	المبحث الأول: نظرة تاريخية.	١٣٧
٥٠.	المبحث الثاني: أهميّة الجمال في الإسلام.	١٣٧

الرقم	الموضوع	الصفحة
٥١.	المبحث الثالث: التشريعات الإسلامية في تجميل البيئة.	١٣٨
٥٢.	الفصل الخامس: دور الأمّة في حماية البيئة ومكافحة التلوّث.	١٤٥
٥٣.	المبحث الأول: دور المواطن في حماية البيئة.	١٤٥
٥٤.	المبحث الثاني. دور العلم في حماية البيئة.	١٤٨
٥٥.	المبحث الثالث: دور القانون في حماية البيئة.	١٥٠
٥٦.	المبحث الرابع: دور الأسرة في حماية البيئة.	١٥١
٥٧.	المبحث الخامس: دور الإعلام في حماية البيئة.	١٥٢
٥٨.	المبحث السادس: دور الدولة في حماية البيئة.	١٥٤
٥٩.	**الباب الثاني**: **التربية البيئية في الإسلام**.	١٥٩
٦٠.	**الفصل الأول**: **مفهوم التربية البيئية في الإسلام وأهمّيتها**.	١٦١
٦١.	المبحث الأول: مفهوم التربية البيئية.	١٦١
٦٢.	المبحث الثاني: أهمية التربية البيئية.	١٦٢
٦٣.	**الفصل الثاني**: **أهداف التربية البيئية وشروطها**.	١٦٦
٦٤.	المبحث الأول: الأهداف العامّة للتربية البيئية.	١٦٦
٦٥.	المبحث الثاني: أهداف التربية البيئية في الإسلام.	١٦٧
٦٦.	المبحث الثالث: شروط التربية البيئية في الإسلام.	١٧٢
٦٧.	**الفصل الثالث**: **أشكال وأساليب التربية البيئية**.	١٧٣
٦٨.	المبحث الأول: أهمية التعليم البيئي.	١٧٣

الرقم	الموضوع	الصفحة
٦٩.	المبحث الثاني: أشكال وأساليب التربية البيئية.	١٧٤
٧٠.	أساليب التربية البيئية لطفل ما قبل المدرسة.	١٧٥
٧١.	التعليم النظامي المدرسي في جميع مراحله.	١٧٧
٧٢.	الجامعات والمعاهد وكليات المجتمع.	١٨٥
٧٣.	**خاتمة.**	١٨٦
٧٤.	**قائمة المصادر والمراجع.**	١٨٨
٧٥.	**فهرست الموضوعات.**	٢٠٢